تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية

تأليف أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بالزركشي
بتحقيق وتعليق
محمد ماضور



المكتبة العتيقة
٤١ نهج جامع الزيتونة - تونس

تونس
الطبعة الثانية سنة 1966

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الحمد لله الذى جعل الايام دولا * وصير بعض الناس لبعض خولا * وجعل لهم فى المطامع آملا (لا يبغون عنها حولا)

الدولة الموحدية بالمغرب

مؤسسها الامام المهدى ابن تومرت

وبعد فان الامام المهدى رحمه الله تعالى هو : محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء ابن رباح بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن آبى طالب (1) رضي الله عنهم، كذا نسبه الكاتب أبو عبد الله محمد ابن نخيل (2)

---

(1) هذا النسب اورده ابن خلدون وعزاه لابن نخيل واشار الى الاضطراب فيه بنقل سلاسل نسب اخرى باسماء بربرية عن ابن رشيق وابن القطان وغيرهما من مؤرخى المغرب ، كما نقل الخلاف فى نفس النسب الطالبى وجعله من زعم المؤرخين على افتراض التحامه فى هرغة من قبائل المصامدة المتحدر منها المهدى ، ومن المعلوم ان الاخبار المبشرة بالمهدى تنص على كونه من آل البيت ولذلك كان انتحال النسب من لوازم المهدوية فى الاوائل والاواخر . هذا وقد جاء بنسخة الطبعة الاولى تصحيف سفيان بشعبان واسقاط الحسن وانها النسب الى الحسين بدل الحسن واصلح ذلك اعتمادا على سياقة ابن خلدون

(2) ابن نخيل بالخاء لا بالجيم كما فى الطبعة الاولى ، وهو اول كاتب للدولة الحفصية نوه به ابن الشماع ص 45 واورد له ابن الابار عدة رسائل سلطانية فى اعتاب الكتاب ص 237 ـ وله تاريخ نقل عنه التجانى وابن خلدون كثيرا ، وكانت نهايته فى محنة نالته اثر وفاة مخدومه الشيخ عبد الواحد ابن ابى حفص سنة 618 كما فى ابن خلدون .

فى تاريخه . وحكى ابن سعيد فى البيان المغرب ان والد الامام المهدى يقال له عبد الله وتومرت وامغار وان الامام ولد سنة احدى وتسعين (1) واربعمائة . وقال ابن خلكان سنة اربع وثمانين وقال ابن الخطيب الاندلسى سنة ست وثمانين وقال الغرناطى سنة احدى وسبعين واربعمائة وقرأ بقرطبة على القاضى ابن حمدون (2)

ثم ارتحل الى المهدية واخذ عن الامام المازرى ثم انتقل الى الاسكندرية وهو ابن ثمانى عشرة سنة واخذ عن الامام ابى بكر الطرطوشى ثم انتقل الى بغداد واخذ عن الامام الغزالى * ولما وصل كتاب الاحياء الى المغرب اشار من اشار على الملك المتولى على لمتونة بتمزيقه فبلغ ذلك الغزالى فقال : اللهم مزق ملكهم ، فقال المهدى له : على يدى يا سيدى ، فقال : على يدك ، فاكدت هذه الدعوة ما فى علم المهدى من ذلك ، فتوجه الى المغرب – بعد ان قام بالمشرق خمسة اعوام – وقيل بافريقية – سنة اربع عشرة وخمسمائة ومر بالمهدية فغير المنكر بها وذلك فى مدة على بن يحيى بن تميم بن المعز الصنهاجى صاحبها – وله بمدينة زويلة مسجد يعرف باسمه – قال الشيخ ابو الحسن البطرنى رايت شيخنا خليلا المزدورى قال رايت الشيخ الصالح ابا عبد الله محمد الصقلى المدفون بثابر من عمل مرناق احدى قرى تونس قال اجتاز على الامام المهدى وانا اسكن بزويلة فقال لى : يا شيخ ، الامام ابو حماد يسلم عليك ! قال البطرنى وبلغنى ان الصقلى عاش ثلاثمائة سنة وثلاث عشرة سنة

ثم ان المهدى انتقل الى تونس مدة بنى خراسان الولاة عليها

---

(1) يظهر ان التسعين هنا مصحفة عن السبعين – لتقارب الحروف – وبذلك يرجع نقل ابن سعيد الى الغرناطى ، ويترجح ذلك بان مرجع المهدى من الشرق كان فى سنة 505 كما فى الاستقصاء ، فلا يتصور انه رحل الى الاندلس وافريقيا والشرق وتعلم ورجع وسنه لا تتجاوز اربع عشرة سنة ، ولا يعقل قيامه بالدعوة وانقياد الاشياخ اليه وهو فى مثل هذه السن المبكرة

(2) كذا بالطبعة الاولى ، ولا يعرف فى مشيخة عصره ابن حمدون ، وانما هو ابو حسين شيخ القاضى عياض المتوفى سنة 508 المترجم فى ازهار الرياض ج 3 ص 95

ثم انتقل الى بجاية ــ وبها وال العزيز ابن المنصـــور ابن الناصر بـــن علناس بن حماد الصنهاجى ــ وكان يجلس على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة وهى معروفة بـــه الى الان ، وهناك لقى عبـــد المؤمن بـــن عـــلى حاجا مع عمه فاعجبه فعله وثنى عزمه عن سفره وشمر للاخذ عنه ، فارتحل الامام الى المغرب وهو معـــه ولحـــق بوانشـــريس وصحبـــه منهـــا جلـــة اصحابه ، ثم لحق بتلمسان ــ وقد تسامع الناس بخبره ــ فرحل الى فاس ثم الى مكناس ونهى فيها عن المنكر فاوجعه الاشرار ضربـــا فلحق بمراكش فـــى منتصف ربيع الاول عام خمسة عشر وخمسمائة ، واقام بها ولقى اميرها على ابن يوسف اللمتونى بالمسجد الجامع فى صـــلاة الجمعـــة فوعظـــه واغلظ لـــه القول ، ففاوض الفقهاء فى شانه ــ وكانوا ملئوا منه رعبا وحسدا لمـــا كـــان ينتحل مذهب الاشعريين فى تاويل المتشابه وينكـــر عليهـــم ــ واحضـــر للمناظرة بمحضر على بن يوسف فكان له الظهور عليهم • فخـــرج وفـــر منهـــم من يومه فلحق باغمات وغير المنكر بها على عادتـــه ، فاغرى به اهلهـــا عـــلى ابن يوسف فخرج هو وتلامذته ولحق بمسيعدة (1) ثم بهنتاتة ولقيه من اشياخهم الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، ثم ارتحل الامام عنهم الى ايكلين من بلاد هرغة فنزل على قومه ــ وذلك كله فى سنة خمس عشرة وخمسمائة ــ وبنى بها رابطة للعبادة واجتمع عليه الطلبة والقبائل فعلمهم التوحيد

وكان قاضى مراكش مالك بن وهيب حذر منه الامير على بـــن يوسف لانه كان حزاء ينظر فى النجوم وقال له : احتفظ على الدولة من الرجل واجعل على رجله كبلا لئلا يسمعك طبلا ، لانه اظنه صاحب الدرهم المربع * فبعث على بن يوسف الخيل فى طلبه ففاتهـــم ، وداخـــل عامـــل السوس وهو ابـــوبكـــر بـــن محمـــد

---

(1) لعل صوابه : بمسفيوة كما فى ابن خلدون ــ وغالب هذه النقلات ملخصة منه

اللمتونى بعض اهل هرغة فى قتله ونذر بهم اخوانهم فنقلوه الى معقل امتناعهم وقتلوا من داخل فى قتله .

بيعة المهدى

ثم دعوا المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المجسمين (I) فبويع يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان من سنة خمس عشرة . فاول من بايعه اصحابه العشرة تحت شجرة خرنوب وهم عبدالمومن بن على ، والشيخ ابو على عمر الصنهاجى ، والشيخ ابو حفص عمر الهنتاتى ، واسماعيل بن مخلوف وابراهيم بن اسماعيل الهرغى واسماعيل بن موسى ، وابو يحيى ابن مكيث (2) ومحمد بن سليمان ، وابو محمد عبد الله بن مالوتات (3). وابو محمد عبدالله بن عبد الواحد المكنى بالبشير . ثم بايعه من هنتاته يوسف بن وانودين ، وابن يغمور وابن ياسين ، ومن ينتمى الى عمر ابن تافراجين وجميع قبيلة هرغة، ثم دخل معهم واكرموه وكنفوه . ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى وكان لقبه قبل الامام وانتقل بعد بيعته بثلاث سنين الى جبل تينمل فاوطنه وبنى داره ومسجده بينهم حوالى منبع وادى نفيس وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا .

ثم عزم على غزو لمتونة فجمع سائر اهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم والتقى بهم فهزمهم واتبعهم الموحدون الى اغمات ، فلقيتهم هنالك جيوش لمتونة مع بكر بن على بن يوسف وابراهيم بن

---

(1) يعنى بهم المرابطين وحاشاهم من ذلك وانما هى دعاية سياسية لتبرير قتالهم ـ انظر الاستقصاء ج I ص 140 ـ ج 2 ص 103

(2) صوابه : يكيت كما فى ابن خلدون والاستقصاء

(3) صوابه : ملويات كما فى اولهما ، وفى بعض هذه الاسماء خلاف مع بقية المصادر

تاعباست فهزمهم الموحدون واتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة فى زهاء اربعين الفا كلهم رجالة ما بهم الا اربعون فارسا ـ وقيل اربعمائة ـ وذلك فى سنة اربع وعشرين فاقاموا عليها نحو اربعين يوما محاصرين لها اشد الحصار فجمع على بن يوسف الناس وبرز اليهم من باب ايلان فهزمهم واثخن فيهم قتلا وسبيا ، وفقد البشيير من اصحاب المهدى ، وابلى فى ذالك اليوم عبد المومن ابن على بلاء حسنا

ثم رحل المهدى عن مراكش وتوفى لاربعة اشهر بعدها فى ليلة الاربعاء لثلاث عشرة خلون من شهر رمضان المعظم سنة أربع وعشرين المذكورة هكذا حكاه ابن نخيل فى تاريخه (1) فكانت مدته من حين بويع تسع سنين ، وحكى ابن خلدون ان المهدى توفى سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة والله اعلم * قال وكان حصورا لاياتى النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم فى التقشف والعبادة ، ولم تحفظ عنه فلتة فى البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة فى القول بالامام المعصوم ، ودفن بمسجده الملاصق لداره من تينمل . وكتم أصحابه موته .

دولة عبد المومن بن على

وبايعوا منهم بعده الشيخ ابا على عمر الصنهاجي عرف الصناكى ، ثم قال لهم بعد ايام : هذا هو الذى عهد اليه الامام ـ يعنى عبد المومن بن على ـ فبويع وملك كثيرا من بلاد المغرب ، وقام بامر الموحدين وانفذ الغزاة واجمع على غزو بلاد المغرب ، فغزا غزوته الطويلة ـ من سنة اربع وثلاثين الى سنة احدى واربعين ـ خرج اليها من تينمل وخرج تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين صاحب مراكش

(1) لعله اعتبر في هذا التاريخ اعلان الوفاة بعد كتمها بخلاف ابن خلدون

ـ والناس يفرون منه الى عبد المومن ـ واشتعلت نار الفتنة وامتنع الرعايا من الغرم .

وتوفى فى خلال ذلك على بن يوسف صاحب مراكش فى ثالث رجب سنة سبع وثلاثين ، وهو الذى احدث مراكش فى سنة عشرين وخمسمائة وادار سورها وبنى سقايتها وجامعها وقصر امارتها وجعل دورها سبعة اميال ، وكانت قبل ذلك شعراء يسكنها البربر فاشتراها ابوه يوسف بن تاشفين منهم بسبعين درهما وبنى فيها مسجدا بالطوب وامر البربر بسكناها فعملوا فيها خوصا وسكنوها الى زمن بنائها * وزحف عبدالمومن بمن معه من تلمسان الى وهران ففجا لمتونة بعسكره فقهرهم ونجا تاشفين الى رابطة هناك واختفى فيها حتى جن الليل ثم خرج منها وما زال فارا حتى تردى عن فرسه من بعض حافات الجبل فهلك لسبع وعشرين خلون من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وبعث عبد المومن براسه الى تينمل ، ولجا فل العسكر الى وهران فانحصروا مع اهلها حتى جهدهم العطش فنزلوا جميعا على حكم عبد المومن يوم الفطر من تلك السنة فامر بتخريب بلدهم وهدمها .

ثم بعث لفتح تلمسان وزحف على فاس فاتته بها بيعة اهل سبتة فولى عليهم يوسف بن مخلوف الهنتاتى ومر بسلا ففتحها . ثم وصل الى مراكش فحصرها تسعة اشهر واميرها اسحاق بن على بن يوسف بويع صبيا صغيرا عند بلوغ خبر اخيه . وبعد طول الحصار جهدهم الجوع فبرزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون ففتحوا عليهم المدينة اواخر شوال سنة إحدى واربعين ، ونجا اسحاق بين يدى عبدالمومن فقتله الموحدون فى ثامن عشر شوال ، واستولى عبد المومن على جميع بلاد المغرب وانقضت منها دولة لمتونة .

وقدم على عبد المومن وفد اشبيلية بمراكش يقدمهم القاضى ابوبكر

ابن العربى ـ بعد قتل ولده عبد الله فى فتح اشبيلية ـ (I) فقبل طاعتهم وانصرفوا بالجوائز والاقطاعات لجميع الوفد سنة ثنتين واربعين وخمسمائة وتوفى القاضى ابوبكر فى طريقه فى جمادى الاخرة سنة ثنتين واربعين عند وصوله الى مدينة فاس فدفن بروضة الجياش بفاس وهو ابن خمس وسبعين سنة ـ وقيل توفى فى سابع ربيع الاول وقيل فى ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين قاله ابن حبيش ـ (2) يقال انه سم ما بين فاس وسبتة * قال ابن الدباغ بقى يفتى اربعين سنة •

وفى سنة ثنتين واربعين المذكورة توفى القاضى الامام ابو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية مفسر القرآن العظيم * وقال الغبرينى فى عنوانه توفى سنة احدى واربعين ـ سمعت شيخنا القاضى المفتى احمد بن محمد القلجانى يحكى ان بعض الادباء دخل محلة عبد المومن فوجد اهل المرية يشكون قاضيهم الامام ابا محمد عبد الحق بن غالب وينسبونه الى الزندقة قال فانشد بقوله ـ

قالوا تزندق عبد الحق قلت لهم

والله ما كان عبد الحق زنديقا

اهل المرية قوم لا خلاق لهم

يفسقون قضاة العدل تفسيقا

(I) لما اخذها الموحدون من المرابطين سنة 541 وجاء الوفد هذه السنة واقام بمراكش سنة ونصفا فى انتظار عبد المؤمن ، انظر الاستقصاء ج 2 ص 105 الطبعة الجديدة وانظر ج 3 من ازهار الرياض تحقيق قبر ابن العربى

(2) سواية ابن حبيش بالفتح ـ انظر ج 2 ص 1154 نفح الطيب

وفى ليلة الجمعة سابع جمادى الاخرة من سنة اربع واربعين وخمسمائة توفى بمراكش القاضى ابو الفضل عياض — وقيل فى شهر رمضان ، وقال ابن سعيد سنة ثنتين واربعين ، وبالاول قال ابن عات والتجانى —

ومولده بسبتة فى منتصف شعبان سنة ست وسبعين واربعمائة قاله ابن بشكوال وحفيده ، وقال ابن سعيد سنة خمس، وولى القضاء بسبتة سنة خمس وعشرين ، ثم انتقل الى قضاء غرناطة فى صفر سنة احدى وثلاثين ، وصرف عنها فى شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين ، واعيد لقضاء سبتة سنة تسع وثلاثين * وذكر ابن المعلم انه تولى قضاء قرطبة ولم يطل مقامه بها ثم اعاد مقامه بها ثم اعيد الى بلده * ولما اجتمع بالخليفة عبد المومن وجده قد تغير عليه (1) فاستعطفه بالمنظوم والمنثور حتى رق له وعفا عنه فلازم مجلسه الى ان رده لحضرة مراكش فلما وصلها بقى ثمانية ايام وتوفى بها * ومن نظمه فى صيفية باردة —

كان كانون اهدى من ملابسه ... لشهر تموز انواعا من الحلل
ام الغزالة من طول المدى خرفت ... فما تفرق بين الجدى والحمل

ومن نظمه يصف خامة الزرع امالتها جيوش —

انظر الى الزرع وخاماته ... تحكى وقد ماست امام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة ... شقائق النعمان فيها جراح

ولما نهض عبد المومن للجهاد واحتل بسلا قدم عليه هنالك وفد الاندلس سنة ثلاث وخمسين وفيهم حفصة الادبية المعروفة بابنة الحاج الركونى (2) وكان

---

(1) لانتقاضه عليه غير مرة — انظر الاستقصا ، ج 2 ص 102 ففيه بيان لظروف لقاء القاضى لعبد المؤمن وانه امره بسكنى مراكش (والظاهر انه ابعده بذلك عن بلده سبتة التى تكرر انتقاضه بها) وهو معنى رده اليها

(2) من اديبات غرناطة ، شاعرة فاتنة ، عابثة ماجنة ، واخبارها مستوفاة فى النفح ج 2 ص 1077 وما بعدها

سمع عنها وعما توصف به من الجمال الباهر والادب الظاهر فامر باحضارها فاحضرت فقال لها : انت حفصة الشاعرة ؟ فقالت : نعم خادمتك وصلت لتتبرك بغرتك السعيدة • ودنت فقبلت يده ثم انشدته تستدعى منه ظهيرا لوضع فسئلت عنه فقالت —

ياسيد الناس يا من يؤمل الناس رفده
امنن على بصك يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه (الحمد لله وحده)

فاعجب عبد المومن بها ووقع لها بالقرية المعروفة بركونة واليها تنسب فعاشت عيش الملوك •

فتح المهدية من يد النرمان

ونزل عبد المومن المهدية فى ثانى عشر رجب من سنة اربع وخمسين وخمسمائة ومعه الحسن بن على الصنهاجى صاحبها فلما عاين ابراجها الشامخة من جهة البر ركب فى سفينة وطاف بها من جهة البحر وقال للحسن : كيف نزلت عن هذا المعقل العظيم ؟ فقال : لقلة من يوثق به من الرجال وعدم القوت وحكم القدر (1) • وكان النصارى قد اخلوا مدينة زويلة فامر عبد المومن بادخال اسواق المحلة اليها وان يدخل من اهل المحلة من يعمرها فصارت من حينها مدينة عامرة فكان عبد المومن يقعد فى فسطاطه نهاره بالمحلة ويبيت الليل بدار داخل زويلة وحاصر المهدية برا وبحرا • ولما دخل بمن معه حصن المهدية واقام بالمدينة شعار الاسلام امر باصلاح ما ثلم من سورها بعد حصار ستة اشهر * وكان دخوله اليها فى المحرم من سنة

---

(1) تصويب السؤال والجواب من الاستقصاء ج 2 ص 122

خمس وخمسين وخمسمائة ٠

وقدم عبد المومن على المهدية محمد بن فرج الكومى وترك معه الحسن بن على الصنهاجى الذى كان صاحبها * ووفد على عبد المومن شيخ صفاقس عمر بن ابى الحسن الفريانى بعد ان غدر بالنصارى الذين كانوا بصفاقس وملكها ٠ ووفد عليه ايضا ابن مطروح شيخ طرابلس بعد ان قام على النصارى الذين بها فاحسن اليهما عبد المومن واكرم مثواهما ٠ ووفد عليه ايضا يحيى بن تميم ابن المعتز بن الرند صاحب قفصة وكان بطلا مشهورا وولده كذلك وهما من مغراوه من سكان نفزاوة فاكرمه عبد المومن ووصله وامره بالانتقال الى بجاية بحاشيته واهله فانتقل ومعه جده المعتز وهو هرم اعمى فاقاموا ببجاية برهة من الدهر وتوفى المعتز الاعمى ثم عاد ملكهم بعد ذلك الى قفصة * ودخل فى طاعة عبد المومن جميع ثوار افريقية منهم صاحب بنزرت عيسى بن مقرب بن طراد بن الورد اللخمى ودخل فى طاعته منيع بن بزوكش الصنهاجى صاحب زرعة وطبربة ٠ ولابيه خبر عجيب خلاصته إنه كان من فرسان صنهاجة وكانت اخته عند العزيز بن المنصور صاحب بجاية وكان العزيز يسامره فجعل العزيز ليلة يفخر بما له ولابائه من الملك فجعل بزوكش يصف ما جرى له من المواقف فى القبائل ثم يتمثل بهذا البيت

(كتب القتل والقتال علينا   وعلى الغانيات جر الذيول)

فاحتملها له العزيز واضمر الايقاع به ففهمت ذلك اخته وارسلت اليه : احقدت ملكا وتقيم فى بلده ؟ انظر لنفسك — فهرب — ولحق بباجة فاكرمه شيخها وبعثه على زرعة ٠

وكذلك ورد عليه محمد بن عمر التيفاشى وانشد

(ما هز عطفيه بين البيض والاسل   مثل الخليفة عبدالمومن بن على

وكانت السنة التى فتح فيها عبدالمومن بن على المهدية تسمى سنة الاخماس لانها سنة خمس

وخمسين وخمسمائة ـ وانصرف عبد المومن الى المغرب وولى على افريقية ولده ابا اسحاق ابراهيم ، وعلى تونس الشيخ ابا محمد عبد الله ابن ابـى يرفيسان الهرغى ، وولى على اعمالها المخزنية ابا حفص عمر بن فاخر العبدرى ، واحضر امراء العرب واحلفهم فى مصحف عثمان بن عفان على السمع والطاعـة والسيـر معه الى الاندلس لقتـال العـدو فلما سار نكثوا ايمانهـم • وانشد قاضى تونس ابو الحسن على بن احمد الابى بعد واقعة وقعت فى الاعراب وهزيمة فى خبر يطـــــول (I)

ولى انشبـــاب امـــام الشيـــب منهزمــــــا
فـــذا يصـــول وذا يشتـــد فـــى الهرب

ولما كانت سنة ثمان وخمسين استدعى عبدالمومن ولده ابا يعقوب يوسف من الاندلس لمراكش لولاية العهد عوضا من اخيه محمد فلحق بمراكش وخـرج مع ابيه للجهاد فادركت عبد المومن منيته بسلا فتوفى فى ليلة الخميس العاشر لجمادى الاخرة من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بتينمل بازاء قبـر المهدى وكانت خلافته ثلاثة وثلاثين عاما وثمانية اشهر ونصفا وخلف ستـة عشر ذكرا وبنتين •

دولة يوسف بن عبد المومن

فولى بعـــده ولده وولى عهده ابـــو يعقوب يوســـف بن عبد المومـــن بن على •

وفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة توفى السيـد الوزيـر ابـو حفص عمر بن عبد المومن •

(I) ليس هذا بالابى تلميذا بن عرفة الذى هو محمد بن خلفة كما فى نيل الابتهـاج وينبغى البحث عن هذا ولعل المؤلف اشار الى كونه كان قاضيا بتونس فى هذا العهد لما علم من ولوعه بتلوين السلك القضائى والا فـلامناسبة لانشاد البيت

ثم بلغ الخليفة يوسف المذكور ان على بن المعز ويعرف بالطويل من اعقاب بنى الرند (1) ملوك قفصة قد ثار بها سنة خمس وسبعين فرحل الخليفة اليها من مراكش فوصل الى بجاية وسعى عنده بعلى بن المنتصر فقبض عليه واخذ ما بيديه • ورحل الى قفصة فنازلها ووفدت عليه مشيخة العرب من رياح بالطاعة فقبلهم ولم يزل محاصرا لقفصة الى ان نزل على بن المعز على حكمه وانكفا راجعا الى تونس فعقد على افريقية والزاب للسيد ابى على اخيه وعلى بجاية للسيد ابى موسى • وقفل الى مراكش

ونهض سنة سبع وسبعين الى سلا واتاه بها ابو محمد ابن اسحاق بن جامع من افريقية بحشود العرب •

وفى السنة المذكورة عقد الخليفة للقاضى ابى الوليد ابن رشد الحفيد على القضاء بقرطبة •

ثم جاز الخليفة البحر من سبتة فى صفر من سنة ثمانين وخمسمائة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية ورحل غازيا الى شنترين فحاصرها اياما ثم اقلع عنها واسحر الناس يوم اقلاعه فخرج النصارى من الحصن فوجدوا الخليفة فى غير اهبة فابلى بالجهاد هو ومن حضره وانصرفوا بعد جولة شديدة وهلك الخليفة فى ذلك اليوم من سهم اصابه فى ساعة القتال * وفيه يقول ابن الخطيب رحمه الله تعالى

فرزق الشهادة المعلومة   كانت بها اعماله مختومة

وقيل من مرض طرقه وذلك فى يوم السبت الثامن عشر من ربيع الاخر سنة ثمانين وخمسمائة ودفن برباط الفتح فكانت خلافته احدى وعشرين سنة وعشر اشهر وثمانية ايام وخلف من البنين ثمانية عشر ولدا ذكرا •

---

(1) كذا صوابه كما فى ابن خلدون

دولة يعقوب المنصور ابن يوسف

فتولى بعده ولده ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن ابن علي مولده في العشر الاواخر من ذى الحجة سنة اربع وخمسين بويع بالمحلة بعد وفاة والده ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة واستوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص واستنفر الناس للغزو مع آخيه السيد ابى يحيى فاخذ بعض الحصون واوغل في بلاد الكفار • ثم جاز يعقوب المنصور في البحر الى مراكش ولما دخلها قطع المناكير واقام العدل وباشر الاحكام وكان من اهل العلم والتوقيع في الجواب باحسن توقيع ، طلب يوما من قاضيه ان يختار له معلما او معلمين لتعليم ولد عنده وضبط اوامره فجاء برجلين وكتب له رقعة يصفهما له : احدهما هو بر في دينه والاخر هو بحر في علمه • فاختبرهما السلطان بنفسه فاكذبهما في اختباره ووجدهما ليس كما قال القاضي فكتب على رقعة القاضي : (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ظهر الفساد في البر والبحر) وهذا من التوقيع الغريب في الاجادة •

وفي صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة قدم على ابن اسحاق بن محمد ابن غانية الميورقي من ميورقة في البحر الى بجاية ومعه اخوته في اثنتين وثلاثين قطعة فنزلوا بجاية على حين غفلة من واليها حينئذ السيد ابى عبدالله محمد بن عبد المومن (1) وكان خارجها في بعض مذاهبه فاستولى عليها •

وفي سنة احدى وثمانين توفي الفقيه القاضي الامام الشهير ابو محمد عبد الحق الاشبيلي ببجاية وقيل في سنة اثنتين وثمانين وهو صاحب الاحكام والعاقبة وغيرهما •

---

(1) في ابن خلدون : ابو الربيع ابن عبد الله بن عبد المؤمن

ولما اتصل بالخليفة يعقوب المنصور ما نزل بافريقية نهض من مراكش سنة ثلاث وثمانين لحسم هذا الداء فوصل الى تونس واستراح بها ثم سرح فى مقدمته السيد ابا يوسف يعقوب ابن ابى حفص ابن عبد المومن فلقيهم ابن غانية فانهزم الموحدون واخذت اسلابهم • ورحل المنصور الى ابن غانية وقراقوش فاوقع بهما فى ظاهر الحامة فى شعبان وافلت ابن غانية وقراقوش وبادر اهل قابس وسلموا من كان عندهم من الموحدين وحملوا الى مراكش • وقصد المنصور توزر فبادر اهلها بالطاعة ثم رحل الى قفصة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وامن اهل البلد فى انفسهم وجعل املاكهم بيدهم على حكم المساقاة * ثم غزا العرب وقتل كثيرا منهم وقفل الى المغرب سنة اربع وثمانين وخمسمائة وعقد على افريقية للسيد ابى زيد ابن ابى حفص ابن عبد المومن •

وفى حدود عام تسعين وخمسمائة توفى الشيخ الصالح الولى القطب ابو مدين شعيب بن الحسن الاندلسى ببلد تلمسان بالموضع المعروف بالعباد ودفن هنالك وكان قاصدا من بجاية لمراكش لاستدعاء الخليفة له لما اشتهر من امره ببجاية •

وفى سنة خمس وتسعين امر المنصور اليهود بعمل الشكلة وجعل قمصهم طول ذراع فى عرض ذراع وجعل لهم برانس وقلانس زرقا * واختلف فى موته رحمه الله فقيل فى اوائل سنة خمس وتسعين وخمسمائة طرقه المرض الذى كان فيه حمامه فاوصى وصيته المشهورة ثم توفى فى ليلة الجمعة الثانية والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بمجلس سكناه من مراكش ثم نقل الى رابطة تينمل * وقيل انه خرج من الخلافة فرابط ببلاد الاندلس * وقيل انه مشى حاجا قاله ابو سعيد اخبرنى الحاج ابن مزينة قال اخبرنى بعض المشارقة ان قبر يعقوب المنصور ملك

المغرب ببلد الشام يتبرك به والله اعلم * فكانت خلافته اربع عشرة سنة واحد عشر شهرا واربعة ايام وخلف من الولد ثمانية ذكور ٠

دولة محمد الناصر ابن المنصور

فتولى بعده ولده ابو عبد الله محمد بن يعقوب المنصورا بن ابى يعقوب يوسف بن عبد المومن بن على بويع يوم وفاة والده وتلقب بالناصر لدين الله واستوزر ابا زيد ابن ابى (1) حيان وهو ابن اخى الشيخ ابى حفص ثم استوزر الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص ٠

واتصل الخبر بالناصر بمراكش بحلول ابن غانية بافريقية وما دهم افريقية من الفتنة فرحل اليها سنة احدى وستمائة وبلغ ابن غانية خبر مجيئه فوجه ذخائره الى المهدية وكان الوالى عليها ابن عمه على ابن الغازى وخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب واعطوه الرهين على المظاهرة ونازل طرة من حصون نفزاوة فاستباحها وانتقل الى حامة مطماطة ٠ ونزل الناصر تونس ثم قفصة ثم قابس وتحصن منه ابن غانية فى جبل دمر فرجع الى المهدية عنه وعسكر بها واخذ فى حصارها ٠ وسرح الشيخ ابا محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص لقتال ابن غانية فى اربعة ءالاف من الموحدين سنة ثنتين وستمائة فلقيه بجبل تاجرا من نواحى قابس فهزمه الشيخ ابو محمد وقتل اخاه جبارة بن اسحاق واخذ جميع محلته واستنقذ من يده جماعة من الموحدين من معتقلهم منهم السيد ابو زيد الذى كان واليا بتونس ودخل عليه ابن غانية بها ٠ ولم يزل الناصر محاصرا للمهدية حتى فتحها يوم السبت السابع والعشرين لجمادى الاولى

---

(1) فى ابن خلدون : ابن يوجان

سنة ثنتين وستمائة بتسليم صاحبها على بن الغازى ابن عم ابن غانية فقبل الناصر على بن الغازى واكرمه ولم يزل معه الى ان استشهد * وولى الناصر المهدية لمحمد بن نعمون من الموحدين ورحل الى تونس فاقام بها حولا الى منتصف سنة ثلاث وستمائة وسرح اثناء ذلك اخاه السيد ابا اسحاق لتتبع المفسدين فسار الى ان دوخ منا وراء طرابلس وشارف ارض سرت وبرقة وانتهى الى سويقة ابن مذكور • وفر ابن غانية الى صحراء برقة وانقطع خبره وانكفا السيد ابو إسحاق راجعا الى تونس •

مبدا الدولة الحفصية بتونس

وعزم الناصر على الرحيل الى المغرب فنظر فيمن يوليه افريقية فوقع اختياره على وزيره الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص فعقد له على ذلك سنة ثلاث وستمائة بعد امتناع من الشيخ ابى محمد وبعد ان ارسل الناصر اليه ولده يوسف وقال له : اما ان تتوجه انت الى المغرب واجلس انا بافريقية واما ان تجلس انت وانصرف انا • فاجاب الشيخ ابو محمد الى ذلك على شريطة اللحاق بالمغرب بعد قضاء مهمات افريقية في ثلاث سنين وعلى ان يختار من رجال الموحدين من يجلس معه ويكون عونا له في جميع ضرورياته وان لايتعقب عليه في اموره في تولية ولا عزل • فقبل الناصر شرطه ورحل عن تونس في شهر رمضان سنة ثلاث فدخل مراكش في ربيع سنة اربع وستمائة

واستكتب ابو محمد عبدالواحد الفقيه ابا عبدالله محمد بن احمد بن نخيل المشهود له بالجود وحسن الوساطة وحسن التدبير واصلح الاحوال ورتب الاجناد واخترع زمام التضييف للوفود • وكان يجلس كل يوم سبت لسائل الناس وكان عالما فاضلا شجاعا محسنا ذكيا فطنا •

ثم ان ابن غانية جمع العرب من الدواودة وغيرهم فجاء بهم لقتال الموحدين بتونس فخرج اليه الشيخ ابو محمد عبدالواحد مع بنى عوف من

سليم فالتقوا بتاجرا قرب مدينة ... فانهزم ابن غانية ولجا الى جهة طرابلس . وكان يحيى بن غانية اذا اتى اعمال افريقية وما والت اليه من امر الحجاج ويكون الهياج يتمثل بقول القائل في الحجاج

وقد كان العراق له اضطراب فسكن امره باخي ثقيف

ثم ان الناصر صرف وجهة الى الجهاد بالاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ولما احتل ببلاد الفتح من ملاقاة العدو هزيمته فانحل القوم وتفرقت الجموع . وكانت وفاته يوم الثلاثاء العاشر لشعبان من سنة عشر وستمائة وكان سبب وفاته من كلب عضه في بستان فكانت خلافته خمس عشرة سنة واربعة اشهر وتسعة عشر يوما وخلف ولدين يوسف ويحيى .

دولة يوسف ابن الناصر بالمغرب

فتولى بعده الخلافة ولده يوسف ابن ابي عبد الله محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المومن بويع يوم وفاة ابيه وسنه عشرة اعوام ولقب بالمنتصر (I) بالله وغلب عليه ابن جامع ومشيخة الموحدين فقاموا بامره وتاخرت بيعة ابي محمد عبدالواحد ابن ابي حفص لصغر سنه . ثم وقعت المكاتبات من الوزير ابن جامع وصاحب الاشغال عبد العزيز بن ابي زيد حتى وصلت بيعة الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص

وفي عام عشرة وستمائة كان ابتداء بني مرين بعد مولد ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق بسنة واحدة وكانوا نحو اربعمائة فارس .

وفي يوم الخميس اول المحرم فاتح عام ثمانية عشر وستمائة توفي الشيخ ابو محمد عبدالواحد ابن الشيخ ابي حفص بتونس ودفن بقصبتها بعد صلاة الصبح ولم يوجد بتركته الا خرائط يسيرة مكتوب على كل واحدة (تبرة) اشارة الى ان ذلك المال مما خلف من مواهبه السلطانية

(I) في ابن خلدون : المستنصر

بقبرة وهي قرية من قطر قرطبة وكان كلما وصله شيء من ذلك جمعه ووجه به الى الحرمين الشريفين • وتولى بعده السيد ابو العلاء ادريس بن يوسف بن عبد المومن • ولما توفى الشيخ ابو محمد قام ابن غانية واشتهر نفاقه وكثر فخرج اليه السيد ابو زيد (I) وتزاحفوا بظاهر تونس فى اوائل سنة احدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه وامتلات ايدى الموحدين بالغنائم وكان نهوارة ــ واميرهم يومئذ شاب اسمه حناش ــ فى هذه الزحفة اثرمذكور • وكان بلغ السيد ابا زيد المشمر وهو اذ ذاك بالقيروان مهلك ابيه بتونس فانكفا راجعا الى تونس • وكان مهلك ابيه بتونس فى شهر شعبان من سنة عشرين وستمائة •

وتوفى المنتصر فى يوم السبت من ذى الحجة من ذلك العام مسموما سمه الوزير ابو سعيد ابن جامع مع الفتى مسرور كذا ذكره فى ترجمان العبر • وذكر ابن الخطيب الاندلسى انه كان مولعا بالحيوان ونتاج الحيوان فتوسط يوما قطيعا من البقر فانكرته احدى طغاتهن فطعنته فاتت عليه • فكانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر ويومين•

مبدا اضطراب الدولة الموحدية بالمغرب

فتولى بعده عم ابيه ابو محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المومن وهو اخو المنصور وهو المعروف بالمخلوع وذلك انه لما توفى المنتصر اجتمع ابن جامع والموحدون بمراكش فبايعوا له فقام بالامر وكتب لاخيه ابى العلاء بتجديد الولاية على افريقية •

وخلع الموحدون بمراكش الخليفة ابا محمد عبد الواحد يوم السبت الموفى عشرين من شعبان سنة احدى وعشرين وستمائة فكانت ولايته ثمانية اشهر وتسعة ايام •

وبعث الموحدون ببيعتهم الى العادل صاحب مرسية وهو ابو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور ابن ابى يعقوب يوسف بن عبد المومن بن على • ولما بلغت البيعة للعادل وبلغه كتاب الوزير ابى زكرياء ابن ابى يحيى الشهيد ابن الشيخ ابى حفص رحمه الله تعالى بنقض بيعة المخلوع

(I) هو ابن الوالى ابى العلاء ويعرف بالمشمر وياتى عنه حديث بعد

وفراق جماعته (وجعل ذلك لغيره) (1) للبياسي وانتقاض البياسي عليه ودعوته لنفسه وشغل بشانه وبعث اليه اخاه ابا العلاء لحصاره • وجاز العادل الى العدوة وفوض امر الاندلس الى اخيه ابي العلاء * ولما كان بقصر المجاز لقيه ابو محمد عبد الله المعروف بعبو ابن الشيخ ابي حفص فسأله عن الحال فانشد متمثلا

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان الى امنها تائبا

فاستحسنه لموافقته للحال اذ العادل هو ابن منصور فولاه افريقية • وكتب للسيد ابي زيد المشمر ابن عمه ابي العلاء ادريس بالقدوم عليه بمراكش فارتحل ووصل ابو محمد عبد الله عبو المذكور لتونس وبين يديه اخوه المولى الامير ابو زكرياء يحيى في يوم السبت سابع عشر ذي القعدة من عام ثلاثة وعشرين وستمائة • فلما استقر بتونس عهد لاخيه المولى ابي زكرياء يحيى المذكور على مدينة قابس واضاف اليها الحامة وسائر تلك البلاد وعقد لاخيه ابي ابراهيم على توزر ونفطة وسائر بلاد قسطيلية

فلم يزل المولى ابو زكرياء واليا على قابس واعمالها الى ان وقعت بينه وبين اخيه ابي محمد عبو وحشة عزله بسببها من قابس واعمالها وامر اخاه ابا ابراهيم صاحب قسطيلية بالسير الى قابس والقبض عليه • فسار اليه • فبلغه في اثناء طريقه ان المولى ابا زكرياء يحيى كتب ببيعته للمامون فنكب عنه الى المهدية وخاطب اخاه ابا محمد عبو بذلك • وخرج ابو زكرياء يحيى ابن ابي يحيى الشهيد ويوسف ابن ابي الحسن علي الى قبائلهما فاتفقا على خلع العادل والبيعة ليحيى ابن الناصر وقصدوا مراكش فاقتحموا عليه القصر وانتهبوه • وقتل العادل

---

(1) الجملة المحصورة لاتفهم الا بمراجعة اصلها من ابن خلدون وهو قوله — في جواب لما — « فارن ذلك تغيره للبياسي » وهذا البياسي هو ابو محمد ابن محمد ابن ابي حفص ابن عبد المؤمن صاحب جيان

خنقا في الثاني والعشرين لشوال سنة اربع وعشرين وستمائة فكانت خلافته من حين بويع بمرسية ثلاث سنين وثمانية اشهر وعشرة ايام ٠

وبويع بعده بمراكش ابوزكرياء يحيى المعتصم ابن ابي عبدالله الناصر ابن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن ٠ وكان السيد ابو العلاء ادريس المامون ابن المنصور لما بلغه انتقاض الموحدين والعرب على اخيه العادل وتلاشي امره دعا لنفسه باشبيلية فبويع بها في يوم الخميس ثاني شهر شوال سنة الربع وعشرين وستمائة وبايعه اكثر اهل الاندلس وبايع له السيد ابو زيد صاحب بلنسية وشرق الاندلس * ثم لما قدم الموحدون على العادل وقتلوه بالقصر وبايعوا يحيى ابن اخيه الناصر كاتب ابن يوجان سرا وعمل على فساد الدولة فداخل هسكورة والعرب في الغارة على مراكش فاغاروا عليها وهزموا عساكر الموحدين ٠ وفطن ابو زكرياء يحيى ابن ابي يحيى الشهيد لتدبير ابي زيد بن يوجان فقتله في داره * وخرج يحيى ابن الناصر الى معتصمه فخلعه الموحدون بمراكش وبعثوا ببيعتهم الى المامون صاحب اشبيلية وهو ابو العلا ادريس المامون ابن يعقوب المنصور ابن ابي يعقوب يوسف ابن عبد المومن بن علي ٠ وكان الذي تولى كبر خلع يحيى ابن الناصر ٠ وكتب البيعة للمامون الحسن القريفري (1) وابو حفص ابن ابي حفص ابن عبد المومن ٠ فبلغ خبرهما الى يحيى بن الناصر وابن الشهيد ومن معهما فنزلوا الى مراكش سنة ست وعشرين وستمائة وقتلوهما ٠

وبايع للمامون اهل فاس وصاحب تلمسان محمد ابن ابي زيد بن يوجان وصاحب سبتة ابو موسى ابن المنصور وصاحب بجاية ابن اخته ابن الاطاس ٠ فبعث المامون الى صاحب افريقية ابي محمد عبد الله ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد لياخذ له البيعة فتوقف وظن انها مكيدة عليه وقال للرسول نحن مقيمون على بيعة العادل فاذا تحققنا موته بايعنا اخاه فرجع الرسول بغير كتاب

---

(1) في ابن خلدون : الغريغر وما هنا كله ملخص منه

ولا جواب * وكتب للامير ابى زكرياء يحيى ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن ابى حفص وكان اذ ذاك واليا على قابس بالولاية على افريقية وبعزل اخيه ابى محمد عبد الله عبو لاجل امتناعه من بيعته فبادر المولى ابو زكرياء يحيى بالبيعة للمامون فاتصل ذلك باخيه ابى محمد عبدالله المذكور فخرج من تونس متوجها اليه فلما وصل الى القيروان جمع من معه من اشياخ الموحدين وعرفهم بما عزم عليه من قتال اخيه فاظهروا الكراهية لذلك لمحبتهم فى المولى ابى زكرياء واعتذروا له فلم يقبل منهم وانتهرهم فقاموا قيام رجل واحد واغلظوا عليه ورجموه بالحجارة فقام اولاده دونه يقونه بانفسهم الى ان دخل فسطاطه ، فوجه الناس اشياخا منهم الى المولى ابى زكرياء يعرفونه بذلك ويطلبون منه المبادرة بالوصول فبادر المولى ابو زكرياء صحبة اولئك الاشياخ وتسلم العسكر من اخيه وسار الى تونس وحمل اخاه محتاطا عليه فادخله ليلا الى القصر المعروف بقصر ابن فاخر فاعتقله فيه ٠

مبدا دولة ابى زكرياء يحى بن عبد الواحد

موطد الدولة الحفصية بتونس

وكان دخول المولى ابى زكرياء يحيى الى تونس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة خمس وعشرين وستمائة ولم يكن اهم لديه من القبض على ابى عمرو كاتب اخيه فاخذه وبسط عليه العذاب الى ان مات ورميت جثته وكان يغرى اخاه به ٠ ثم ان الامير ابا زكرياء وجه باخيه ابى محمد عبد الله عبو الى المغرب فى البحر ٠

ثم ان المامون بعث عمالا لتونس فانف من ذلك المولى ابو زكرياء وصرفهم من حيث اقبلوا وخطب بتونس لابى زكرياء يحيى المعتصم ابن الناصر وهو حينئذ المنازع للمامون فى الخلافة وكتب المولى ابو زكرياء الى جميع بلاد افريقية بخلع ابى العلاء المامون ثم اسقط المولى ابو زكرياء اسم ابى زكرياء يحيى المعتصم ابن الناصر

من الخطبة في بلاد افريقية واقتصر على الدعاء للمهدى والخلفاء الراشدين — وكان ذلك اول درجة في الاستبداد — وذلك في اول سنة سبع وعشرين وستمائة وسمى نفسه بالامير وكتبه في صدور كتبه ولم يتعرض لذلك في الخطبة سياسة منه واختبارا لاحوال افريقية فلما لم ير منهم انكارا استبد الاستبداد التام وعقد لنفسه البيعة العامة ، وذلك في سنة اربع وثلاثين حسبما ياتى ذلك ان شاء الله تعالى

وفي الموفى ثلاثين لشهر رمضان من سنة خمس وعشرين وستمائة عزل ابو زكرياء يحيى قاضى الجماعة بتونس — طلب من السلطان ذلك — وقدم عوضه ابا عبد الله ابن زيادة الله القابسي (1) .

ثم ان يحيى بن الناصر زحف الى المامون فخرج اليه فهزمه وقتل من كان معه ونصب رؤوسهم بمراكش ولحق يحيى ابن الناصر ببلاد هرغة وسجلماسة .

وفي سنة سبع وعشرين وستمائة بويع بتونس السلطان المولى الامير ابو يحيى زكرياء ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص عمر ، والشيخ ابو حفص هو عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن على بن احمد بن والال بن ادريس ابن خالد بن اليسع بن الياس بن عمر بن ياسين ابن محمد بن نجبة ابن كعب بن محمد بن سالم بن عبد الله بن امير المؤمنين عمر بن الخطاب * كذا نسبه ابن نخيل (2) وغيره من المؤرخين حكاه ابن خلدون في ترجمان العبر في اخبار العرب والبربر — بويع في السنة المذكورة بتونس

---

(1) هذا اول قاض حفصى مذكور بناء على ابهام سلفه المستعفى ، ولم تقع لنا ترجمته

(2) كذلك اورده ابن خلدون معزوا الى ابن نخيل (وكانه معمل انساب) وتكلف الاعتذار له بقوله : ويظهر منه ان هذا النسب القرشي وقع في المصامدة والتحم به الخ ، ولئن كان ابن خلدون — في نسب المهدى وعبد المؤمن — محترزا بعض الشيء فهو في نسب الحفصيين اشد احترازا لانه في وسط دولتهم ، وهو يعلم انهم اتخذوه آلة لادعاء الخلافة — بعد افول نجمها بالمشرق — لما ورد من انها في قريش

وبلادها * وكتب علامته بيده ـ الحمدلله والشكر لله ـ وأبقى اسم المهدى فى الخطبة وغيرها ولم يذكر هو اسمه فى الخطبة * وكان فقيها عارفا ظريفا له شعر كثير مدون مع الجزالة فى الامور وصلحت به البلاد ورخصت الاسعار وامنت الطرق وجمع من الاموال والسلاح ما لم يجمعه احد *

وفى السنة المذكورة بنى المولى ابو زكرياء المصلى خارج باب المنارة بتونس وجعل له ابراجا وشرائف كانه بلد صغير ومساحته قدر مساحة بنزرت ليس بينهما طائل (I) ولما استقل المولى ابو زكرياء بتونس وخلع بيعة بنى عبدالمومن نهض الى قسنطينة فى سنة ثمان وعشرين وستمائة فنزل بساحتها وحاصرها اياما ثم داخله ابن علناس فى شانها ومكنه من غرتها فدخلها وقبض على واليها وولى عليها ابن النعمان ورحل الى بجاية ففتحها وقبض على واليها وصيرهما الى المهدية معتقلين فى البحر وبعث باهلهما وولدهما الى الاندلس فنزلوا باشبيلية ، وبعث معهما (صاحبها معتقلا)(2) الى المهدية محمد بن جامع وابن اخيه جابر بن عون بن جامع من شيوخ مرداس بن عوف وابن ابى الشيخ ابن عساكر من شيوخ الذواودة فاعتقلوا جميعا بمطبق المهدية * وكان اخوه ابو عبد الله اللحيانى ابن الشيخ ابى محمد عبد الوحد ابن ابى حفص صاحب اشغال بجاية فلما افتتحها اخوه المولى ابو زكرياء صار فى جملته فولاه بعده الولاية الجليلة وكان يستخلفه بتونس فى مغيبه * ثم ان المولى ابا زكرياء قبض على وزيره ميمون بن موسى واخذ امواله وبعث به الى قابس واعتقل فيها مدة طويلة ثم صرفه الى الاسكندرية واستوزر مكانه

(I) هذا المصلى هو الذى بنيت به قشلة المركاض كما فى التاريخ الضيافى (مركز الحرس الوطنى الآن) ويؤيده ماورد فى بعض كتب المناقب من ان جبانة الشرف (القرجانى) غربيه

(2) الخبر كله منقول عن ابن خلدون بقصور * وعبارته (وبعث معهما الى المهدية فى الاعتقال محمد بن جامع وابنه وابن اخيه جابر

ابا يحيى ابن ابى العلاء ابن جامع الى ان هلك فاستوزر بعده ادريس ابن اخيه علي الى ان هلك فاستوزر بعده ابا زيد ابن اخيه محمد الاخير الى ان هلك •

وفى ليلة الاثنين السادسة عشرة لشعبان من سنة ثمان وعشرين وستمائة توفى بتونس الشيخ الصالح ابو سعيد خلف بن يحيى التميمى الباجي ودفن بجبانته المعروفة به بجبل المرسى بمقربة من المنارة •

وفى سنة تسع وعشرين وستمائة ابتدا السلطان ابو زكرياء يحيى بنيان جامع القصبة بتونس وجدد رسوم القصبة (1) * ولما كملت الصومعة فى شهر رمضان من سنة ثلاثين وستمائة صعد اليها بليل واذن فيها بنفسه •

وفى السنة المذكورة انتقض على المامون صاحب مراكش اخوه ابو موسى بسبتة ودعا لنفسه وتسمى بالمؤيد * ثم ان المامون توفى فى طريقه بوادى ام ربيع فى يوم السبت منسلخ ذى الحجة سنة تسع وعشرين وستمائة فكانت خلافته من حين بويع باشبيلية خمس سنين وثلاثة اشهر وخلف من الاولاد الذكور اثنين عبد الواحد والسعيد * فبويع بعده ولده ابو محمد عبد الواحد ابن ابى العلاء ادريس المامون ابن ابى يوسف يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بن على يوم وفاة ابيه ولقب بالرشيد وكتموا موت ابيه واغذوا السير الى مراكش ولقيهم يحيى بن الناصر فى طريقهم بعد ان استخلف بمراكش ابا سعيد ابن وانودين فهزموه وقتل اكثر من معه واخذ الموحدون جيشه وسلبوا اموالهم واصبح الرشيد بمراكش فامتنعوا عليه ساعة ثم خرجوا اليه وبايعوه •

وفى يوم الجمعة السابع لشهر صفر الخير من سنة ثلاث وثلاثين المذكورة

---

(1) نسبة الجامع لابى زكرياء تاسيسا كما ذكره المؤرخ واما القصبة فقد جددها ولم تكن مذكورة فى الدولة الخراسانية وما قبلها • وفى الحلل السندسية للسراج ان مؤسسها عبد المؤمن فى حملة سنة الاحواس

فرغ من بناء جامع القصبة بمدينة تونس .

وفى سنة اربع وثلاثين وستمائة ذكر المولى ابو زكرياء نفسه فى الخطبة بعد ذكر الامام مقتصرا على ذكر الامير وبويع البيعة الثانية التامة التى لم يتخلف فيها احد من الناس ولم يتسم باميرالمومنين وعرض له بعض الشعراء فى ذلك بقوله

الا صلنى اميـر المومنينـا فـانت بها احق العالمينـا

فلما بلغه هذا انكره وقال : ما للشعراء والدخول فى هذا الفضول ؟

بيعة الاندلس لابى زكرياء

وبايع اهل بلنسية المولى ابا زكرياء صاحب تونس فى رابع المحرم عام ستة وثلاثين وستمائة بعد ان كانت وقعة كبيرة قتل فيها الحافظ ابو الربيع ابن سالم (1) وغيره وكانت الوقعة فى الموفى عشرين لذى الحجة من عام اربعة وثلاثين ودنا العدو منها وضيق عليها فاضطر صاحبها زيان ابن مردنيش الى الاستغاثة بالمولى ابى زكرياء فوجه اليه بيعته مع رجال من اهل دولته فيهم كاتبه الفقيه الشهير ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابى بكر ابن الابار القضاعى فوصلوا الى تونس وانشد ابن الابار بين يدى المولى ابى زكرياء فى يوم الثلاثاء منسلخ شهر رجب من عام ستة وثلاثين المذكور قصيدته المشهورة التى اولها

ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الى منجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ماالتمست فلم يزل منك عن النصر ملتمسا

---

(1) الكلاعى حافظ الاندلس صاحب السيرة وغيرها توفى سنة 634 الديباج

الى آخرها وهى ستة وستون بيتا فعاجلهم المولى ابو زكرياء فى الوقت بما امكنته المبادرة من طعام وانعام وكانت قيمة ذلك مائة الف دينار فاعجل تغلب العدو عليهم عن تمام نصرته لهم واغتبط ابن الابار بافريقية وعاد الى الاندلس فاحتمل اهله واقبل الى حضرة تونس فاقبل عليه المولى ابو زكرياء واستكتبه ثم ترقى بعد موت ابى عبد الله ابن الجلاء الى كتب العلامة حسبما يذكر بعد ·

وفى السنة المذكورة نهض المولى ابو زكرياء من تونس يؤم بلاد زناتة بالمغرب الاوسط فسار الى بجاية ثم ارتحل الى الجزائر فافتتحها وولى عليها من قبله ثم نهض منها الى بلاد مغراوة فاطاعه بنو منديل وتجاهر بنو توجين بالخلاف فاوقع بهم وقبض على رئيسهم عبد القوى بن العباس واعتقله وبعث به الى تونس ، واقبل راجعا الى حضرته ، وعقد فى رجوعه على بجاية لابنه الامير ابى يحيى وانزله بها ·

وفى يوم الخميس الثانى لشهر رجب من سنة ثمان وثلاثين وستمائة كتب المولى ابو زكرياء صاحب تونس عهده لولده الامير ابى يحى زكرياء صاحب بجاية وخطب له على جميع منابر افريقية ·

وفى هذه السنة توفى ابو عبد الله محمد بن محمد بن الجلاء البجائى صاحب خطة الانشاء والعلامة (1) بتونس للمولى ابى زكرياء فقدم بعده لذلك الفقيه ابا عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابار فبقى مدة يسيرة ثم اخر عنها لسوء خلقه واقدامه على التعليم فى كتب لم يومر بالتعليم فيها فقدم بعده للانشاء والعلامة احمد بن ابراهيم الغسانى واستمر على ذلك الى ان توفى المولى ابو زكرياء

---

(1) هذه الخطة من اكبر خطط الدولة بافريقية والاندلس ولصاحبها مقام وزير فاذا ضمت اليه مهمة سياسية نعت بذى الوزارتين السيف والقلم ـ والعلامة بمثابة الطغراء والختم فى الشرق وبها تكسى الاوامر صبغة التنفيذ ، ولذلك يختار لها مهرة الكتاب المتميزين عن غيرهم كتميز الغسانى بالخط المشرقى تحرزا من التقليد

وكان الغسانى يكتب العلامة بالخط المشرقى بما نصه (من الامير ابى زكرياء ابن ابى محمد ابن الشيخ ابى حفص)

وفى شهر شوال من سنة تسع وثلاثين المذكورة تحرك الامير ابو زكرياء صاحب تونس الى تلمسان فى جيش جملته اربعة وستون الفا من الفرسان فحاصرها حتى اخذها عنوة فى شهر ربيع الاول من سنة اربعين من باب كشوط على صاحبها يغمراسن بن زيان العبد الوادى فلما راى يغمراسن ما احاط بالبلد قصد باب القصبة لابسا سلاحه فى خاصته فاعترضته عساكر الموحدين فقصد نحوهم وجدل بعض ابطالهم فافرجوا له ولحق بالصحراء وافتتحت جيوش الموحدين تلمسان من كل حدب وعاثوا فيها • ثم لما انجلى غشاء تلك الهيعة اعمل المولى ابو زكرياء نظره فيمن يقلده امر تلمسان والمغرب الاوسط وكان يغمراسن صاحبها خلال ذلك و قد ارسل الى المولى ابى زكرياء راغبا فى القيام بدعوته بتلمسان فخاطبه المولى ابو زكرياء بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش ووفدت ام يغمراسن واسمها سوط النساء بالاشتراط والقبول فاكرم موصلها واسنى جائزتها واحسن وفادتها • ثم ارتحل المولى ابو زكرياء الى تونس ورد يغمراسن الى بلده تلمسان فكانت غيبته تسعة اشهر •

وفى السنة المذكورة اخذ محمد بن محمد الجواهرى صاحب الاشغال (٢) بتونس وكان اول من تولى النظر فى دار الاشغال من غير الموحدين وذلك انه كان تمكن من المولى ابى زكرياء لانه كان اظهر نجابة فى جباية مال العمود الذى كان ماكلة للعمال فقربه بسبب ذلك وقدمه للاشغال فاقتنى الاموال وصنع الرجال وعزم على انه مهما ظهر له تغير لجا الى من اعتده من الفرسان ، وكان يعادى رئيس الدولة ابا على ابن النعمان وابا عبد الله ابن الحسين فالقيا

---

(٢) هذه الخطة بمثابة وزارة المال • ويدل على ذلك ترقى صاحبها المذكور اليها من احد فروعها بجباية مال العمود ـ اى الخيام كما فى ابن خلدون ، والجواهرى جاء هنا وفى ابن الشماع بالالف وفى ابن خلدون بدونه ويرجحه ما ياتى من الشعر (كمثل عام الجوهرى) وهو نص

فى سمع الامير ابى زكرياء ما ذكر انه عزم عليه وكان ايضا من اشد من يشنع عليه الوزير ابو يحيى ابن ابى الحسن ابن جامع، فلما توفى الوزير المذكور لم يصدق الجواهرى بموته وانشد :

وان حياة المرء بعد عدوه ولو ساعة من عمره لكثير

فكان القدر جرى على لسانه فلم يعش بعده الا مدة يسيرة حتى امر به فاخذ وحمل الى موضع من القصبة وهو الان معروف باسمه فثقف فيه ثم امر بتعذيبه ليستخرج منه الاموال فتجلد ولم يظهر من الاموال شيئا ثم اصبح يوما فى الموضع الذى حبس فيه ميتا قد خنق نفسه بعمامته فجر الى خارج الحضرة وعاينه فيه من كان له فيه شماتة .

وفى سنة اربعين اخر المولى ابو زكرياء ابا القاسم المريش (١) عن قضاء تونس وقدم عوضه عبد الرحمان بن عمر بن نفيس .

وفى يوم الجمعة عاشر جمادى الاخرة من سنة اربعين وستمائة كانت وفاة الرشيد صاحب مراكش غريقا ــ زعموا ــ فى بعض جوابى القصر ويقال انه اخرج من الماء وصح لوقته فكان فيها حتفه فكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام .

فتولى بعده اخوه ابو الحسن على السعيد ابن ابى العلاء ادريس المامون ابن ابى يوسف يعقوب المنصور ابن يوسف بن عبد المومن بويع يوم وفات اخيه ولقب بالمعتضد ، واستوزر السعيد السيد ابا اسحاق ابن ابراهيم اخى المنصور .

وفى سنة ست واربعين توفى ببجاية الامير ابو يحيى زكرياء ابن ابى زكرياء يحيى صاحب تونس فكتب عهده لولده المستنصر . وفى يوم الاربعاء ثانى صفر من السنة المذكورة اخر الامير ابو زكرياء عبد الرحمان بن عمر ابن نفيس عن

---

(١) هو ثانى قاضى سنتى ذكر ويوشك ان يكون لقبه محرفا وقد ورد فى تعليق ابن الشماع (المرتنى) وورد بترجمة ابن زيتون فى الديباج ان من مشيخته ابن المراس فلعله هو

قضا تونس وقدم عوضه عبد الرحمان بن على التوزرى عرف بابن الصائغ ٠

وقتل السعيد وولده فى معركة يطول ذكرها وانتهب محلته بنو عبد الواحد واختص يغمراسن بفسطاط السلطان وما فيه من الذخائر مثل مصحف عثمان ابن عفان يزعمون له انه احد المصاحف التى انتسخت فى حياته وخلافته وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمان الداخل ثم صار فى خزائن لمتونة ثم الى خزائن الموحدين وهو الان فى خزائن بنى مرين بفاس (1) اخذوه من خزائن بنى عبد الواحد حين استولوا على تلمسان حسبما نذكره ان شاء الله تعالى * ثم نظر يغمراسن فى شان مواراة السعيد فجهزه وامر برفعه على الاعواد الى مدفنه بالعباد بمقبرة الشيخ ابى مدين وكان مقتله يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة ست واربعين وستمائة فكانت خلافته خمسة اعوام وثمانية اشهر وعشرين يوما * ولما قتل السعيد فرت عساكره الى مراكش واجتمع جمهور عساكره على ولده عبد الله فبايعوه

مبدا دولة بنى مرين بالمغرب

ووصل الخبر الى الامير يحيى ابن عبد الحق امير بنى مرين وهو بجهات بنى يزناسن وقد خلص اليه ابن عمه ابو عباد والبعث الذى معه من بنى مرين فانتهز الفرصة وارصد لعساكر الموحدين وفلهم بكرة سبت فاوقع بهم وامتلات ايدى بنى مرين من اسلابهم وانتزعوا الالات من ايديهم وصار اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو واتخذ المركب الملوكى وهلك الامير عبد الله بن السعيد فى جانب تلك الملحمة ٠ فلما بلغ الخبر الى مراكش قام بامر الموحدين بها ابو حفص

---

(1) حقق فى بالاستقصاء ج 2 ص 115 ضياعه فى كارثة المرينى البحرية سنة 750

عمر ابن ابى ابراهيم اسحاق ابن ابى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن على ، وذلك انه لما هلك السعيد وولده عبد الله وبلغ الخبر الى مراكش بذالك اجتمع الموحدون وكتبوا بيعتهم الى ابى حفص عمر المذكور واستقدموه لها فلقيه وفدهم بتامسنا من طريقه ومعه اشياخ العرب فبايعوه وتلقب بالمرتضى ودخل مراكش فى جمادى الاخرة من عام ستة واربعين وستمائة

وفى سنة سبع واربعين نزل الفرنسيس ملك النصارى على القاهرة وحاصرها حصارا شديدا الى ان اسر بها فبعث الى السلطان به وهو الملك المعظم ابن الملك الصالح ابن الملك الكامل ابن الملك العادل ابن نجم الدين ايوب الكردى وهو آخر ملوك بنى ايوب فطلبه ان يعطيه مالا كثيرا يعظم وصفه على ان يطلقه فشاور الملك المعظم الاتراك على ذلك فابو الا قتله فخالفهم ومال الى الصلح معه سرا ففطنوا بذلك وارادوا قتله فتحصن منهم فى برجه فاحرقوا عليه البرج فالقى نفسه منه فى النيل فدخلوا عليه وقتلوه فى الماء فمات قتيلا حريقا غريقا وبه انقرضت دولة بنى ايوب بعد مكثهم فى الملك ثمانين سنة واربع اشهر واياما قلائل وانتقل الملك الى الاتراك البحرية

وفى ليلة الجمعة الثانية والعشرين من جمادى الاخره سنة سبع واربعين وستمائة توفى المولى ابو زكرياء يحيى صاحب تونس فى محلته بظاهر بونة ودفن فى الغد فى جامع بونة الى جانب الشيخ الصالح ابى مروان ثم نقل بعد ذلك الى قسنطينة ودفن بها وكانت ولادته بمراكش سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان عمره تسعا واربعين سنة وكانت خلافته بتونس عشرين سنة ونصف سنة .

دولة المستنصر ابن ابى زكرياء

وتولى بعده البلاد الافريقية ولده وولى عهده السلطان ابو عبد الله محمد ابن المولى الامير ابى زكرياء يحيى ابن الشيخ ابى محمد

عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص بويع اولا ببونة وكان الذى اخذ له البيعة على الخاصة وسائرا اهل العسكر عمه محمد اللحيانى ـ وكان طويل اللحية ـ ثم بويع بعد وصوله من بونة الى حضراة تونس وذلك فى يوم الثلاثاء الثالث لرجب من سنة سبع واربعين وستمائة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة امه رومية اسمهاعطف وتسمى بالامير ولم يتسم بامير المومنين الا فى يوم الاثنين الرابع والعشرين لذى الحجة من سنة خمسين وستمائة وذلك لما قدمت عليه البيعة من مكة بانشاء عبد الحق ابن سبعين وقدمت عليه بيعة الشام والاندلس وتلقب بالمستنصر بالله وكان كاتب علامته وانشائه ابو العباس احمد بن ابراهيم الغسانى كاتب علامة ابيه • واستوزر محمد ابن ابى مهدى الهنتاتى * وفى الثامن والعشرين من شهر بيعته قبض على القائد كافور وسجنه بالمهدية • وفي سنة ثمان واربعين ثار عليه بتونس ابن عمه ابى عبد الله محمد اللحيانى بمداخلة الوزير ابن ابى مهدى فبعث المستنصر جيشا مع قائده ظافر فالتقى معه بالمصلى الذى خارج باب المنارة فقتله القائد ظافر واقتتل معه ابن ابى مهدى ومن قام معه وسار القائد ظافر الى دار اللحيانى عم السلطان فقتله وقتل فى طريقه اخاه ابا ابراهيم ابن الشيخ ابى محمد ابن الشيخ ابى حفص وجاء برء وسهم الى المستنصر ثم بعد خمود هذه الثائرة سعوا للمستنصر بمولاه القائد ظافر وقبحوا عنده ما فعل من الافتيات فى قتل عمه اللحياتى من غير جرم ونذر ظافر بذلك فخشى البادرة ولحق بالذوادة وكان المتولى لكبر هذه السعاية هلال مولى السلطان فعقد له السلطان مكانه

وفى هذه السنة بنيت السقاية شرقى جامع الزيتونة ، وفيها ابتدىء البناء فى رياض ابى فهر ، وفيها جعلت الشكلة لليهود بتونس ، وفى شهر جمادى الاخرة منها نصبت المقصورة بجامع الموحدين وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين لذى الحجة من سنة خمسين وستمائة راى المولى المستنصر الاقتصار على لفظ الامير قصروا فتسمى بامير المومنين وامر ان يذكر ذلك في الخطبة ويطبع في الذهب، وفى ذلك اليوم تلقب

بالمستنصر بالله كامر واختار للعلامة ــ الحمد لله والشكر لله ــ فبايعه الناس بذلك البيعة العامة واتبع ذلك برد المظالم * واتفق ان كان المطر قد احتبس ففى ثالث يوم من هذه البيعة نزل المطر فهناه الشعراء بذلك * ثم راى شيخ الدولة ابو سعيد عثمان المعروف بالعود الرطب ــ حين تقرر من امر العلامة ما تقرر ــ ان الاوامر السلطانية قد تنفذ بامور صغيرة لا ينبغى الكتب بمثلها عن الخليفة فقسم الكتب الى علامة صغيرة وكبيرة فالاوامر الكبيرة الصادرة عن الخليفة تكتب بالعلامة التى وقع الاختيار عليها والكتب الصغيرة التى يكبر قدر الخليفة عنها تكتب عمن يعينه الخليفة لذلك وتنفذ بعلامة اخرى تشعر بان ذلك عن امر الخليفة فانقسمت العلامة الى كبرى وصغرى فالكبرى موضعها فى اول الكتاب بعد البسملة والصغرى معلمة فى آخر لصدوره عن الخليفة

وفى يوم الخميس الخامس لربيع الاول من السنة المذكورة توفى بتونس الشيخ الصالح الحاج ابو هلال عيادبن مخلوف التميمى الزيات ودفن بجبانته المعروفة به جوفى جبانة الشيخ صالح ابى زيد عبد الرحمان المناطقى *

وفى سنة احدى وخمسين وستمائة بنى قبة الجلوس بتونس التى باسارك المشرفة على باب ينتجمى وبنى الممشى من القصبة الى راس الطابية لكى تحتجب فيه حرمه واوصله الى رياض ابى فهر

انقراض الخلافة العباسية ببغداد

وفى اوائل سنة ست وخمسين وستمائة تحرك خاقان ملك التاتار لاخذ بغداد من يد صاحبها السلطان المستعصم كان مولعا بالحمام حتى جمع منه عشرين الف وكان سنيا واتخذ وزيرا رافضيا يعلن بسب ابى بكر وعمر رضى الله عنهما لايستتر بذلك وكان الجيش مائة الف وثلاثة عشر الفا فلما ظهر التاتار وغلبوا على خراسان واعمالها عمل هذا الوزير اللعين على فساد ملك بنى العباس من

العراق فاخذ خاقان المستعصم وقتله في ثلاثة عشر الف فقيه غير من سواهم في حكاية طويلة وذلك في يوم الاثنين السابع عشر لصفر سنة ست وخمسين وستمائة واقام القتل في بغداد والنهب نحـوا من ثمـانية ايـام وانقـرضت دولة بني العباسي وفني ملكهم • وجملة ملوك بني العباس من السفـاح الى المستعصم اربعون ملكا ومدتهم خمسمائة سنة واربع وعشرون سنة غير اربعة وثلاثين يوما فسبحان مدبر الامور ومقلب الليل والنهار لا اله الا هو •

وفي سنة سبع وخمسين عزل السلطان القاضي عبد الرحمان (I) عن قضاء تونس وقدم الفقيه ابا القاسم ابن علي ابن البراء المهدوي • ثم اخره عن القضاء وقدم أبا موسى عمر ان بن معمر الطرابلسي ، وكان فقيها صالحا حسن الاخلاق وطيء الجانب حافظا للمذهب عارفا بالمسائل بصيرا بالاحكام ولي قضاء بلـده طرابلس والخطبة والصلاة بجامعها ثم نقل عنها الى حضرة تـونس قدم سنة ثمان وخمسين فلم يزل قاضيا الى ان توفي •

وفي صبيحة يوم الثلاثاء الحادي والعشرين للمحرم عام ثمـانية وخمسين المذكور امر السلطان المستنصر بقتل الفقيه الاديب العالم الناظم الناثر الحجة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي عرف بابن الابار فقتل بعد ان ضرب بالسياط كثيرا بمقصورة المحتسب من تونس خارج بـاب ينتجمى ثم نـدم السلطان بعد ذلك على قتله ، وكان سبب قتله ان جرى يوما في المجلس ذكر مولد الواثق ابن الخليفة فلما كان من الغد جلب بطاقة يعرف بها ساعة المولد والطالع فلما وقف المستنصر عليها قال : هذا فضول ودخول منه في ما لا يعنيه من امورنـا ـ وامر بتثقيفه بسقيف القصبة وبعث الى داره الغسـاني وبينهما من العداوة ما يكون بين صاحب خطة اخذها احدهما من يـد الاخـر فوجد في تقاييده ابياتا منها :

طغـــى بتـــونس خلـــف　　　سمـــوه ظلمــا خليفــة

(I) الراجح انه ابو الغنم عبد الرحمان بن يعقوب الشاطبي النازح من طنجة في اول دولة المستنصر حيث ولاه القضاء كما في ابن خلدون ص 625 مجلد 6

فلما قراها السلطان امر بضربه ضربا شديدا ثم قتل مرشوقا بالرماح واخذت كتبه وتقاييده فاحرقت فى موضع قتله وكانت نحو خمسة واربعين تاليفا (I) وحكى المرادى ان البيت الذى وجد له يقتضى هجاء الخليفة هو قوله :

عق اباه وجفا امه ولم يقل من عشرة عمه

فالله اعلم • وفى اول يوم من المحرم فاتح سنة تسع وخمسين وستمائة امر السلطان بالقبض على أبى العباس أحمد اللليانى وكان اصله من ليانة من ضياع المهدية وتعلقت همته بقراءة الادب والفقه حتى اشير اليه فى ذلك ووضع تقييدا على المدونة ثم انه تهالك على الخطط المخزنية وساعده السعد فيها فاخذ ديوان البحر وغيره وسعى به ابن ابى الحسين وغيره زعموا انه اختزن لنفسه مالا جليلا وانه عزم على ان يحدث ثورة فى المهدية وامتلا سمع السلطان من هذا فلم يشعر وهو فى منزله حتى وصل قائدان من العلوج وهجما على داره واخذا صندوقه فوجدوا فيه ذخائر من يواقيت وزمرد ولؤلؤ فقيل له — ما هذا وانت تزعم الامانة ؟ فقال : انما ادخرتها لمولانا السلطان ! فقيل له : حسن قد وصل اليه — ثم قبض عليه بعد ذلك وطولب بمال كبير فاحضره وسوح بعد ايام فاستشعر بزوال النعم وعزم على الفرار فى مركبه الى جزيرة صقلية فبلغ الخبر الى السلطان واستخفى الى ان صلح حاله وخرج فلما كان اول يوم من المحرم سنة تسع وخمسين حضر الغسانى بين يدى السلطان فى القبة الكبيرة فنزل المطر فقال السلطان : اليوم يوم المطر

فقال الغسانى — ويوم رفع الضرر

فقال السلطان — ايه فما بعدها — فقال الغسانى :

والعام عام تسعة كمثل عام الجوهرى

فاحضر السلطان اشياخ الراى وقال : اسمعوا ما قال الغسانى وجعل يردد البيت ثم قال : ينبغى ان لا يرجع عن هذا اقبضوا على اللليانى لنرضى به الله والخاصة والعامة — فقبض عليه ومن الغد قبض على ابن العطار وكان ابن

(I) نهج الكاتبون قديما وحديثا بتشنيع هذه الفعلة وليست غريبة عن طبيعة الملك المطلق ودسائس ذوي الاغراض ولا يبعد ان هذا الشعر مدسوس من المبعوث الى داره

العطار يلى اشراف (1) تونس ثم اشراف بجاية ثم جعل على مختص الحضرة (2) فجعلا بمكان واحد بالقصبة ووكل بضربهما وطلب المال منهما ابو زيد ابن نعمون الهنتاتى ، قالوا كانا يحملان فى قيودهما يحجلان فيها ثم يركبان حمارين ويخرجان من الباب الكبير فيحمل اللليانى الى دار الاشراف فينفذ الاثقال منها وهو على حاله ويحمل العطار الى دار المختص لمثل ذلك وما زال امرهما كذلك الى رجب والميل على اللليانى والاموال تؤخذ منه كل يوم الى ان فرغ ما عنده وتحصل منه ما شاع نحو ثلاثمائة الف دينار فحمل الى دار السكة وعذب الى ان مات ثم اخرجت جثته الى الصبيان يجرونها ورموها فى البحيرة وسرح ابن العطار ورد الى دار المختص فنسى مصابه بما آل اليه امر اللليانى * وفى سنة تسع وخمسين توفى الشيخ الصالح المعروف بابينا عبد الله ودفن بجبانة الشيوخ بالمرسى ·

بيعات الخلافة للمستنصر

وفيها وصلت بيعة مكة شرفها الله على يد الشيخ ابى محمد عبد الحق ابن سبعين وكان الواصل بها المحدث الراوية ابو محمد ابن برطلة (3) وانشد بعض الشعراء

اهنا امير المؤمنين ببيعة وافتك بالاقبال والاسعاد
فلقد حباك بملكه رب الورى فاتى يبشر بافتتاح بلاد
واذا اتت ام القرى منقادة فمن المبرة طاعة الاولاد

---

(1) وظيفة جبائية عليا

(2) المختص اصطلاح شائع بالمغرب والاندلس على ملك الدولة

(3) نص البيعة مثبت بابن خلدون ومنشئها ابن سبعين صوفى مرسي متمجق توفي بمكة فارا من المغرب وابن برطلة فقيه مرسي وكلاهما مترجم في الطبقات

وفى السنة المذكورة توفى الفقيه المحدث ابوبكر بن سيد الناس (1) وفيها توفى ابو المطرف (2) ابن عميرة والقاضي التوزرى (3) وابو محمد يوسف بن ياسين (4) ٠

وفى سنة ستين وستمائة فى شهر ربيع منها صنع الحدوس وهي فلوس النحاس بتونس ليتصرف الناس بها وقطعت فى شوال من السنة المذكورة ٠

وفى عاشر ربيع الاخر من سنة ستين توفى قاضي الجماعة بتونس ابو موسى عمران بن معمر الطرابلسي وتولى بعده ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم المهدوى المعروف بابن الخباز ٠

وفيها توفى الشيخ الصالح المعروف بالصقلي المتقدم الذكر ٠

وفى ثالث شهر رمضان من سنة اثنتين وستين عزل ابن الخباز عن القضاء وقدم الفقيه ابو العباس احمد ابن الغماز ٠

وفى الرابع لربيع الاول من السنة المذكورة توفى بتونس الفقيه الامام المصنف عبد العزيز بن ابراهيم القرشي شهر بابن ثويرة (5) شارح الارشاد ٠

وفى سنة ست وستين وستمائة كمل السلطان اصلاح الحنايا وصرفها الى ابى فهر * وفى رابع شهر ربيع الاخر من السنة المذكورة قدم لقضاء الانكحة بتونس الفقيه محمد ابن الرايس الربعي * وفى رابع شوال من سنة سبع وستين اخر القاضي الغماز

---

(1) امام محدث لغوى مؤرخ اشبيلي الاصل ، استدعاه السلطان الى تونس واحظاه الى ان مات بها وترجمته فى نيل الابتهاج وعنوان الدراية وغيرهما

(2) فى الطبعة الاولى المطرف وهو خطا وانما هى كنيته واسمه احمد بن عبد الله بن عميرة عالم محدث مترسل ترجمته فى الديباج وغيره

(3) هو الذى ولى القضاء بعد ابن نفيس سنة 646 ولم اجد له ترجمة

(4) له ترجمة فى شجرة النور لمخلوف

(5) له ترجمة بنيل الابتهاج

وقدم الفقيه الصالح ابو العباس احمد بن ابراهيم المفسر * ثم فى التاسع عشر لذى القعدة من العام المذكور اعيد للقضاء الفقيه ابن الخباز المقدم ذكره .

وفى سنة ثمان وستين وستمائة قرئت بيعة صاحب المغرب الاقصى الامير ابى يوسف يعقوب بن عبد الحق على المولى المستنصر .

وفى السنة المذكورة توفى الكاتب للانشاء والعلامة الفقيه احمد الغسانى فقدم للعلامة ابو عبد الله محمد بن الحسين وللانشاء ابن الرايس الربعى واخر ابن الرايس الربعى عن قضاء الانكحة فى منسلخ شوال من السنة المذكورة .

وفى ليلة الاحد الخامس والعشرين لذى القعدة من سنة تسع وستين توفى الاستاذ النحوى ابو الحسن على بن موسى الحضرمى عرف بابن عصفور بتونس ولد باشبيلية سنة سبع وتسعين وخمسمائة وكان سبب موته فى ما نقل عن الشيخ احمد القلجانى وغيره انه دخل على السلطان يوما وهو جالس برياض ابى فهر فى القبة التى على الجابية الكبيرة فقال السلطان على جهة الفخر بدولته : قد اصبح ملكنا الغداة عظيما ، فاجابه ابن عصفور بان قال : بنا وبامثالنا ـ فوجدها السلطان فى نفسه فلما قام الاستاذ ليخرج امر السلطان بعض رجاله ان يلقيه بثيابه فى الجابية المذكورة وكان ذلك اليوم شديد البرد ثم قال لمن حضره ـ لا تتركوه يصعد ـ مظهرا اللعب معه فكلما اراد الصعود ردوه وبعد صعوده اصابه برد وحمى بقى ثلاثة ايام وقضى نحبه فدفن بمقبرة ابن مهنا قرب جبانة الشيخ ابن نفيس شرقى باب ينتجمى احد ابواب القصبة (I) .

وفى يوم الاربعاء حادى عشر شوال من سنة تسع وستين توفى ابو عبد الله محمد ابن ابى الحسين

(I) ما يزال قبره ماثلا بسوق القماش وكانت الجبانة تتصل بجامع الزيتونة يوشند وترجمته فى جميع كتب الطبقات

فعين بعده لكتابة العلامة ابو الحسن على بن ابراهيم ابن ابى عمر فكتبها الى ان توفى فى الثالث والعشرين من ربيع الثانى من عام اربعة وسبعين فعين لها بعده ابو عبد الله محمد ابن الرايس فكتبها الى ان توفى المستنصر وقدم بعد ابن ابى الحسين للتنفيذ الفقيه الشهير ابو القاسم احمد بن يحيى ابن اسد ابن الشيخ الانصارى

وفى يوم الاحد رابع عشر جمادى الاخرة سنة خمس وسبعين وستمائة ابتدا السلطان المستنصر المرض الذى مات منه وكان مسافرا فاصابه ذلك بعين اغلان فسيق الى تونس فى محفة على اعناق الرجال فى خسوف القمر وادخل الى قصبته وكثر ارجاف الناس بموته فجعل يوم عيد الاضحى فى محفة من خشب واصعد الى قبته وراه الناس وتجلد لاظهار حركة علم منها ان فيه بقية رمق ثم عاد الى منزله وتوفى من ليلته بعد صلاة العشاء الا ... ليلة الاحد الحادى عشر لذى الحجة سنة خمس وسبعين وستمائه وكانت خلافته ثمانية وعشرين عاما وخمسة اشهر واثنى عشر يوما * ويقال ان اصل مرضه انه كان فى صيادة فقام بين يديه وحش فطردته الجوارح فدخل مغارة ودخل وراءه الرجال فالفوا بها رجلا قائما يصلى فسلم من صلاته وقال لهم — هذا دخيل الفقراء اتركوه — فذهبوا الى السلطان فعرفوه فقال لهم — ائتوا بالصيد — فرجعوا الى المرابط فمنعهم منه فرجعوا الى السلطان فقال لهم — ان منعكم اعطوه الرماح — فرجعوا الى المرابط وعرفوه فقال لهم — وانا قد امرت للسلطان بالرماح — ثم طلبوه فلم يجدوه وسقط السلطان من حينه مغشيا عليه ثم افاق بعد زمان ولم يزل ذلك المرض يتعاهده الى ان توفى

وفى السنة المذكورة توفى الملك الظاهر صاحب مصر *

دولة الواثق ابن المستنصر

وفيها تولى المولى الامير ابو زكرياء يحيى ابن السلطان المستنصر ابن

المولى الامير ابى زكرياء يحيى ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص امه ام ولد رومية اسمها ضرب ولد سنة سبع واربعين وستمائة بويع ليلة مات ابوه ليلا فاصبح خليفة وبايعه من بقى فى صبيحة تلك الليلة وتلقب بالواثق وكانت ولايته على يد ابى عثمان سعيد ابن ابى يوسف ابن ابى الحسين صاحب الاشغال بتونس وهو ابن عم ابى عبد الله محمد ابى ابى الحسين منفذ ابيه . ولما تمهد للواثق الامر اتخذ لنفسه كاتبا الفقيه يحى بن عبد الملك الغافقى المكنى بابى الحسن ويعرف بابن الحببر فاستبد بامور مملكته وكان يعادى آبا عثمان سعيد ابن ابى الحسين فما زال يغرى به الواثق حتى اخذه يوم السبت الثانى لجمادى الاخرة من سنة ست وسبعين وستمائة وثقفه فى الدار المعروفة بدار الجوهرى داخل القصبة وضربه حتى استاصل ماله وسلط عليه من العذاب ما اتلفه وتوفى يوم الخميس الثانى عشر لذى الحجة من العام المذكور واخرجت جثته الى دار صاحب الشرطة ووجه الى خادميه ابن صياد الرجالة وابن ياسين وقيل لهما — هذا صاحبكما قد مات فاخبرا بموضع ذخائره — فانكرا وثقفا فالتزم ابن ياسين مالا واداه واطلق وقتل ابن صياد الرجالة تحت العذاب

وفى يوم اخذ ابى عثمان ابتدا العمل بالاصلاح والتهذيب والكسوة فى جامع الزيتونة وتم العمل يوم الخميس الخامس عشر من شعبان من العام المذكور . ومن غريب الاتفاق ان ابن ابى الحسن لما قتل اصاب حائط الدويرة شيء من دمه ثم بعد ذلك بيسير ثقف ابن الحببر بالدويرة المذكورة فكان اول ما سال عنه حين ادخل اليها الدم المذكور فاخبر انه دم ابن ابى الحسين فاشتد جزعه وعظم خوفه ولم يمض الا يسير حتى اجتمع دمه بدم منكوبه فى ذلك الحائط وضرب من السياط قدر ما ضرب ابن ابى الحسين واظهر من المال قدر ما ظهر لابن ابى الحسين وسلط عليه العذاب حتى مات كما مات ابن ابى الحسين وكان اشد الناس على ابن الحببر عبد الوهاب ابن قائد الكلاعى وبمثل موته ايضا مات حسبما يذكر بعد ان شاء الله تعالى .

وكان الواثق في اول امره قد سرح المسجونين وامر برفع المظالم واحراق ازمة الخطايا والمكوس وانتظر في بناء جامع الزيتونة وغيره من المساجد واحسن الى الجند غير انه لم يمسك بعنان الملك حق الامساك حتى استبد عليه ابن الحببر كما تقدم * وكان ابن الحببر هذا كثير الاعجاب بنفسه مفرطا في التعسف والكبر مشتغلا بالبناء والملاهي واقتناء الاثاث ولا يحسن شيئا من تدبير الملك وسياسة الرعية فافضى استبداده الى فساد الحال وتغير القلوب عليه * وكان قد قلد اخاه ابا العلاء ادريس ولاية الاشغال ببجاية فصدر منه بها من الاستبداد والتعسف ما صدر من ابن الحببر بتونس الى ان توامر عليه محمد ابن ابي هلال صاحب الاشغال ببجاية مدة المستنصر وقتله ٠ ووافق ذلك حلول الامير ابي اسحاق ابن ابي زكرياء عم الواثق بتلمسان لانه كان عند بلوغ الخبر اليه بوفاة اخيه المستنصر وفساد الحال بتونس قد اجمع امره على الاجازة لطلب حقه بالملك بعد ما تردد مدة وقام لمورده بتلمسان ابن زيان يغمراسن المتقدم ذكره واحتفل في مبرته فانتهز ابن ابي هلال ومن ٠ وافقه على قتل ادريس الفرصة خفية من بوادر ابن الحببر ووافدوا وفدهم للامير ابي اسحاق يستحثونه على القدوم فاجابهم ودخل الى بجاية وبايعه اهلها * ثم زحف منها الى قسنطينة وبها اذ ذاك عبد العزيز بن عيسى بن داود احد اقرباء ابن الحببر فامتنعت عليه فاقلع عنها زاحفا الى جهة الحضرة * وكان الواثق في اثناء ذلك جهز العساكر بتدبير ابن الحببر لمصادمة عمه الامير ابي اسحاق وعقد عليها لعمه الامير ابي حفص واستوزر له ابا زيد ابن جامع ولكن عند حلول المحلة بباجة اضطرب راى ابن الحببر في خروج ابي حفص واراد انفضاض عسكره فحمل الواثق على ان يكتب لعمه ابي حفص ووزيره ابن جامع يغرى كل واحد منهما بصاحبه فتفاوضا واتفقا على الدعاء للامير ابي اسحاق وبعثا اليه بذلك ٠ ولما بلغ الخبر الى الواثق وهو بتونس منتبذا عن الحامية والبطانة ايقن بذهاب ملكه فخلع نفسه وبايع لعمه ابي اسحاق وذلك يوم الاحد الثالث لشهر ربيع الثاني عام ثمانية وسبعين وستمائة فكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر واثنين وعشرين

يوما * وحكى الغرناطي انه خلع نفسه لعمه يوم الجمعة من ربيع الاول سنة تسع وسبعين ٠

وفي سنة سبع وسبعين وستمائة توفي الفقيه القاضي المفتي ابو القاسم بن علي بن عبد العزيز ابن البراء التنوخي ٠

دولة ابراهيم ابن ابى زكرياء

ولما خلع الواثق نفسه تولى بعده عمه المولى الامير ابو اسحاق ابراهيم ابن المولى ابى زكرياء ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص امه ام ولد اسمها رويدا ولد سنة احدى وثلاثين وستمائة ووصل من تلمسان الى بجاية يوم عيد الاضحى سنة سبع وسبعين وستمائة وصلى بالمصلى هناك صلاة العيد ودخل بجاية من يومه ودخل تونس يوم الثلاثاء الخامس لربيع الاخر سنة ثمان وسبعين وستمائة — وقال الغرناطي سنة تسع وسبعين — وجددت له البيعة يوم الاربعاء ٠ وانتقل الواثق المخلوع من القصبة الى دار الغورى بالكتبيين وسكن بها اياما ثم ان السلطان سمع عنه انه بعث الى قائد النصارى وتحدث معه ان يثور على عمه بليل فرفع للقصبة هو وبنوه وكانوا ثلاثة الفضل والطاهر والطيب فثقفوا بها وذبحوا جميعا في صفر سنة تسع وسبعين وستمائة ٠ وفي ثالث يوم من دخول السلطان ابى اسحاق لتونس اخذ ابن الحببر رئيس دولة الواثق وقتله تحت العذاب كما تقدم * وكان السلطان ابو اسحاق فيه غلظة وشجاعة وكان لا ينظر في عواقب الامور فكان والده الامير ابو زكرياء يرد عليه اكثر اوامره بالتلطف واستولت العرب في ايامه على القرى وهو اول من كتب البلاد الغربية بالضهارة للعرب ٠ وفي اول ولايته قدم على علامته بتونس الفقيه ابا محمد عبد الوهاب بن قائد الكلاعي فاستمر على ذلك الى يوم السبت الخامس عشر لصفر من عام تسعة وسبعين ففي هذا اليوم خاف على نفسه واختفى لما سنذكره فقدم عوضة على العلامة

الكبرى الفقيه القاضي احمد بن الغماز وعلى الصغرى ابراهيم بن محمد بن الرشيد فكتباهما الى ان انقرضت دولة السلطان ابن اسحاق ٠

وفي يوم الاحد الموفى عشرين لربيع الثاني من سنة تسع وسبعين قتل ابو العباس احمد ابن ابى بكر ابن سيد الناس اليعمرى وكان سبب قتله انه انتهى الى السلطان ابى اسحاق انه يبغض دولته ويتسبب فى زوالها فاستدعاه السلطان لراس الطابية فجاء مسرعا فلما حضر خرج عليه رجال شهروا سيوفهم فايقن بالموت وتشهد فقتل على حالته وحفر له حفرة رمى فيها * وكان ابو العباس احمد هذا يخدم الامير ابا فارس ابن السلطان ابى اسحاق فى خفية حين كان فى ثقاف عمه فلما بلغ الامير ابا فارس خبر قتله اقبل لابسا ثياب الحزن الى ابيه فاستدعاه والاه وانسه وعرفه انه كان فاسد النية وازال عنه ثياب الحزن بيده واستبلغ فى تانيسه ثم عقد له على بجاية واعمالها وانفذ معه حاجبه محمد ابن ابى بكر بن الحسن ابن خلدون٠ وكان لابى محمد عبد الوهاب الكلاعى فى قتل ابن سيد الناس اكبر سعى فحقد عليه ذلك الامير ابو فارس ولم يزل يحض اباه على القبض عليه الى ان قبض عليه واخذ ماله وبقى مثقفا الى ان قام الدعى وعزم السلطان ابو اسحاق على التوجه الى بجاية فارسل حينئذ من قتله فى السجن وذلك فى العشر الاواخر من شوال سنة احدى وثمانين وستمائة ٠

وفي رجب من سنة تسع وسبعين وستمائة اخر الفقيه ابو العباس احمد بن حسن ابن الغماز (I) عن القضاء وقدم الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الحميد ابن ابى الدنيا ثم عزل فى شهر رمضان من السنة المذكورة وقدم الفقيه ابو القاسم ابن زيتون٠

وفي الليلة السادسة والعشرين لهذا الشهر والسنة قتل الشيخ ابو عبد الله محمد ابن ابى هلال المقدم ذكره ذبحا بعد العشاء بامر السلطان ابى اسحاق *

(I) صوابه ابن الخباز لان آخر ولايته كانت له سنة 667 ولم يذكر ابن الغماز بعده على شدة عنايته بذلك ، ويؤيده ان ابن الغماز كان فى هذا الظرف كاتب علامة كما ذكر قريبا ، وسيذكر فى وفاة ابن الخباز انه ولى القضاء مرتين

وفيها ايضا راى الناس ءاية عظيمة فى الزرع : اكل القمح فريكا ثم عدم فى سنبلة فاذا حصد جمعت الاغمار ولم يوجد فيها شىء فكان البقر الذى اكل ذلك الزرع تلف وكان ذلك فى جميع افريقية .

وفى الثامن عشر لربيع الاول من سنة ثمانين وستمائة عزل القاضى ابى زيتون(1) عنّ واعيد الفقيه احمد ابن الغماز . وفى الرابع من المحرم مفتتح عام احد وثمانين وستمائة ظهر عند دباب رجل ادعى انه الفضل ابن يحيى الواثق ابن المستنصر وانه انفلت من السجن وصدقه الفتى نصير المعروف بنوبى مولى الواثق فصح عند دباب انه الفضل وكان الفضل قتل بتونس حسبما تقدم وكان الفتى نصير لما راى هذا الدعى تبين له فيه شبه الفضل مولاه فطفق يبكى ويقبل قدميه فقال له الدعى : ما شانك ؟ فقص عليه الخبر فقال له : صدقنى فى هذه الدعوى وانا آخذ بثارك ممن قتلهم فاقبل نصير على امراء العرب مناديا بالسرور بابن مولاه حتى خيل عليهم وكان الدعى قد اخبر بمحاورات وقعت بين العرب وبين الواثق فقصها عليهم نصير فصدقوا واطمانوا وبايعوه والقيت محبته فى قلب ابى على مرغم بن صابر ابن عسكر شيخ دباب فعضده وجمع عليه العرب ونازل معه طرابلس وصاحبها حينئذ من قبل السلطان ابى اسحاق محمد ابن عيسى الهنتاتى المعروف بالمكان بعنق الفضة فاغلقها ووقع القتال مدة ثم رحل عنها وجبى تلك النواحى ثم رحل الى قابس وقد ظهر امره ولم يشك اهل الاوطان انه من البيت الحفصى فخرج اليه عبد الملك بن عثمان بن مكى وفتح له قابس فدخلها وبايع له اهلها فى يوم الاربعاء السابع عشر لرجب من سنة احدى وثمانين المذكورة وفيها جاءته بيعة جربة والحامة ونفزاوة وتوزر وسائر بلاد قسطيلية ثم فتحت له قفصة فدخلها يوم الجمعة سابع شهر رمضان من العام المذكور .

---

(1) اسمه ابو القاسم ابن ابى بكر بن مسافر اليمنى فقيه اصولى يكنى ابا احمد وابا الفضل ذكره ابن رشيد وقال عنه انه ممن اعز العلم وصان نفسه عن الضعة والابتذال واعانه على ذلك الحدة وسعة الحال له ترجمة حافلة بالديباج ذكر فيها انه توفى سنة 69x

واخرج له السلطان ابو اسحاق من تونس جيشا عظيما امر عليه ولده الامير ابا زكرياء يحيى فنزل القيروان واغرم اهلها اموالا ثم توجه نحو الدعى ونزل قمودة والناس يتسللون منه حتى كاد يبقى وحده فرجع الى تونس ورحل الدعى من قفصة الى القيروان فدخلها وبايعه اهلها وجاءته فيها بيعة المهدية وصفاقس وسوسة ، ثم خرج السلطان ابو اسحاق من تونس لمقاتلته فى جيش عظيم ونزل المحمدية فى العشر الاواسط من شوال من السنة نفسها واخرج من العدد حمل تسعين بغلا فنهب ذلك كله من منزل المحمدية وفر اكثر الناس عنه الى الدعى ، ثم فر الى الدعى الشيخ ابو عمران موسى بن ياسين فى جماعة عظيمة من الموحدين فالتقى به على مقربة من شاذلة وبايعه ورجع السلطان ابو اسحاق الى سبخة تونس حتى اخرج نساءه واولاده من المدينة وارتحل مغربا فلقى شدائد واهوالا من الامطار والثلوج والجوع والخوف فكان يبذل الاموال للقبائل مصانعة على نفسه واولاده واهله حتى وصل الى قسنطينة فاغلقها صاحبها ابو محمد عبد الله بن توفيان الهرغى فى وجهه فطلب منه ما ياكل فانزل له من اعلى السور الخبز والتمر فاكلوا ورحل من يومه الى بجاية فمنعه ولده ابو فارس عبد العزيز الدخول اليها فاقام بروض الرفيع على شاطى وادى بجاية وسكن بقصر الكوكب ، وكان فراره من تونس ليلة الثلاثاء الخامس والعشرين من شوال سنة احدى وثمانين وستمائة فكانت خلافته بتونس من حين خلع الواثق نفسه الى حين فراره ثلاثة اعوام ونصف عام واثنين وعشرين يوما .

دولة الدعى

وبعد فرار ابى اسحاق بيومين اى يوم الخميس السابع والعشرين من شوال المذكور دخل الدعى الى تونس وبويع بها على انه الفضل ابن ابى زكرياء يحيى الواثق وانما هو احمد بن مرزوق ابن ابى عمارة المسيلى امه فرحة من فران من بلاد الزاب مولده بمسيلة سنة ثنتين واربعين وستمائة وتربيته

ببجاية وكان خامل الثناء كثير التطور مرت له مغالطة عظيمة على الناس كلهم وخطب له بهذا الافتراء على منابر افريقيـة ولقد احسن ابن الخطيب الاندلسى حيث قال يشير الى قضيته

غريبـة مـن لعب الليـالى ما خطـرت لعاقـل ببال

وكان الدعى قتالا سفاكا للدماء ظالما يظهر قطع المنكر وياتيه ويوم دخولـه تونس عاث العرب فى الناس فاخذ منهم ثلاثة وضرب اعناقهم وصلبهم ثـم اخرج جيشا وامر عليه شيخ الموحدين الشيخ ابا محمد عبد الحق بن تافراجين وامره بقتل من ظفر به من العرب ورفع عن الناس الانزال وكانوا يلقـون منـه امرا عظيما ومات يوم دخوله لتونس فى زحام باب المنارة ثلاثة عشر رجلا منهم الفقيه القاضى ابو على حسن بن معمر الهوارى الطرابلسى . (1)

وفى ثانى يوم من دخوله لتونس الثامن والعشرين من شوال المذكور قدم لعلامته صاحب الدولة ابا القاسم احمد بن يحيى بن الشيخ فكتبها له الى ان انقرضت دولته وقدم لوزارته ابا عمران موسى بن ياسين وقبض على صاحب الاشغال ابـى بكر بن الحسين ابن خلدون واخذ ماله وقتله خنقا وصرف خطة الحجابة الى عبد الملك بن مكى * وفى الخامس والعشرين من يوم دخوله اخذ امراء العـرب الملاقين له وكانو نحوا من ثمانين ، وفى يوم السبت بعـده اخـذ الزناتييـن واخرجو من القصبة الى السجن عراة وكانوا نحوا من ثلاثمائة وخمسين ، وفيه اخذ النصارى وكانوا نحوا من مائة وثمانين فارسا . وفى الثالث والعشرين من ذى الحجة اخذ قرابة السلطان ابى اسحاق كلهم وسجنهم واستاصل اموالهم وهم بقتلهم فمنعهم الله منه * وفى الثانى عشر من صفر سنة اثنتين وثمانين وستمائة خرج الدعى من تونس يريد بجاية لما احس بخروج الامير ابى فارس صاحبهـا اليـه .

وفى تاسـع عشر صفـر المذكـور وصـل الامـر مـن المحلة لتـونس بقطع الخمر وهدم الفندق الذى تباع فيه وبنى موضعه جامع للخطبة (2) وصومعة

---

(1) هذا غير قاضى الجماعة عمران بن معمر المتوفى سنة 660 كما تقدم فيمكن ان يكون قاضى انكحة او نواحى

(2) هو جامع باب البحر

واقيمت فيه الصلاة في الموفى عشرين من شعبان من السنة المذكورة ٠

وكان الامير ابو فارس صاحب بجاية قد جيش الجيوش وجمع الجموع وخرج قاصدا لقاء الدعي وخرج عمه الامير ابو حفص عمر خلفه بتاج على راسه تعظيما له لانه جرت عادة ملوك هذه الدولة الحفصية باستعماله وانما ترك من دولة اللحياني الى هلم جرا ٠ فالتقى الجمعان بفج الابيار قريبا من قلعة سنان يوم الاثنين الثالث لربيع الاول سنة اثنتين وثمانين المذكورة فكان يوما يا له من يوم عظيم خانت فيه ابا فارس الانصار واحتوشته الادبار فقتل وقطع راسه ونهبت محلته واخذت مضاربه وخزائنه وسيق براسه الى الدعي ثم سيق اخوه عبدالواحد حيا فقتله الدعي بحربة كانت بيده ثم سيق اخواه لابيه عمر وخالد فامر بقتلهما فقتلا صبرا ثم سيق محمد ابن اخيه عبد الواحد فامر بقتله فقتل وفي مثلهم ينشد

ارادوا فرارا ولكنهم على فج الابيار ماتوا جميعا

وانشد ايضا

ونحن اناس لا توسط عندنا لنا الصدر دون العالمين او القبر

تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر

فكانت ولاية ابي فارس ببجاية واحوازها ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما وسيقت رءوسهم الى تونس فطيف بها على اطراف الرماح في الاسواق في يوم الخميس السادس لربيع الاول من سنة ثنتين وثمانين المذكورة وعلقت على باب المنارة ولم ينج منهم الا الامير ابو حفص ابن الامير ابي زكرياء فانه فر الى قلعة سنان وهو على رجليه ولاذ به في ذهابه الى القلعة ثلاثة من صنائعهم ابو الحسن ابن ابي بكر ابن سيد الناس والوزير ابن الفزاري ومحمد ابن ابي بكر ابن خلدون وربما كانوا يتناقلونه على ظهورهم اذا اصابه الكلل الى ان بلغ القلعة وتحصن بها٠ واما الامير ابو زكرياء ابن الامير ابي اسحاق فانه كان بقي نائبا ببجاية ومعه الشيخ ابوزيد الفزاري ولما بلغ خبر الوقعة الى بجاية اضطربت اضطرابا شديدا واجتمع الناس في الجامع الاعظم وفيهم القاضي ابو محمد عبد المنعم ابن عتيق الجزائري ومعه ابنه فتكلم بكلام

اغضب به العامة فوثبوا على الولد فقتلوه فى المحراب وحملوا القاضى من مجلس حكمه الى السجن ثم الى البحر وصرفوه الى بلده الجزائر وخاف الامير ابو اسحاق على نفسه فخرج هاربا من القصبة يريد تلمسان ومعه ابنه الامير ابو زكرياء وعامة اهل بجاية يتبعونه فخرج اهل بجاية فى طلبه مع الشيخ ابى عبد الله محمد بن اسرغين فادركوه فى جبل بنى غبرين وقد سقط عن فرسه واندقت فخذه ونجا ابنه الامير ابو زكرياء الى تلمسان وكان له بها اخت فى عصمة والى تلمسان عثمان بن يغمراسن بن زيان فاكرمه ورحب به واخذ الامير ابو اسحاق ورد الى بجاية فدخلها راكبا على بغلة عليها برذعة والقى بدار بحومة ساباط الاموى ببجاية الى ان ارسل الدعى فى قتله محمد بن عيسى بن داود الهنتاتى فقتله يوم الخميس السابع والعشرين من ربيع الاول المتقدم ذكره ثم رفع راسه الى تونس وطيف به على عصا فى الاسواق والسفهاء يضحكون والنساء يولولن وفى ذلك اليوم عبرة للمعتبرين وذلك سادس عشر ربيع الثانى من السنة المذكورة وقيل فى ذلك

فقل للشامتين بنا انيخوا — سيلقى الشامتون كما لقينا

وفى السنة المذكورة توفى القاضى ابوزيد ابن نفيس • وفى يوم الثلاثاء الخامس عشر من المحرم سنة ثلاث وثمانين وستمائة قبض الدعى على شيخ دولته ابى عمران ابن ياسين لانه سمع عنه انه كتب للامير ابى حفص عمر انه يريد الغرور به واخذ معه الشيخ ابا الحسن ابن ياسين والشيخ ابن وانودين والحسين بن عبد الرحمان الزناتى سلط على جميعهم العذاب وضرب ابن ياسين بالسياط مرات ثم ضربت عنقه عشية الخميس ثانى صفر من السنة المذكورة وقتل ابن وانودين ايضا * وفى يوم قتله خرج مسافرا يريد قتال الامير ابى حفص لانه ظهر عند العرب وعظم سلطانه فى البلاد واجتمع عليه خلق كثير لكون الدعى كان اساء فى العرب وقتل منهم فسمعوا بالامير ابى حفص فى قلعة سنان فرحلوا اليه واتوه ببيعتهم فى ربيع الاول من السنة المذكورة وجمعوا له شيئا من الالات والاخبية وقام بامره ابو الليل ابن احمد شيخهم وبلغ الخبر الدعى فخرج من تونس يريد القتال فارجف به اهل

عسكره ومالت أنفسهم الى الامير ابى حفص فلما تبين ذلك للدعى رجع الى تونس رجوع منهزم وذلك فى يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الاول من سنة ثلاث وثمانين وطوى الامير ابو حفص البلاد الى ان نزل قريبا من تونس بسبخة سيجوم فخرج اليه الموحدون والجند وقاتلوه اياما كثيرة ولم يظفروا منه بشيء ونهب العرب البلاد الى ان خرج الدعى يوم الاحد الثاني والعشرين لربيع الاخر فاقام برهة بذيل السبخة فلما ايقن انه هالك فر بنفسه رغبة في الحياة واختفى فى دار بمقربة من الصفارين بتونس عند رجل فران اندلسى يقال له ابو القاسم القرمونى وذلك فى ليلة الاثنين الثالث والعشرين لربيع الاخر المذكور • وكانت دولة الدعى بتونس سنة وخمسة اشهر وسبعة وعشرين يوما واقام الدعى فى تلك الدار سبعة ايام الى ان دلت عليه امراة فاخذ واخرج منها بعد صلاة الظهر وهدمت تلك الدار لحينها وحمل الى الامير ابى حفص فقرره بحضرة القضاة والشهود فاقر انه احمد ابن مرزوق ابن ابى عمارة المسيلى وشهد عليه الشهود بذلك ـ وقاضى الجماعة حينئذ ابو العباس احمد ابن الغماز ـ وامر الامير ابو حفص بضربه فضرب مائتى سوط ثم ضربت عنقه وطيف بشلوه على حمار اشهب وجر الى السبخة بخارج باب البحر فرمى بها وطيف براسه على عصا وذلك يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الاولى وكان الذى تولى قتله الشيخ ابو محمد ابن يغمور بسيف كان اعطاه له الدعى •

دولة عمر ابن ابى زكرياء

وتولى تونس الامير ابو حفص عمر ابن المولى السلطان الامير ابى زكرياء ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن ابى حفص امه ام ولد عربية اسمها ظبية ولد بتونس بعد صلاة الجمعة الموفية ثلاثين من ذى القعدة سنة إثنتين واربعين وستمائة * وبويع له فيها يوم الاربعاء

الخامس والعشرين لربيع الاخر المذكور سنة ثلاث وثمانين وستمائة وتلقب بالمستنصر بالله ·

وفي السابع والعشرين من جمادى الاخرى من السنة المذكورة توفي بالمهدية القاضي ابن الخباز المتقدم ذكره ولى قضاء تونس مرتين * وكان الامير ابو زكرياء ابن السلطان ابى اسحاق ربى فى حجر ابيه بمدينة تونس وكان سكناه اذ ذاك بدار الغورى وكان نزيه النفس محبا للعلم واهله وكان بازاء دار الغورى فندق يسكنه اهل السرف فبلغه ذلك فامر ان يبني مدرسة للعلم فبنى مدرسة المعرض(1) وحبس عليها ربعا كثيرا إشتراه بماله مع كتب نفيسة فى كل فن من فنون العلم * ولما كمل بناؤها جلس فيها المدرس الشريف ابو العباس احمد الغرناطى صاحب كتاب المشرق فى علماء المغرب والمشرق ووجه للمدرس قرطاسين بذهب وفضة وقال له : فرقها على كل من تجد فى المدرسة – فسمع الناس ذلك فجاءوها من كل مدرسة حتى امتلات ولم يجد احد اين يجلس ، وكان يحضر مجلسه للوعظ

يوم الاثنين والجمعة فيطلق العنبر والعود ما دام المجلس واجرى على المدرس رزقا كثير قدره عشرة دنانين فى الشهر وجعل بين دار سكناه وبين المدرسة طاقة يسمع منها ما يقرا فى المدرسة واستمر مقامة بتونس حتى خرج صحبة ابيه الى بجاية حين اتى الدعى كما تقدم ·

توفى السادسة والعشرين من ربيع الاول من سنة اربع وثمانين وستمائة توفى القاضى ابو محمد عبد الحميد ابن ابى الدنيا (2) ودفن بالزلاج وتلمح العامة ان عند راسه سارية طويلة فيقولون : قال صاحب هذا القبر اجعلوا لحدى بقدر علمى ! يريدون كبير درجته فى العلم ·

---

(1) مدرسة غايرة اقيمت على انقاضها المدرسة الخلدونية فيما يذكر

(2) ترجمته بالديباج ونسبته به : عبد الحميد بن اعمران بن الشنيني ابن ابى الدنيا الصدفى الطرابلسي

وفي السنة المذكورة توفي ابو الحسن حازم الغرناطي (1) شاعر الحضرة .

وفي السادس والعشرين لذي الحجة سنة ست وثمانين توفي الشيخ الصالح الورع ابو علي حسن الزنديوي ودفن بقرب جبانة السادة الاخيار الاشياخ في مرسى الرجل الصالح سيدي جراح ويعرف المرسى المذكور في القديم بمرسى ابن عبدون واشتهر بعده بسيدي جراح المذكور لملازمته الاحتراس به . وفي الجبانة المذكورة (2) من الشيوخ سيدي عبد العزيز ابن ابي بكر القرشي المهدوي ، وابونا عبدالله واسمه عبدالله بن علي الهواري النابلي وكان اسمه مخلوفا — وسيدي عبد العزيز المهدوي هو الذي سماه بالاب فالناس يدعونه بذلك الى اليوم ، وابو عبدالله محمد المعروف بالتائب ، وابو علي عمر شقيقه — ابناء ابي بكر العجليين التونسيين — وابو زيد عبدالرحمان التميمي عرف بابن الوادي ، وابو عثمان سعيد الخادم مدفون عند قدمي الشيخ سيدي عبد العزيز وابو وكيل ميمون الحداد وابو عبد الله بن عتيق الباجي امام الشيخ سيدي عبد العزيز والشقيقان ابو فارس عبد العزيز وابو عبد الله محمد ولدا ابي الفتوح الصقلي ، وابو اسحاق ابراهيم الصياد، والشيخ سيدي جراح العربي المذكور ، وسيدي ابو علي حسين وابو عبدالله بن سليمان القرشي الزبيدي ، واخو هذا سيدي حسن وتلامذتهم .

وفي يوم الاثنين السابع عشر لشهر رمضان من سنة احدى وتسعين وستمائة توفي بتونس الشيخ القاضي ابو القاسم بن زيتون ودفن بجبل المرسى .

وفي الخامس عشر من ذي الحجة سنة ثنتين وتسعين توفي الفقيه المفتي الشريف احمد الغرناطي (3) صاحب كتاب المشرق المذكور .

---

(1) هو القرطاجني امام اللغة والادب في عصره وذكره شائع واجمع بما اكتسب عليه في النفح والازهار للمقري

(2) هذه الجبانة هي المنسوبة الان للشيخ عبد العزيز المهدوي المتوفي سنة 621 والمذكورون من اصحابه تجمعهم رابطة العبادة والمرابطة في المحارس وكانت شائعة في ذلك العصر لاسيما بعد حملة لويس التاسع الصليبية ولهم تراجم في كتب المناقب كتاليف الشيخ علي بن محمد الهوار في صلحاء تونس مخطوط

(3) ترجمته بنيل الابتهاج وعنوان الدراية وهو غير الشريف الغرناطي شارح مقصورة حازم المتوفي سنة 760

وفي يوم الخميس عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين توفي الفقيه القاضي احمد بن محمد بن الحسن بن الغماز الانصاري احد الفضلاء المشهورين بالدين كانت ولادته ببلنسية يوم عاشوراء من سنة تسع وستمائة وهي سنة العقاب وتوفي يوم عاشوراء فمن العجب موافقة يوم وفاته يوم ولادته ودفن بمقبرة الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمان المناطقي بتونس ، وكان فقيها مفتيا عارفا بالتوثيق اخذ عن جماعة من اهل الاندلس ثم ارتحل الى بجاية فسكن بها وتخطط بالعدالة ثم توجه الى تونس فتصرف في قضاء كثير من بلادها الى ان قدم الى قضاء الحضرة نفسها في الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة ستين (1) ثم عزل ثم ولي وتكرر ذلك الى ان ولي الولاية الاخيرة في تاسع عشر شهر رمضان من سنة احدى وتسعين فمات وهو عليها كما مر . وفي ذي القعدة من سنة ثلاث وتسعين توفي الشيخ ابو زيد عيسى الفزاري (2) شيخ الدولة وشمسها ودفن برادس وفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة من سنة اربع وتسعين توفي صاحب تونس السلطان ابو حفص عمر بمرض اصابه فكانت خلافته احد عشر عاما وثمانية اشهر غير يومين ، وكان عهد لولده عبد الله فتحدث الموحدون في صغر سنه وانه لم يبلغ الحلم فبعث السلطان للشيخ الفقيه الصالح ابي محمد المرجاني وتحدث معه في ذلك، وكان الواثق بن المستنصر لما قتل هو وبنوه بمحبسهم كما تقدم فرت احدى جواريه حاملا منه الى زاوية الشيخ الولي ابي محمد المرجاني فوضعت الولد في بيته سماه الشيخ محمدا وعق عليه واطعم الفقراء يوم اذ عصيدة الحنطة فلقب بابي عصيدة ثم صار بعد اختفاء الى قصورهم ونشا في ظل الخلفاء قومه حتى شب وبقيت له مع الشيخ المرجاني ذمة فلما فاوضه السلطان في شان العهد وقص عليه نكير الموحدين لولده اشار عليه الشيخ بصرف العهد الى محمد بن الواثق فقبل اشارته ووقع

---

(1) صوابه اثنين وستين كما تقدم والمترجم امام في الفقه والحديث وله رحلة واسعة وترجمته بالديباج وذيله ......

(2) ابن خلدون : الفازازي وقد ذكره بهذا اللفظ في رقمة في الابيار ويلوح اله الصواب

الاتفاق على ذلك فاخرج محمد بن الواثق الى الشيخ المرجاني فبارك عليه ودعا له وبويع البيعة الخاصة في يوم الاربعاء الثاني والعشرين لذى الحجة المذكور، ثم لما توفى السلطان ابو حفص فى التاريخ بويع البيعة العامة وتلقب بالمستنصر بالله وهو المولى الامير ابو عبد الله محمد ابن المولى السلطان محمد الواثق ابن المولى السلطان المستنصر ابن المولى السلطان ابى زكرياء ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص عمر يعرف بابى عصيدة، وافتتح امره بقتل عبد الله ابن السلطان ابى حفص لاجل ترشحه •

وفي شهر رجب من سنة ثمان وتسعين وستمائة نهض السلطان ابو عصيدة من حضرة تونس بمحلته فسار وتجاوز تخوم عمله الى اعمال قسنطينة وجفلت قدامه الرعايا والقبائل وانتهى الى ميلة ومنها كان تقلبه الى حضرته فى شهر رمضان •

وفى اوائل جمادى الاولى سنة تسع وتسعين توفى الشيخ الصالح المرجانى (1) ودفن بجبل بالزلاج وكان صديقا لقاضى الجماعة بتونس الفقيه ابى يحيى ابى بكر الغورى الصفاقسى وكان القاضى مريضا فكتم اقرباؤه موت صديقه ولم يخبروه به وجعلوا يوصون من يعوده بان لا يخبره بموت صديقه فاتى الفقيه ابو اسحاق بن عبد الرفيع لعيادة القاضى فاوصى بان لا يخبره بشىء فنسى واخبره فازداد القاضى مرضا على مرضه وتوفى يوم الاحد رابع عشر جمادى الاول سنة تسع وتسعين فقدم بعده لقضاء الجماعة بتونس الفقيه العالم ابو اسحاق ابراهيم ابن الحسن بن على ابن عبد الرفيع الربعي وهي اول ولايته لهذه الخطة فحكم عاما واحد عشر شهرا ثم عزل وولى عوضه الفقيه ابو زيد عبد الرحمان ابن القطان البلوى (2) من اهل سوسة فى غرة ربيع الاخر من سنة احدى وسبعمائة وتوجه الى سوسة وابطى على الناس فضجوا من تاخر خصوماتهم فامر ابو اسحاق بن عبد

---

(1) ابو محمد الامام العارف معتقد الخاصة والعامة وصاحب الكلمة النافذة فى السلطان فمن دونه ونسبة تحويل ولاية العهد المارة قريبا تدل على سعة نفوذه له سمعة ذائعة غير انى لم اقف له على ترجمة معينة

(2) لم اقف له على ترجمة

الرفيع المذكور بتنفيذ الاحكام الى ان يقدم القاضي فتواصى حسدته من صنفه بانه لا يعلم بوصوله حتى يكون بمحفل يقال له فيه لا تجكم فان القاضي قد وصل وجعلوا من يرصد الطريق ففهمها ابن عبد الرفيع واوصى من يثق به ان يخبره قبل دخول القاضي بوصوله ليكون هو الممسك عن الحكومة ويصرف العون عن بابه بنفسه فاتفق ان كان يوم سبت وقد جرت عادة قضات تونس وفقهائها بوصولهم يوم السبت بمجلس الخليفة للسلام عليه ويجلس كل صنف منهم مع صنفه في بيوت اعدت لهم الى ان يخرج الخليفة فبينما الفقهاء والقضاة جالسون وابن عبدالرفيع بينهم اذ اقبل كاشفه يعلمه قبل اذ تصل رصدة حساده بقدوم القاضي فلما رءاه فهم فقام من محل جلوس القاضي منتقلا الى بيت اهل الشورى ففهم عنه حسدته فحدقوا ابصارهم نحوه فانحلت عقدة سراويله وقد توسط حلقة المجلس فجعل يصلحها ونظر اليهم مستريقا (1) فادار وجهه اليهم وقال — الحمد لله الذى لم يجعل فيكم من يصلح لها — فابكتهم ونكاهم من تشمتهم بقيامه •

قال الشيخ ابو محمد عبد الواحد الغرياني اخبرني من اثق به ان عادة الموحدين قديما بتونس انهم لا يولون القضاء اكثر من عامين (2) عملا بما اوصى به عمر ابن الخطاب رضى الله عنه حين كتب عهده انه لا يولى عاملا اكثر من عامين، وايضا فانهم يرون ان القاضي اذا طالت مدة قضائه اتخذ الاصحاب والاخوان واذا كان بمظنة العزل لا يغتر وايضا فان الحال اذا كان هكذا ظهرت مخائل المعرفة بين الاقران وكثر فيهم القضاة بتدربهم على الوقائع فيبقى الحال محفوظا بخلاف ما اذا استبد الواحد بعمل فانه لا يقع فيهم تناصف ولا يحصل لمن يلي بعده النفوذ بوظيفة ما قدم اليه الا بعد حين وتنطمس قلوب الطلبة لاياسهم من الولاية الا بمدة متفيقة :.

---

(1) لعله مستريحا اى غير مكترث

(2) هذه منقبة في تاريخ القضاء التونسي لمساعدتها وخطرها في ضمان الحقوق وتقدير القيم وقد استمر العمل بها في الدولة الحفصية فليس العزل عندهم نقيصة ولا جرح فيه للمعزول

وفى ثانى صفر من سنة سبعمائة توفى الشيخ الفقيه النحوى ابو زكرياء اليفرنى كان تلميذ ابن عصفور وخليفته فى فنه

وفى الخامس عشر لشهر رمضان بعدصلاةالجمعةمنسنة خمس وسبعمائة قتل العامة بتونس هداجا بن عبيد الكعبى بجامع الزيتونة بسبب دخوله للجامع بخفيه فزجره بعض الناس عن ذلك فقال : — دخلت والله بهما على السلطان ! — فاستعظم ذلك العامة منه وقاموا عليه وقتلوه وجروه فى طرق تونس ، وسببه انه كان من روساء الكعوب وكان الكعوب قد اضروا بالسبل وعاثوا فى الارض فحقد العامة عليهم وفعلوا به ذلك ، ولما بلغ خبره لقومه ازدادوا طغيانا واستقدم احمد بن ابى الليل شيخ الكعوب حينئذ عثمان بن ابى دبوس من نواحى طرابلس وبايعه واجلب به على الحضرة ونازلها وخرج اليهم الوزير ابو عبد الله محمد بن يرزكين فى العساكر فهزمهم وسار بالعسكر لتمهيد الجهات فوفد عليه احمد بن ابى الليل ومعه سليمان بن جامع من رجال هوارة بعد ان راجع الطاعة وصرف ابن ابى دبوس الى مكانه من نواحى طرابلس فقبض عليهما وبعث بهما الى الحضرة فلم يزالا مثقفين الى ان هلك احمد بمحبسه سنة ثمان وقام بامر الكعوب محمد بن ابى الليل ومعه حمزة ومولاهم ابنا اخيه عمر رديفين له

وفى شهر جمادى من سنة ست وسبعمائة سافر شيخ الموحدين ابو يحيى زكرياء بن احمد اللحيانى (1) بالعساكر الى جربة برسم تخليصها من ايدى النصارى فقاتل القشتيل شهرين ثم رحل عنها الى قابس ثم الى بلاد الجريد وانتهى الى توزر ونزلها واعانه على الخدمة احمد بن محمد بن يملول وخلص مجابى الجريد ورجع الى قابس وانزله عبد الملك بن عثمان بن مكي بداره ولما استقر بقابس صرح بما كان فى قصده من امر الحج وصرف العساكر الى الحضرة فتولى بعده رياسة الموحدين بتونس ابو يعقوب ابن يزدوتن وتحول هو عن

---

(1) رحلته هذه هى التى دونها كاتبه التجانى وطبعت اخيرا بتونس وفيها من المعلومات التاريخية والادبية عن ذلك العصر ما ليس فى غيرها

قابس الى بعض جبالها خوفا من وخمها واقام ينتظر الركب وكان مريضا الى ان برىء وانتقل الى طرابلس فاقام بها حولا ونصفا الى ان وصل فى آخر سنة ثمان وفد الترك الذين كانوا قد بعثوا بهدية من صاحب مصر ليوسف المرينى راجعين من المغرب فخرج معهم حاجا وقضى فرضه .

وفى شهر رمضان من سنة ثمان وسبعمائة حجر العامة باب القصبة بتونس وهم يقولون — اخرجوا لنا ابن الدباغ الحاجب — من سبب ان العرب اكثروا الغارات باطراف تونس فحينئذ ضج الناس من ذلك وصدر ذلك منهم واتوا الى القصبة يريدون الثورة فسد الباب دونهم فرموه بالحجارة يشكون ما نزل بهم من الحاجب ابن الدباغ ويطلبون شفاء صدورهم بقتله ولما فعل العامة ذلك اراد رجال السلطان ان يركب لهم باصحابه وداخلته يطئونهم بحوافر الخيل فابى السلطان ذلك وامر ان يدافعوا بلين ومحاولة وكان قد حصل بعضهم بداخل القصبة فاراد بعض اصحاب السلطان ان يغلق عليهم الباب ويقتلوا هنالك فابى السلطان وامر ان يدفعوا بركائز المزاريق لابالاسنة حتى يخرجوا واغلظ الفقيه ابن عبد الرفيع على الناس بالقول فى ذلك اليوم ولم يكن قاضيا، وفى ذلك اليوم عزل حاكم المدينة لدخوله من باب القصبة راكبا حين كانت العامة عند باب بنتجمى دخل هو من باب الغدر راكبا فـذنب بذلك ثم ان السلطان تتبع بالعقاب من تولى كبر ذلك من العامة وانحسم الداء .

وفى سنة ثمان وسبعمائة المذكورة تزايد بتونس مولود بدرب عبو خارج باب السويقة ميتا على صفة غريبة غير معهودة وصفته ان على راسه تاجا من لحم له عينان كعيون البقر وانف وفم كفم القرد وليس فى فمه لسان وفى قفاه شعر اكحل سبط منسدل قدر الشبر وتحته دفتان من لحم تنفتحان على خواء فارغ من عنقه متصل بدماغه وله ساعدان وكفان كبيران وبطن صغير وليس له عجز وله رجلان واصبعان بغير عظم فسبحان الخلاق العظيم .

وفى حادى عشر ذى الحجة وصلت الزرافة الى تونس فى جفن التاجر ابى القاسم القنبى هدية من صاحب مصر

وفى صفر من سنة تسع وسبعمائة صنع المنجنيق بدار الصناعة بتونس ورمى به هناك ثلاثة احجار

وفى الخامس لربيع الاخر من السنة المذكورة توفى الفقيه الاديب ابو القاسم ابن عميرة وكان من فضلاء الكتاب الشعراء ممن حذا حذو ابيه وزيادة

وفى الثالث عشر لربيع الاخر سنة تسع المذكورة توفى صاحب تونس الامير ابو عبد الله محمد بن الواثق بمرض الاستسقاء ولم يخلف ابنا ذكرا فكانت خلافته اربعة عشر عاما وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوما وكان عقد مع الامير ابى البقاء خالد صاحب قسطنطينة وبجاية على انهما ايهما توفى قبل الاخر اخذ الاخر بلاده

وكان السلطان ابو البقاء خالد قد نزع اليه حمزة بن عمر بن ابى الليل عند اياسه من خروج اخيه من محبسه فرغبه فى ملك الحضرة واستنهضه اليها فلما مرض السلطان ابو عبد الله محمد وتحقق ذلك السلطان ابو البقاء خالد وهو اذاك ببجاية واعمالها جد فى الحركة على تونس واظهر انها للجزائر ثم سار الى قسنطينة وترك نائبا بها الفقيه ابا الحسن على بن عمر . فلما قرب من تونس ونزل قصر جابر توفى الامير ابو عبد الله صاحب تونس فاجتمع الاشياخ والكبار من الموحدين والحاجب اذ ذاك ابو عبد الله محمد بن الدباغ وتحدثوا هل يقع الوفاء بالعهد والشرط المتقدم او ينظرون من يبايعونه لانفسهم فاستقر رايهم على مبايعة الامير ابى بكر المعروف بالشهيد

فبويع الامير ابو بكر المعروف بالشهيد ابن الامير ابى زيد عبد الرحمان ابن الامير ابى بكر ابن الامير السلطان ابى زكرياء يوم وفاة الامير ابى عبد الله وذلك يوم الثلاثاء العاشر لربيع الاخر من سنة تسع وسبعمائة

ولما بويع اقر ابن الدباغ على حجابته وعلى كتب العلامة واقر الشيخ ابا عبد الله محمد بن يرزكين على الوزارة الا انه اظهر للحاجب ابى عبد الله محمد بن الدباغ ابعادا واقصاء وتهديدا وكان يحقد عليه امورا اوغرت صدره واعالت على طوال السنين صبره وكان ينسب اليه التقصير فى حقه والتقتير فى رزقه وبلغه انه حض على قتله فلما علم ابن الدباغ ذلك سعى فى فساد دولته

ثم ان السلطان ابا بكر رمى محلته بالسعترية وخرج فى بروز عظيم وجيش وافر ومعه اولاد مهلهل وطائفة من الاعشاش وكان اولاد ابى الليل مع السلطان ابى البقاء خالد فلما تراءى الفريقان بقرب المدينة اراد السلطان ابو بكر المذكور الركوب للقائه بنفسه فلم يوافقه الاشياخ على ذلك وقالوا : يركب الشيخ ابو يعقوب مع الجيش للقاء واستصعبوا امر السلطان خالد وجيشه فركب الشيخ ابو يعقوب والتقى الجيشان واقام السلطان ابو بكر بالسعترية بمحلته فوقع قتال شديد الى غروب الشمس وانهزم الشيخ ابو يعقوب واخذ الوزير ابو عبد الله بن يرزكين وقتل واحرقه العرب بالنار لحسائف كانت فى نفوسهم عليه واستمرت الهزيمة الى المدينة فركب الشهيد ودخل المدينة وانتهبت محلته ، واصبح ابو البقاء خالد على المدينة فخرج السلطان الشهيد ووقف عند جامع الهواء ومعه فئة قليلة من الجيش وبين يديه جمع من المشاة ووقع القتال بالسبخة وفر الناس الى السلطان ابى البقاء خالد الى ان بقى الشهيد وحده فرمى تاجه من راسه وفر هاربا والناس فى طلبه وهو يرمى لهم ما كان عليه من سقط يشغلهم عنه الى ان استقر بجنان على بن صابر بخارج درب الخضراء فسار على بن صابر الى المحلة وعرف بالقضية فعين له خيل وجماعة من اصحاب الركاب فجاءوا به الى المحلة فضرب له خباء وبات فيه فلما اصبح جلس السلطان خالد فى خباء للبيعة العامة وخرج الموحدون والقضاة وسائر اشياخ تونس للبيعة فلما استوفوا البيعة بعد ان اعرض عنهم وذنبوا ببيعتهم لابى بكر امر الاشياخ ان يعاينوه فعاينوه واعترفوا انه سلطانهم بالامس فاخرج من الخباء وامر صاحب الركاب ان يضرب عنقه بعد ما عقد شعره بيده فلما اقبل عليه ليقتله انتهره ولعنه وقال : انما يقتلنى من هو كفؤلى فامر السلطان خالد ابا زكرياء يحيى مزوار الغرابة القادم معه فضرب عنقه وذلك يوم الجمعة السابع والعشرين من ربيع الاخر سنة تسع وسبعمائة فسمى الشهيد الى اخر الدهر ، فكانت ولايته سبعة عشر يوما

وتولى بعده المولى ابو البقاء خالد ابن المولى ابى زكرياء يحيى ابن المولى ابى اسحاق ابراهيم ابن المولى الامير ابى زكرياء ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد امه

ام ولد اسمها عز العلاء بويع بتونس فى السابع والعشرين من ربيع الاخر المذكور ولقب بالناصر لدين الله كان شيخ دولته الشيخ ابو محمد عبد الله ابن عبد الحق وحاجبه الرئيس ابو عبد الرحمان ابن محمد بن الغازى القسنطينى وابقى ابا يعقوب بن يزدوتن فى رياسته على الموحدين مشاركا لابى زكريا يحى بن ابى الاعلام لكونه رئيسا عندهم من قبل وولى على الاشغال بالحضرة منصور بن فضل بن مزنى وعقد لاخيه المولى الامير ابى بكر على قسنطينة فانتقل اليها وهرب الحاجب ابو عبد الله محمد بن الدباغ الى زاوية الزبيديين فاحتال عليه ابن عمر حتى خرج اختيارا فثقف ودفع خمسين الفا من الدنانير وطلب فى غير ذلك فاقام فى السجن مريضا الى ان توفى فى السابع والعشرين من رجب السنة المذكورة واخرجت جنازته وصلى عليها ولم يصحبها للدفن الا قليل من الناس نحو عشرة على خوف

وفى سنة عشر وسبعمائة توفى الفقيه المفتى ابو على عمر ابن محمد بن عمر بن علوان الهذلى بتونس (1)

وفى الرابع والعشرين من السنة المذكورة توفى شيخ الشيوخ بتونس السيد المقرى ابو العباس احمد بن موسى الانصارى البطرنى

وفى صفر سنة احدى عشر قتل الشيخ ابو محمد عبد الله ابن عبد الحق بن سليمان شيخ دولة الامير خالد قتله هوارة

دولة زكرياء ابن اللحيانى

وفى يوم الخميس التاسع لجمادى الاولى من السنة المذكورة وصل الشيخ ابو عبد الله المزدورى صحبة العرب الى تونس نائبا عن الامير ابى يحيى زكرياء بن احمد بن محمد اللحيانى وكان وصل من الحجاز الى افريقية

(1) مترجم بنيل الابتهاج وذيله ورحلة التيجانى وفى بعضها ان وفاته سنة 716

فوجد الاحوال قد اضطربت بها ووجد العرب غلبت على افريقية فعزم على الولاية فبويع بطرابلس ـ وكان صاحب قسنطينة المولى ابو بكر قد بايع لنفسه بقسنطينة لما سمع باختلال احوال افريقية كما يذكر ـ بعد ولما سمع السلطان خالد بذلك جهز عسكرا وعقد عليه لظافر مولاه المعروف بالكبير وسرحه الى اقسنطينة فانتهى الى باجة فاراح بها ، ثم لما سمع المولى ابو بكر صاحب قسنطينة بقدوم الامير ابى يحيى زكرياء بن اللحياني ومبايعته بطرابلس اوفدعليه هنالك حاجبه ابا عبد الرحمان بن عمر بهدية ووعد بانه ممده ومظاهره على شانه فاحكم ذلك عقدة الامير ابى يحيى بن اللحانى وشد فى امره وتواثب اليه رجال الكعوب اولاد ابى الليل وغيرهم فبايعوه واستحثوه للحضرة فارتحل اليها وبعث فى مقدمته اولا دابى الليل ومعهم شيخ دولته الشيخ ابو عبد الله محمد المزدورى فوصلوا الى تونس فكانت بتونس معركة قتل فيها شيخ الدولة ابو زكرياء الحفصى وتسارع الناس للمزدورى ومكنوه من تونس بعد اشهاد صاحبها ابى البقاء خالد على نفسه بالخلع ـ بعد حديثه فى ذلك مع قاضيه قاضى الجماعة حينئذ بتونس ابن عبد الرفيع فقال له الخلع ينجيك ان لم تقدر على المقابلة ـ فخلع نفسه وكان به مرض لا يقدر معه على الركوب ، وكانت له محلة قائمة بباجة قائدها ظافر الكبير كما تقدم فوجه اليه ليرجع فلما وصله الامر ارتحل راجعا فتلقاه اولاد ابى الليل فاخذوه قبل وصوله واخذوا المحلة واستولوا على ظافر صاحبها وعلى امثاله وثقفوه ومن هو مثله عندهم الى ان سرحوه بعد ذلك فلحق بالمولى السلطان ابى بكر بقسنطينة فاثره واستخلفه كما كان لاخيه وولاه على قسنطينة فاقام بها واليا الى ان استقدمه الى بجاية ،فكانت دولة السلطان خالد بتونس عامين وثلاثة عشر يوما وتوفى بتونس قتيلا فى سنة احدى عشرة المذكورة كذا ذكر ابن الخطيب فى الفارسية ـ وفى مشهده فى القبة التى تحت جامع الزلاج بالجبل شرقى الجامع انه توفى فى جمادى الاخرى عام ثلاثة عشر ـ وفى يوم الجمعة ثانى يوم وصول المزدورى لتونس خطبوا خطبة

لم يذكروا فيها اماما معينا وانما قال الخطيب ـ اللهم وارض عمن يقوم بامر عبادك ويصلح ما ظهر من الخلل في بلادك ـ في دعوات من هذا النمط

وفي يوم الاحد الثاني من رجب من سنة احدى عشرة بويع البيعة العامة بمنزل المحمدية الامير ابو يحيى زكرياء ابن الشيخ المعظم ابي العباس احمد ابن الشيخ المعظم ابي عبد الله محمد اللحياني ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد امه ام ولد اصلها رومية اسمها محرم ولد سنة احدى وخمسين وستمائة وسلم له الامر بتونس وكان مشاركا في العلم والادب ولذلك كان يالف اهل العلم وكان في اول امره كثير التمنع من الامر وكان أحب الامور اليه ان يكون نائبا عن خليفة يكون قابلا لكلامه موثرا له عن من سواه عاملا بمقتضى السياسة فلذلك ردا فعال من كان قبله واسترجع البلاد التي سوغت وقال : ما يمضي عطاء من لا يعرف قدر ما اعطى ، ثم عرض عليه الجيش واسقط منه من لم يكن له اصل ثابت في القبائل ، وسار في الناس سيرة حسنة، ومكن ولده للمحكم عند القاضي ابي اسحاق ابن عبد الرفيع في دم ادعى على ابيه به وهذا كان سببا في محنة القاضي المذكور وذلك انه ثبت رسم التدمية على ابن الخليفة وحكم عليه بالقتل فعفا عنه من له الحق (1) فبعد مدة كبيرة تولى المحكوم عليه الخلافة فامر بالقاضي المذكور فسجن بالمهدية في ماجل بها بقي فيه عامين وبعض الثالث فكان يقول ـ انما اصابني ما اصابني بتثقيفي الشيخ الصالح ابا علي القروي يوما بسنة ـ وذلك انه انكر عليه جمعه بجامع الزيتونة وكان بعض سقفه قد سقط فراى انه قد نقض شرط السقف فامر القاضي بثقافه

وللاول ولاية الامير ابي يحيى زكرياء بتونس امر بخطة الانشاء

---

(1) هذا مثال من استقلال القضاء في الدولة الحفصية وان كان له ارتداد بالانتقام للمحكوم عليه فلا عبرة به لانه وقع في ظروف اضطراب وحالة حرب وربما كانت له اسباب تخصه

العلامة الكبرى للفقيه ابى عبد الله محمد بن ابراهيم التجانى (1) وبقى ابى الخباز على ما كان عليه من كتب العلامة الصغرى الى ان توفى بعد فاضيفت علامته الى التجانى وذلك اول يوم من المحرم فاتح عام سبعة عشر وسبعمائة واعاد الحاجب ابا عبد الرحمان بن عمر الى مرسله المولى ابى بكر صاحب قسنطينة بعد ان عقد معه على المهادنة وضمن ابى عمر من ذلك ما رضيه فقدم ابن عمر على المولى ابى بكر ببجاية وعاد الى حجابته كما كان

وفى سنة ثنتى عشرة وسبعمائة توفى الفقيه ابو يحيى ابو بكر ابن ابى قاسم ابن جماعة الهوارى (2)

وفى عام ستة عشر وسبعمائة امر السلطان ابو يحيى زكرياء بعمل ابواب من خشب وعوارض منه لبيت جامع الزيتونة فعملت على ما هى عليه اليوم فى شهر رمضان من العام المذكور وكتب تاريخ ذلك فى قنبجة بيصاب البهور (3)

وفى العام المذكور ولد الشيخ الامام العالم ابو عبد الله محمد بن عرفة الورغمى .

ثم ان السلطان ابا يحيى زكرياء راى اضطراب الاحوال وافتتان العربان وظهر له خروج الامر من يده وتوقع مجىء السلطان ابى بكر الى الحضرة بما ظهر من دلائل النجابة عليه فجمع الاموال وباع جميع الذخائر التى كانت فى القصبة حتى الكتب التى كان الامير ابو زكرياء الاكبر جمعها واستجاد اصولها ودواوينها اخرجت للكتبيين فبيعت بدكاكينهم زعموا انه جمع قناطير من الذهب تجاوز العشرين وجولقين من حصا الدر والياقوت واستعمل حركة لقابس وخرج اليها فى اوائل عام سبعة عشر

---

(1) هو والد صاحب الرحلة عبد الله وله فيها آثار قيمة من نظم ونثر وبالرحلة ادب جم لهذين العلمين وغيرهما من اسرتهما الضخمة التى ذهبت شعاعا بانتقال الدولة الى ابى بكر لاسامحه الله

(2) له كتاب فى فقه البيوع يدرس وقد كتب عليه بعض الفقهاء ذكره ابن قنفذ فى الوفيات عرضا فى ترجمة القباب

(3) وما تزال هذه الكتابة والابواب ماثلة الى الآن ومفهومه ان بيت الصلاة لم تكن له ابواب قبل وكذلك كانت المساجد فى صدر الاسلام والمسجد النبوى باق على هذا الى اليوم

وسبعمائة بعد أن رتب بتونس اجنادا يذبون عنها منهم مع قائد المدينة الف فارس وبعضهم بانف الجبل بقبلة تونس وبعضهم بالمعاوين وبعضهم على طريق باجة وخرج من تونس في قدر الف فارس واستخلف بها ابا الحسن بن وانودين فرحل الى قابس فسكنها وبقي فيها ويقال انه خرج باربعة وعشرين قنطارا من الذهب وخرج باهله وولده الا ولده محمد فانه تركه معتقلا

ولما خرج هو من تونس تحرك السلطان ابو بكر وارتحل من قسنطينة في جمادى الاخرى من سنة سبع عشرة قاصدا الحضرة ولقيه وفد العرب وانتهى الى باجة وانصرفت حاميته الى تونس وكان نواب ابي يحيى زكرياء كتبوا له بحركة ابي بكر على تونس فكتب لهم : المال عندكم والاجناد وما فعلتم فقد امضيته فوجدوا عندهم من المال المجتمع من حين سافر مائة الف دينار وخمسين الفا ووجدوا من الاجناد سبعمائة فارس فاخرجوا ولده محمدا من الثقاف واستنابوا الشيخ ابا الحسن بن وانودين على تونس وخرجوا الى القيروان ومعهم الامير محمد المعروف بابي ضربة ابن السلطان ابي يحيى زكرياء راكبا بغلة دون سلاح وخرج جميع الاشياخ وخالفهم الى المولى السلطان ابي بكر مولاهم ابن عمر بن ابي الليل لما كان في نفسه من السلطان ابي يحيى زكرياء لكونه كان يؤثر عليه اخاه حمزة فلقي السلطان دوين باجة واستحثه لتونس فوصلها ونزل في رياض السناجرة في شعبان من سنة سبع عشرة .

بيعة محمد ابي ضربة ابن زكرياء

وكان الامير محمد ابو ضربة ومن معه لما خرجوا من تونس لقيهم حمزة ابن عمر بن ابي الليل فقال لهم — الى اين فقالوا الى القيروان ومن ثم نكاتب السلطان بقابس ونعرفه ان صاحب قسنطينة قد ملك تونس — فقال لهم : هذا هو السلطان — يعني به محمدا ابا ضربة ونزل فبايعه وجميع الناس

---

(1) المعروف الآن بحمام الانف

واجتمعت عليه كلمة الموحدين والعرب وذلك في اواسط شعبان من عام سبعة عشر ورجعوا بجميعهم الى تونس فكتب حمزة بخطه لاخيه مولاهم ارجع بسلطانك فرجع ورحل به من رياض السناجرة بعد ان اقام بها سبعة ايام وضربت المفرحات هنالك وسار الى قسنطينة ورجع عنه مولاهم من تخوم وطنه وبقي حمزة وابن اللحياني بخارج تونس والخطبة مشتركة بينه وبين ابيه يقول الخطيب بعد ذكر السلطان اللهم وارض عن نجلهم الناشى عن مقاماتهم شرفهم المستنصر بالله امير المومنين ابى عبد الله محمد

وفي اواسط شعبان من العام المذكور بويع بتونس الامير ابو عبد الله محمد ابن الامير ابى يحيى زكرياء ابن الشيخ ابى العباس احمد ابن الشيخ ابى عبد الله محمد اللحياني ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص وتلقب بالمستنصر ولما ورد على والده الامير ابى يحيى زكرياء الخبر بقابس بما وقع بتونس وان السلطان ابا بكر هزم ولده وراى الامور تفاقمت خرج من قابس الى طرابلس ببقية الجيش الذين كانوا معه وخمسين فارسا من رماة الاندلس فاقام بطرابلس وبنى بها موضعا لجلوسه يقال له الطارمة بناه بالجليز والرخام واحيا اعمال طرابلس ثم سرح ذلك الجيش لنصرة ولده صحبة حاجبه ابى زكرياء بن يعقوب ووزيره ابن ياسين بالاموال ففرقها في العرب وزحفوا بهم الى القيروان مع الامير محمد ابى ضربة المذكور فخرج السلطان ابو بكر فهزمهم ونجا ابو ضربة الى المهدية فامتنع بها ولحق الحاجب المذكور وبعض الفل بالسلطان ابى يحيى زكرياء بطرابلس فارسل الى النصارى وطلب منهم عمارة ستة اجفان فوردت عليه وطلع فيها باهله وولده وماله وحاجبه ابى زكرياء بن يعقوب وترك صهره ابا عبد الله محمد بن ابى بكر ابن ابى عمران من قرابته حافظا لطرابلس فلم يزل الى ان استدعاه الكعوب ونصبوه للامر واجلبوا به على السلطان ابى بكر مرارا كما يذكر بعد ، وسافر الامير ابو زكرياء في البحر الى الاسكندرية فنزل بها على السلطان محمد بن قلاوون واستقدمه الى مصر فعظم مقدمه واهتز للقائه واسنى جرايته واقطاعه الى ان هلك سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فكانت خلافة ابى يحيى زكرياء بتونس ستة اعوام واربعة

اشهر .

ولما تولى تونس الامير ابو عبد الله محمد ابن ابى ضربة تحدث مع الناس في بناء سور على الارباض فاجابوه الى ذلك وشرع فيه ثم ان حمزة بن عمر بن ابى الليل طلب منه كسوة الف فارس كل فارس بثلاثين دينارا وغير ذلك من المطالب حتى ما ابقى له شيئا من المال . ثم ان المولى ابابكر حشد الحشود فى صفر من سنة ثمان وعشرين

وسبعمائة قاصدا تونس واستعمل على حجابته ابا عبد الله محمد ابن القالون ويرادفه ابو الحسن بن عمر وسار الى ان وصل الى الاربس فوافاه وفد هوارة وكبيرهم سليمان بن جامع واخبره ان الامير ابا ضربة ارتحل عن باجة عازما على اللقاء فارتحل السلطان ابو بكر مجدا والقيهم مولاهم ابن عمر بن ابى الليل فراجع الطاعة وارتحل فى اتباع ابى ضربة وجموعه فخرج اليه العمال والمشيخة وبايعوه وارتحل راجعا عن اتباع عدوه الى حضرة تونس وكان ترك بها نائبا محمد بن الفلاق ليمنعها فاخرج الرماة الى ساحته وقاتل ساعة من نهار ثم اقتحموها عليه واستبيح عامة ارباضها ودخل السلطان الى الحضرة في شهر ربيع من سنته وكان ملكها يوم الخميس السابع لربيع الاخر من سنة ثمانية عشر ودخلها من الغد يوم الجمعة وجددت له البيعة بها فكانت مدة خلافته بتونس تسعة اشهر ونصف شهر .

دولة ابى بكر يحيى بن ابراهيم

وتولى تونس امير المؤمنين المتوكل على الله ابو بكر ابن الامير ابى زكرياء يحيى ابن المولى السلطان ابى اسحاق ابراهيم ابن الامير ابى زكرياء يحيى ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص امه ام ولد رومية اسمها املح الناس .كانت ولادته بقسنطينة فى شهر شعبان من عام اثنين وتسعين وستمائة

وفي يوم الاثنين ثامن عشر لربيع الاخر من سنة ثمان عشرة وسبعمائة المذكورة قدم للقضاء بتونس الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد ابن

الغماز (1) عرضه عليه السلطان فاجاب ـ وكم دعا قوما فلم يقبلوا ـ

وفي شهر رمضان سنة تسع وعشرين وسبعمائة توفي الشيخ الصالح العالم المفتي امام جامع الزيتونة وخطيبه ابو موسى هارون الحميرى (2) وكان لما مرض استخلف في الخطبة الشيخ ابن عبد السلام فبلغ ذلك قاضى الجماعة حينئذ ابن عبد الرفيع فقدم الشيخ ابا عبد الله محمد بن محمد بن عبد الستار واخر ابن عبد السلام فاتاه وقال له ابجرحه هذا قال لا لكن اهل تونس ما يولون جامعهم الا لمن هو من بلدهم • ولما مات ابو موسى استبد ابن عبد الستار بذلك وضرب الدهر ضرباته فولى ابن عبد السلام القضاء بتونس ولم يزل ابن عبد الستار خطيبا الى ان مات سنة تسع واربعين (3) وكان ابن عبد الستار مدرسا بمدرسة المعرض ويذكر ان ابن عبد السلام قرا عليه • ومن ورعه وزهادة نفسه انه كان يخطب يوم الجمعة بثياب صلاته فاذا كان من الغد لبس جبة خشنة وجعل على ظهر حماره الرشا وساقه بيده خارجا لجنانه الذى منه يعيش ويخدمه بيده • وسبب حرفته بالفلاحة انه راى في منامه زمن وجهته للحج ان القيامة قد قامت ونودى بالناس هلموا الى باب الجنة قال فسرت مع جماعة فادخلوا ورددت وقيل لي انك لست من هؤلاء فقلت ومن هم قالوا الفلاحون قال فاليت على نفسي ان رجعت لبلدى ان نحترف بالفلاحة

وفي شعبان من سنة سبع وعشرين توفي بتونس الحاجب محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار فاستقدم السلطان محمد بن الحسين بن سيد الناس من بجاية فقدم في المحرم سنة ثمان وعشرين وولاه حجابته •

علاقات تونسية مغربية

(1) هو ابن القاضي احمد ابن الغماز السابق وله ترجمة بالديباج ذكر فيها انه عمر الى سنة 785

(2) ترجمته بالديباج

(3) ترجمته بنيل الابتهاج

السلطان ابو بكر لما خلص الى بجاية بعد الكائنة التي وقعت عليه عزم على الوفود على ملك المغرب ابي سعيد ليفزعه على آل يغمراسن ابن زيان فاشار عليه محمد بن الحسين وزيره ببعث ولده الامير ابي زكرياء فبعثه في البحر مع الشيخ ابن تافراجين فلما قدموا على ابي سعيد واستصرخوه بكتب السلطان له بذلك اهتز هو وولده الامير ابو الحسن لذلك . ولما اجتمع السلطان ابو سعيد بالامير ابي زكرياء يوم مقدمه قال له : والله لقد اكبر قومنا قصدك وموصلك والله لابذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولا سيرن بعسكري الى تلمسان فانزلها لكن يشرط ان يكون ابوك معي ـ فانصرفوا مسرورين وقبلوا شرطه ونهض السلطان ابو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين فجاءه اليقين بوادي ملوية ان السلطان ابا بكر استولى على تونس واخرج زناتة وسلطانهم عنها في رجب من عام ثلاثين وجددت له البيعة بها وهي المرة السادسة في اخبار تركت خشية الطول فاستدعى السلطان ابو سعيد الامير ابا زكرياء ووزيره الشيخ ابن تافراجين وامرهم بالانصراف الى صاحبهم واسنى جوائزهم وركبوا اساطيلهم من ساغاسنة وارسل معهم للخطبة والصهر ابراهيم ابن ابي حاتم العزفي والقاضي ابا عبد الله ابن عبد الرزاق ورجع السلطان ابو سعيد الى حضرته ولما انعقد الصهر للمولى ابي الحسن بالحرة فاطمة زفها اليهم في اساطيله مع مشيخة الموحدين فوصلوا بها من ساغاسنة بين يدي مهلك السلطان ابي سعيد وبعد وفاته بويع لولده ابي الحسن وزفت اليه فاعرس بها واجمع امره على الانتقام لابيها من عدوه فارتحل الى تلمسان سنة ثمان وثلاثين فبلغه الخبر ان اخاه ابا علي صاحب سجلماسة نكث البيعة فرجع اليه لحاصره حتى اخذه ورجع الى حضرته

وفي خامس المحرم من سنة احدى وثلاثين وسبعمائة توفي القاضي ابو علي عمر بن محمد بن ابراهيم بن عبد السيد الهاشمي (1) كان قاضي الانكحة

---

(1) لم اقف له على ترجمة

وكان بينه وبين قاضى الجماعة ابن عبد الرفيع منافسات جرتها الرياسة واوجبها التنازع فى استحقاق منصب خطة القضاء بحيث آل الامر بينهما الى تباعد كل منهما عن صاحبه . شهد القاضى ابو على فى عقدة نكاح بين ذميين بشهادة المسلمين فاباحه فسمع قاضى الجماعة فانكره فوجه قاضى الانكحة هذا لعدول تونس وامرهم بالشهادة فيه والف كتابا فى اباحة الحكم بينهم والشهادة عليهم وفى انكحتم وسماه (ادراك الصواب فى انكحة اهل الكتاب) والف قاضى الجماعة كتابا على صحة قوله ذكر ذلك ابن عبد السلام عنهما قال ابن عرفة قلت لابن عبد السلام ما الصواب عندك قال المنع لانهم لايتحفظون فى انكحتهم قال ابن عرفة والصواب عندى الجواز لانا لا نطالبهم بما يجوز عندنا شرعا ولا تضرنا مخالفتهم فى ذلك نقله السلاوى

وفى عام اثنين وثلاثين وصل الأمير عبد الواحد ابن السلطان ابى يحيى زكرياء ابن اللحيانى اخو ابى ضربة لتونس فملكها عند قدومه بعد موت ابيه من المشرق مع ذبا بوابن مكى وتسامع به الناس وافريقية خالية من حاميتها لنهوضهم الى بجاية فاغتنم حمزة بن عمر الفرصة فاستقدمه وبايعه ورحل به الى تونس ودخلها الامير عبد الواحد وحاجبه ابن مكى وقام بها الى ان بلغ الخبر السلطان بمقربة من مسيلة — بعد هدمه حصن بنى عبد الواحد المحدث على بجاية — فقفل الى الحضرة وبعث فى مقدمته محمد البطرنى من بطانته فى عسكر اختارهم لذلك . فاجفل ابن اللحيانى وجموعه عن تونس لخمس عشرة ليلة من نزولهم ودخل البطرني اليها وجاء السلطان على اثره ايام عيد الفطر من سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وجددت له بتونس البيعة وهى المرة السابعة له كما قيل

فالقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

وفى يوم الخميس ثالث عشر ربيع الاول من سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة اخذ محمد ابى الحسن ابن سيد الناس بتونس ثم قتل وصلب واحرق

بالنار ولـم يظهر مـن مالـه شيء • وذكروا ان سبب ذلك فلتات من لسانه مع ما كانت الظنون تترجم عن ذلـك بالمداهنة وكان الذى تولى القبض عليه محمد بن الحكيم • قال ابـن الخطيب فلم تعد النار على يده اليمنـى بشيء وردت للنار مرارا فلم تعد عليها وهذا خبر لا شك فيـه صحيـح • واولت بالصدقة او بكتب مافيه قربه • وقلدت الحجـابـة بعـده للكـاتب ابـى القاسم بن عبد العزيز الغسانى

وفى شهر رمضان المعظم من سنة ثلاث وثلاثين توفى الشيخ الفقيه العالم ابو اسحاق بن عبد الرفيع(I) قاضى الجماعة بتونس من بيوتات التونسيين ودفـن بدار اعدها لدفنه قرب جامـع القصر الاعلى وجعـل بازائهـا مكتبـا لتعليم الولدان كان مولده فى ربيع الاول من عام سبعة وثلاثين وستمائة بلغ عمره خمسا وتسعين سنة منها ثلاثون يتردد فيها ولاية القضاء بين تبرسق وقابس ثـم ترقى الى قضاء تونس فداولها فى خمس دول اولاها فى شهر جماد الاولى من عام تسعة وتسعين وستمائة وكانت له معرفة بالوثائق والاحكام منفذ الاحكام غير متهيب للامراء مقبوض اليد سالم العرض ولـه تصانيف منهـا مفيـد الحكام ومنها الرد على المنتصر ومنها اختصار اجوبة ابن رشد ومنها الاجوبة عن اسلـة اوردهـا القاضى ابو بكـر الطـرطوشى ثم ولى بعده قضاء الجماعة نائبه الفقيه ابو على عمر بن قراح الهوارى وكان فقيها حافظا لمذهب مالك مفتيا له الشيوخ ترجمته في الديباج ووفاته سنة

مشاركة فى علـم الاصـول ولى قضاء الانكحـة بتـونس فـى كرتيـن ودرس بالشماعية ولم تطل ايامه فى القضاء وتوفى رحمه الله فى عام اربعة وثلاثين وسبعمائة

قال الشيخ ابن عرفة حدثنى مـن اثق به لما مات القاضى ابن قداح بتونس تكلـم اهـل مجلس السلطـان ابـى يحيى فى ولاية قاض فذكر بعض اهل

(I) عميد القضاء التونسى ومشيد اركانه بقوة عارضته وسعة مداركه وترجمته بالديباج

(2) هو ابن على ابن قداح بالفتح والتشديد كما هو جار على السنة الشيوخ له ترجمة فى الديباج ووفاته به سنة 766

المجلس الشيخ ابن عبد السلام (1) فقال بعض اهل المجس الكبار انه شديد الامر ولا تطيقونه فقال بعضهم نستخبروا أمره فدسوا عليه رجلا من الموحدين كان جارا له يعرف بابن ابراهيم فقال له هولاء امتنعوا من توليتك لانك شديد في الحكم فقال له انا اعرف العوائد وامشيها فحينئذ ولوه من عام اربعة وثلاثين وسبعمائة الى ان توفي عام تسعة واربعين حسبما يذكر بعد • قال الشيخ البرزلي في تاليفه بعد ان ذكر هذه الحكاية لعله انما ذكر ذلك لانه خاف ان يتولى من لا يصلح بوجه فكان كلامه مانعا منه • وكان الشيخ ابن عبد السلام عالما ساد بالعلم وراس • واقتبس من الحضرة ما اقتبس • له التاليف المشهور الذى شرح فيه ابن الحاجب • وكان غيره من شروحات ابن الحاجب بالنسبة اليه كالعيين من الحاجب • جمع بين القضاء والخطابة والتدريس والفتوى وكان يدرس بالمدرسة الشماعية ولما بنت اخت السلطان ابى يحيى مدرسه عنق الجمل طلبت من اخيها السلطان ابى يحيى ان يكون قاضى الجماعة ابن عبد السلام مدرسا بمدرستها فاسعفها فكان يقسم الجمعة بين المدرستين ثم ان الحرة عزلته من مدرستها ونسبته للتفريط وقدمت مدرسا الشيخ الفقيه ابا عبد الله محمد ابن سلامه (2)

وفى عام خمسة وثلاثين كمل بناء البرج الجديد براس الطابية وبلغت النفقة فيه خمسين الف دينار وكان ينفق فيه من مال العموم •

وفى العام المذكور تحرك السلطان ابو يحيى ابو بكر الى مدينة قفصة وكان استبدا بشوارها يحيى بن محمد بن على بن عبد الجليل بن العابد الشريدى من بيوتاتها فنازلها السلطان اياما ونصب عليها المجانيق فامتنعوا ثم جمع الايدى على قطع نخلهم واقتلاع شجرهم فنادوا بالامن فامنهم • وخرج اليه ابن عبد الجليل فى ربيع الاخر من السنة المذكورة فاشخصه

---

(1) ابوعبد الله محمد ابن عبدالسلام الهوارى وفى المرقبة العليا المنستيرى احد اركان الفقه والقضاء بتونس ترجمته بالديباج وذيله وغيرهما وفى قصة ولايته عبرة فى تمسك السلف بالعرق والعادة

(2) شيخ ابن عرفة له ترجمة بنيل الابتهاج

إلى الحضرة وإنزاله بها مع رجال من قومه بنى العابد وفر سائرهم الى قابس فنزلوا فى جوار ابن مكي ودخل اهل البلد فى حكمه فاحسن التجاوز عنهم ثم آثرهم بان قدم عليهم ولده الامير ابا العباس احمد واوصاه بهم وعقد له على قسنطينة وما اليها وجعل معه على حجابته ابا القاسم ابن عبو من مشيخة الموحدين وقفل الى حضرته فدخلها فى شهر رمضان المعظم من سنته . ثم عقد على سوسة والبلاد الساحلية لولديه الاميرين ابى فارس عزوز وابى البقاء خالد وانزلهما بسوسة وانزل معهما محمد بن طاهر حاجبا لهما ثم هلك محمد بن طاهر فاستقدم السلطان محمد بن فرحون من بجاية ثقة باستبداد ابنه وان يولى من شاء على حجابته وانزل ابن فرحون مع هذين الاميرين اصغرهما وذلك فى سنة خمس وثلاثين المذكورة ثم استدعاه الامير ابو زكرياء الى بجاية فرجع اليه واقام هذان الاميران بسوسة الى ان نكب السلطان قائده محمد بن عبد الحكيم واستنزل قريبه محمد بن الدكداك (1) من المهدية وكان انزله بها ابن عبد الحكيم لما افتتحها من يد المتغلب عليها ابن عبد الغفار حسبما يذكر واتخذها حصنا لنفسه وانزل بها قريبه هذا وملاها بالعدد والاقوات فلم تغن عنه شيئا وبعد مهلكه استنزل ابن الدكداك وعقد عليها لابنه الامير ابى البقاء خالد وافرد الامير ابا فارس بسوسة الى ان كان من امرهما ما يذكر بعد ان شاء الله

وفى اواسط سنة خمس وثلاثين خرج السلطان ابو الحسن المريني من فاس الى تلمسان لاخذ ثار صهره السلطان ابى يحيى ابى بكر من صاحبها ابن تاشفين ففتحها عنوة ودخلها لسبع وعشرين من شهر رمضان المعظم سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ووقف صاحبها فى ساحة قصره فقاتل هنالك مع خاصته حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على وجملة من كبار اصحابه واثخنته الجراح ووهن لها فقبض عليه ورفع الى السلطان فلقيه الامير عبد الرحمان ابن السلطان ابى الحسن فامر به فقتل واحتز

---

(1) فى ابن خلدون : الركراك

راسه وشهد ذلك اليوم الشيخ ابن تافراجين كان وافاه رسولا عن السلطان ابى يحيى ومجددا للعهد فامره السلطان ابو الحسن بالرحيل الى سلطانه السلطان ابى يحيى ابى بكر بالبشارة فدخل تونس لسبع عشرة ليلة من يوم الفتح فعظم بذلك السرور عند السلطان ابى يحيى ابى بكر بمهلك عدوه والانتقام منه بشاره فيقال ان عدد القتلى الذين قتلوا ايام حصار تلمسان هذا من الفريقين ثمانون الفا

وفى الليلة الموفية عشرين من جمادى الثانية سنة ست وثلاثين وسبعمائة توفى الشيخ الفقيه الحافظ ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد البكرى القفصى(I) بمدينة تونس شارح ابن الحاجب اصله من قفصة ونشا بها وقرا ثم انتقل الى تونس واخذ عن ابن الغماز ثم انتقل الى المشرق فلقى اعلاما كناصر الدين بن المنير الابيارى • وشهاب الدين القرافى • وتقى الدين ابن دقيق العيد • وشمس الدين الاصفهانى وغيرهم واتقن القراءة فى المعقولات وحج وزار • ولما عاد من المشرق قدم لقضاء بلده قفصة فحسد وسلق بالسنة حداد وجرت عليه غصائص وقدم لقضاء الجزيرة القبلية ثم عزل واخمل ذكره وناواه القاضى ابو اسحاق بن عبد الرفيع فلم يتركه يخرج راسه طرفة عين حتى لقد منعه الجلوس للوعظ بجامع القصر الاعلى وقال له ان دخلته اكسر رجليك • فكان ابن راشد يقول اتمنى ان اجلس انا وهو للمناظرة حتى يظهر الحق ومن هو المقدم فى العلم • وله تصانيف منها تلخيص المحصول • ونخبة الراحل فى شرح الحاصل • والفائق فى الاحكام والوثائق فى ثمانية اسفار • والشهاب الثاقب فى شرح ابن الحاجب فى ثمانية اسفار • والمذاهب فى ضبط مسائل المذهب فى ستة اسفار • وتحفة اللبيب فى اختصار ابن الخطيب فى اربعة اسفار • والمذاهب السنية فى علم العربية • والمرتبة العليا فى تفسير الرؤيا وغير ذلك • قال الشيخ ابن عرفة حضرت جنازته فقدر ان جلس الفقيه ابن الحباب بالجبانة مستندا

(I) احد افراد الفقهاء والنظار له ترجمة بالديباج وزيلة

الى حائط جبانة اخرى وكان بالاخرى مستندا الى ذلك الحائط الشيخان القاضى ابن عبد السلام والمفتى ابن هارون فاخذ ابن الحباب فى الثناء على ابن راشد وذكر من فضائله وعمله ما دعاه الحال الى ان قال ويكفى من فضله انه اول من شرح جامع الامهات لابن الحاجب ثم جاء هؤلاء السراق واشار الى الجالسين خلفه فعمد كل واحد منهم الى وضع شرح عليه واخذ من كلامه ما لولاه ما علم اين يمر ولا يجيء

وفى التاسع والعشرين من جمادى الاخرى من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة توفى بتونس الفقيه المؤرخ ابو محمد عبد الله بن محمد بن ابى القاسم بن على بن عبد البر التنوخى (1) كان امام بجامع الزيتونه وخطيبا بجامع القصبة عدلا ذا سمت حسن اله عناية بالتاريخ والرواية اختصر ذيل السمعانى واقتضب تاريخ الغرناطى والف تاريخا على طريقة الطبرى مرتبا على السنين من سنة البعثة المحمدية الى زمنه اجاد فيه وتجزيته من ستة اسفار ، وكان يجلس للرواية مقامات الحريرى بدويرة جامع الزيتونة . وبه استدل الشيخ ابن عرفة على فعل مثل ذلك ذكره فى مختصره الفقهى وجعله حجة فى العمل مع ما فى المقامات من المثالب . قال الشيخ ابو محمد عبد الواحد الغريانى لما ولى شيخنا القاضى عيسى الغبرينى امامة جامع الزيتونة بعد شيخنا ابن عرفة سالنى هل عندك علم فى مستند النقارة (2) التى تهز بدويرة الجامع اعلاما باقامة الصلاة فاخبرته ان ابى حدثنى عن شيخه عبد الله بن عبد البر هذا انه كان اذا اتى للجامع اكثر ما يجلس على اصطبل بازاء باب الجنائز فاذا رآه المؤذن هنالك اقام الصلاة وقليل جلوسه فى الدويرة الا لعذر او لرواية كتاب

---

(1) مترجم بنيل الابهاج

(2) لم نجد مستندا فى مدلول هذه النقارة لانقطاعها من زمان بعيد ولا يجوز ان تكون من النقارات الطبول لمنافاتها الشعائر ولا شك انها حركة بسيطة لبعض ادوات البيت تفيد الاعلام كهز سكارة الباب ـ وعبارة المؤرخ تدل على ذلك وما زالوا الى اليوم يدقون دقتين قبل خروج الخطيب من مقصورته للجمعة بجامع الزيتونة وربما كان اصله الاعلام للتاهب وترك القراءة والصلاة فهذا من ذاك

عليه فربما لا يعرف المؤذن هل هو هنالك ام لا فتجد خدمة الجامع يهزون تلك النقارة اعلاما بحضوره على وجه الندرة لا على وجه الكثرة فاستحسن اخباري له بهذا والتزم طرح نقره وقال انى لم ادرك وجها للخلاص في فعلها وبقي كذلك الى ان مات ولما ولي بعده الشيخ ابو القاسم البرزلى امامة الجامع اعاد النقارة اقتداء بشيخه ابن عرفة الى ان مات ومن بعده من ايمة زماننا بعضهم يتركها كالشيخ ابى الحسن بن محمد اللحيانى وبعضهم لا يتركها

وفى عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة فتح القائد مخلوف بن الكماد قشتيل جربة واستخلصه من ايدى النصارى بعد ان حاصره اعظم محاصرة · وفى عام تسعة وثلاثين فتح القائد محمد بن عبد الحكيم المهدية واستخلصها من يد عبد الغفار بعد ان سكنها اعواما

وفى يوم الاربعاء الخامس عشر لذى الحجة من العام المذكور توفى صاحب قسنطينة الامير ابو عبد الله محمد ابن المولى السلطان ابى يحيى ابى بكر بقسنطينة بمرض اصابه فقد شهوة الطعام وسنه يقرب من الثلاثين سنة وترك من الاولاد الذكور سبعة فتوجه منهم ولده الامير ابو العباس احمد الى جده الخليفة السلطان ابى يحيى يطلب منه الانعام له ولاخوته بقسنطينة وسنه يومئذ احدى عشرة سنة فرحب به ودعا له واسعفه بمطلوبه وعقد لكبير الاولاد الامير ابى زيد عبد الرحمان على عمل ابيه لنظر القائد نبيل مولاهم لمكان صغره وبقى الخليفة يتفقد احوالهم ويسال عن حالهم · انشد الشيخ الفقيه القاضى ابو العباس احمد بن محمد القلجانى بيتين للمولى الامير الامجد الاسعد ابى عبد الله محمد ابن المولى الخليفة ابى يحيى فى ذم الخمر

ما الخمر الا شبهة للفتى ... وللمعالى اصبحت ناهبة

تزرى بعقل المرء من حينها ... لا احسن الله لها عاقبة

وفى الليلة السادسة والعشرين لشهر رمضان المعظم من عام اربعين

وسبعمائة توفى الشيخ الصالح ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابى على حسن القريشى الزبيدى (1)

وفى سنة احدى واربعين وسبعمائة كانت الواقعة الشنعاء على المسلمين من النصارى اخذت فيها محلة السلطان ابى الحسن المرينى بما فيها حتى دافع النساء النصارى عن انفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه ابى يحيى بن يعقوب وفاطمة بنت السلطان ابى يحى ابى بكر وغيرهما فقتلوهن واستلبوهن

وفى ليلة الخميس الخامس لجمادى الاولى من عام اثنين واربعين توفى الشيخ الصالح الامام ابو الحسن على بن منتصر الصدفى(2) ودفن بجبل الزلاج كان من اهل العلم والصلاح لا يبالى بذى سلطان لسلطان ولا تاخذه فى الله لومة لائم كتب للقاضى ابن عبد السلام ــ يا محمد ليت امك لم تلدك وليت اذ ولدتك لم تتكلم • وليت اذ تكلمت لم تتعلم ــ • وراى يوما مكاسا فاخذ قرطاسا وكتب فيه من اكل طعاما من مكس ينظر عاقبة امره ــ وطوى الكتاب ووجه للخليفة فلما نظر فيه قال ما هذا فاخبر فامر بقطعه • وكذلك اخبر بامراة رومية وقعت فى الجناب العلى ورام بعض الامراء عصمتها فكتب للخليفة ــ اخبرونى ان كان اردتم عز الاسلام فاعزوه والا ارتحلنا من تحتكم فان مثل هذا الواقع وحماية من فعله ردة ــ • قال الشيخ البطرنى فوجه الخليفة فى الحين للقاضى ابن عبد السلام وقال له ــ ما قمت ولا قعدت لو انك انفذت الحكم الشرعى ما سمعت انا مثل هذا ــ ثم امر بالمراة فرفعت للقاضى وتم الحكم عليها • وكان حجه رحمه الله عام تسعة وتسعين وستمائة وصحبه فى الطريق الشيخ ابن جماعة وحكى عن نفسه انه راى فى النوم انه نودى عليه فى جمع من الناس هذا فلان الولى الصالح التقى قال فانتبهت وقلت هذه شهادة فقدمه ابن عبد الرفيع للشهادة عدلا بتونس

---

(1) نسبة الى قرية بساحل المهدية كما فى ترجمته بنيل الابتهاج وقد ذكره ابن بطوطه فى رحلته

(2) من صلحاء تونس البارزين له ترجمة بنيل الابتهاج

وكان لا ياخذ اجرا على شهادته وياخذ الصدقة والزكاة • وحكى الشيخ ابن عرفة عنه انه قال – يجلس كل يوم الخضر عليه السلام بالقصورة الشرقية من جامع الزيتونة من اول اذان الظهر الى ان يكثر الناس فيخرج – يشير الى انه راى الخضر مرارا •

وفى عام اثنين واربعين فرغ من بناء مدرسة عنق الجمل •

وفى فاتح سنة اربع واربعين وسبعمائة توفى الحاجب الشيخ ابو القاسم بن عبد العزيز الغسانى فقدم السلطان على حجابته شيخ الحضرة ابا محمد عبد الله بن تافراجين

وفى عام خمس واربعين وسبعمائة تحرك السلطان ابو يحيى ابو بكر على توزر ودخلها وعفا عن شيخها ابى بكر ابن يملول ثم عقد عليها لابنه الامير ابى العباس احمد صاحب قفصة وانزله بها ومكنه من ازمتها ورجع السلطان الى الحضرة ظافرا عزيزا

وفى شهر صفر من السنة المذكورة توفى بالقاهرة الشيخ الامام الحافظ النحوى المفسر اثير الدين ابو يحيى محمد بن يوسف بن على ابن حيان الاندلسى كان اماما عارفا بالتفسير والعربية انتقل من الاندلس لمصر واستوطنها واخذ الناس عنه فافاد واستفاد وتمذهب بمذهب الامام الشافعى وصنف تصانيف فى علوم جمة اربت على خمسين تصنيفا منها ابحر المحيط فى تفسير القرءان الذى اختصر الصفاقسى اعرابه وكان جيد الشعر والنثر • فمن شعره –

عداتى لهم فضل على ومنة — فلا اذهب الرحمان عنى الاعاديا

هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها — وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ومن شعر ايضا –

لاترتجى الخير يا ذا المرء من احد — فالشر طبع وفيه الخير بالعرض

ولا تظن امرءا اسدى اليك يدا — من اجل ذاتك بل اسداه للغرض (I)

(I) له ترجمة حافلة ضمن الراحلين بنفح الطيب وبها كثير من شعره وموشحاته

وفي يوم منى من سنة ست واربعين وفد على السلطان ابي يحيى ابى بكر كاتب السلطان ابى الحسن المريني ابو الفضل بن عبد الله بن ابى مدين وفقيه الفتيا بمجلسه ابو عبد الله محمد بن سليمان السطي ومولاه عنبر الخصي برسم خطبة بنت السلطان ابى يحيى للامير ابى الحسن المريني عوضا عن اختها فاطمة المتوفاة في غزوة طريف كما تقدم

وفي فاتح عام سبعة واربعين خرج الوزير ابو العباس ابن تافراجين في العساكر لجباية هوارة فوفد عليه سحين من اولاد القوس وقومه وضايقوه في الطلب ثم انتهزوا فرصته بعض ايام فاجلبوا عليه فانفض عسكره وكبا به فرسه فقتل وحمل الى تونس فدفن بها •

وفي يوم الاحد الحادى عشر من ربيع الاول من العام المذكور توفي الامير ابو زكرياء نجل السلطان ابى يحى ببجاية وهو اذ ذاك صاحبها وترك ابنه امير ابا عبد الله محمدا في حجر مولاه فارح المعلوجي ابن سيد الناس فاقام مع ابن مولاه ينتظر امر الخليفة وبادر حاجبه الاول ابو القاسم ابن علناس الى الحضرة وانهى الخبر الى الخليفة فعقد على بجاية لابنه الامير ابى حفص وكان معه بالحضرة وهو من اصاغر ولده وانفذه اليها مع رجاله واولى اختصاصه وخرج معه ابو القاسم بن علناس فوصل الى بجاية ودخلها على حين غفلة وحمله الاوغاد من البطانة على ارهاف الحد واظهار السطو فخشى الناس البوادر وانتمروا ثم كانت في بعض الايام هيعة تمالا فيها الكافة على التوثب بالامير القادم فطافوا بالقصبة في سلاحهم ونادوا بامارة ابن مولاهم ثم تسوروا جدرانها واقتحموا داره (اى دار ابى حفص) وملكوا امره واخرجوه برمته بعد انتهبوا جميع موجوده وتسايلوا الى دار الامير ابى عبد الله محمد ابن اميرهم ومولاهم بعد ان كان معتزما على التقويض عنهم واللحاق بالخليفة جده واذن له بذلك عمه القادم فبايعوه بداره من البلد ثم نقلوه من الغد الى قصر بالقصبة وملكوه امرهم وقام بامره مولاه فارح ولقبه باسم الحجابة واستمر حالهم على ذلك ولحق الامير ابو حفص بالحضرة آخر جمادى الاولى لشهر من يوم ولايته • وبعث السلطان الى بجاية ابا عبد الله ابن سليمان من مشيخة الموحدين وكبار الصالحين يسكنهم

ويونسهم وبعث معه كتاب العقد عليها لحفيده الأمير محمد المذكور فسكنت نفوسهم

وفي شهر ربيع الاول من سنة سبع واربعين وسبعمائة كتب صداق الحرة عزونة بنت السلطان ابى يحيى ابى بكر على سلطان المغرب ابى الحسن المريني بصداق جملته خمسة عشر الف دينار ذهبا ومائتا خادم وتوجهت الى المغرب فى البر فى شهر جمادي الثانية من السنة صحبة اخيها شقيقها الامير الفضل صاحب بونة

وفي ليلة الاربعاء الثانية من رجب من السنة المذكورة توفي السلطان الخليفة ابو يحيى ابو بكر بتونس ودفن فى روضة جده الشيخ ابى محمد عبد الواحد بالقصبة فبلغ عمره خمسا وخمسين سنة الا شهرا . وحكاية موته مشهورة حكاها ابن الخطيب فى كتابه (I): ان السلطان كان فى نزهة فى رياضه الكبير فادخل عليه رسم رؤية هلال رجب على عادة قضاة الحضرة فقال لا اله الا الله دخل رجب وكرر ذلك ثم قام وتطهر واخلص التوبة ثم ركب واخترق الاسواق وكشف عن وجهه وكان قليل الظهور وتصدق بمال كثير ثم حك كتفه واستدعى احدى اخواته لتنظر ما بكتفه فوجدت حبة حميرة ثم زادت جرتها واخذته الحمى بسببها وهو يامر بمهمات دفنه وشان تجهيزه الى ان مات رحمه الله . وقال فى ترجمان العبر كانت وفاته فجاة فى الليلة المذكورة فهب الناس من مضاجعهم متسايلين الى القصر يستمعون نباءات النعي واطافوا به سائر ليلتهم تراهم سكارى وما هم بسكارى الى ان ظهر لهم موته من الغد ودفنوه فكانت مدة خلافته بتونس من حين وليها فى المرة الاولى تسعا وعشرين سنة وعشرة اشهر وخمسة وعشرين يوما وعمره خمسة وخمسون عاما غير شهر

بيعة عمر ابن ابى بكر

وولى بعهده ولده الامير ابو حفص عمر ابن المولى السلطان ابى يحيى ابن

(I) ابن الخطيب القسنطيني فى كتابه الفارسية

بكر ابن المولى الامير ابى زكرياء ابن المولى السلطان ابى اسحاق ابراهيم ابن المولى الامير ابى زكرياء يحيى ابن الشيخ ابى محمد عبد الواحد ابن الشيخ ابى حفص امه ام ولد اسمها حباب كانت ولادته يوم السبت الخامس عشر من جمادى الاولى من سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة بويع له بالخلافة يوم الاربعاء الثانى لرجب الفرد من عام سبعة واربعين وسبعمائة وذلك انه لما مات السلطان بادر بملك القصر وضبط ابوابه وبعث للقاضى ابن عبد السلام وقاضى الانكحة الاجمى فقال لهما — تبايعانى — فقالا — نحن شهدنا فى بيعة اخيك احمد صاحب قفصة فاعطنا شهادتنا نقطعها فحينئذ نشهد فى بيعتك • قال الشيخ ابن عرفة فخاض الناس بعضهم فى بعض وهم جلوس فى القبة الكبرى فامر الشيخ ابن تافراجين ان لا يخرج احد من القبة وفسخ المجلس بقوله للقاضيين — نحن نمشى نشتغل بمؤنة دفن السلطان وحينئذ نجتمع — واستدعى وجوه الموحدين وبعض وجوه البلد واخرج لهم الامير عمر فبايعوه وما شعر القاضيان ومن معهما حتى سمعوا جلبة الطبول والبوقات والسلام فقالوا ماهذا ؟ فقيل — قد بايع الناس الامير عمر — واستدعى بالقاضيين ومن معهما فراوا تمام القضية ووقوع البيعة وانعقادها من الجم الغفير فكتبت وثيقة بعقد البيعة للامير عمر لاختيار العامة والخاصة اياه عن ولى العهد وهذا من حسن سياسة ابن تافراجين (I) وكان السلطان خالد نجل السلطان برياض راس الطابية وكان قدم من بلده المهدية زائر فبلغه الخبر ليلا فخرج فارا بنفسه فى نفر قليل من خدامه فتبعه من العرب اولاد منديل والكعوب مظهرين انهم فى خدمته فلما اصبح قبضوا عليه وجاءوا به الى اخيه الامير ابى حفص فاعتقله واستقام له الملك وتلقب بالناصر • ولما

(I) الامير بالعكس لقد خاس بالعهد وعدل عن الاكبر الى الاصغر ليستولى عليه ثم فرعنه وتسبب فى فتنة الاحتلال المرينى وكذلك يفعل فيما بعد مع الفضل الحفصى

بلغ الخبر للامير ابى العباس احمد صاحب قفصة بموت والده وتولية اخيه بادر بمن التف عليه من العرب الى تونس ولقيه اخوه ابو فارس عبد العزيز صاحب عمل سوسة بالقيروان فاتاه طاعته وصار فى جملته • وجمع السلطان ابوحفص عمر جموعه وخرج فى غرة شعبان بمحلته من تونس وصاحبه الشيخ ابومحمدابن تافراجين منذر منه بالهلكة وعمل فى اسباب النجاة حتى اذا تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس فى بعض الشغل وركب لاجئاالى المغرب من عمل قسنطينة وبلغ السلطان ابا حفص عمر خبرمفر الحاجب فاختلت مصافه وتحيز الى باجة وتخلف عنه اهل العسكر ولحقوا باخيه الامير ابى العباس

بيعة احمد ابن ابى بكر

وسار الامير ابو العباس بجيوشه فملك تونس وبويع بها يوم السبت التاسع لشهر رمضان المعظم من السنة ونزل برياض راس الطابية وكانت امه ام ولد اصلها رومية واسمها سعد السعود وتلقب بالمعتمد على الله واطلق اخاه خالدا من معتقله ودخل الى قصره لسبع ليال من ملكه • ثم ان الامير ابا حفص عمر رحل من باجة واصبح على تونس يوم السبت سادس عشر شهر رمضان المعظم وفرق خيله ورجله على ابوا ب المدينة وكسرت الاقفال وفتحت الابواب وقامت معه العامة فلم يجىء وقت الضحى الا وقد استولى على المدينة وقتل اخاه الامير احمد ونصب راسه على قناة وقطع ايدى اخويه خالد وعبد العزيز فمات عبد العزيز فى الحين وكمل على خالد وقتل فى ذلك اليوم فى المدينة وفى الربض نيف وثمانون رجلا من العرب الواصلين صحبة الامير ابى العباس احمد بتونس منهم ابو الهول بن حمزة بن عمر بن ابى الليل فكانت دولة الامير ابى العباس احمد بتونس سبعة ايام واستوثق للامير ابى حفص عمر ملك الحضرة

الاحتلال المرينى

ثم بلغ الامير ابا الحسن على المرينى ان الامير عمر قتل اخاه ابا العباس

احمد صاحب قفصة وولي العهد وكـان يستظهر على عهده بكتاب ابيـه مـا اودعه السلطان ابو الحسن المرينـي

بطرته من الوفاق على ذلك بخطه ـ منه حاجبه ابو القاسم بـن عبـو في سفارته اليهـ فتنغض السلطان من ذلك ورای ان الامير عمر ارتكب مذاهب العقوق في اخوته وخرق السياج الذى فرضه بخطه عليهم فاجمع ابو الحسن الحركة على افريقية وقوى عزمـه على ذلك قدوم الوزير ابن تافراجان

ولما قضى عيد الاضحى من سنة سبع واربعين وسبعمائة عقد لابنه ابي عنان على المغرب الاوسط تلمسان واحوازها وتحرك هوالى افريقية رحل من ظاهر تلمسان في صفر عام ثمانية واربعين يجر الدنيا بما حملت • واوفد عليه ابناء حمزة بن عمر ابن ابى الليل البدو ورجالات الكعوب اخاهم خالدا يستصرخه بثار اخيهم ابى الهول ونزع اليه اهل القاصية من افريقية بطاعتهم فجاءوا في وفد واحد: ابن مكي صاحب قابس وابن يملول صاحب توزر وابن العابد صاحب قفصة ومولاهم ابن ابي عنان صاحب الحامة وابن الخلف صاحب نفطة فلقوه بوهران واتـوه ببيعتهم رغبة ورهبة وادوا بيعة ابن ثابـت صاحب طرابلس ولم يتخلف عنهم الا لبعد داره ثم جاء على اثرهم صاحـب الزاب يوسف بن منصور ابن مزنـي ومعه مشيخة الذواودة وكبيرهم يعقوب ابن علي فلقيهم ببني الحسن من اعمال بجاية واوسع اليهم النيل تكرمة وعقد لكل منهم على بلده وعمله وبعث مع اهل الجريد عسكرا للحماية والجباية لنظر مسعود ابن ابراهيم اليرساوى من وزرائه • ولما اطل على بجاية خرج له اميرها الامير ابو عبد الله محمـد ابن الامير ابى زكرياء فاتاه طاعتـه فصرفه الى المغرب مع اخوانه وانزلـه بلد ندرومة ثم سار لقسنطينة فخرج اليه بنو الامير ابى عبـد الله محمـد يقدمهم كبيراهم الامير ابو زيد فاتوه طاعتهم فقبل منهم وصرفهم الى المغرب وانزلهم بوجدةواقطعهم جبايتها وانزل قسنطينة خلفـاءه وعمالـه واطلـق المعتقلين بها من القرابة • وورد عليه هنالك بنو حمزة بن عمر ومشايـخ قومهم الكعوب واخبروه باجفال الامير ابي حفص عمر من تونس مـع اولاد مهلهل واستحثوه لاعتراضهـم قبـل

التحاقهم بالقفر فوجه السلطان أبو الحسن فى طلبه وزيره حمو العشرى فى محلة كبيرة وبعث معه اولاد أبى الليل . وسرح عسكرا الى تونس لنظر يحيى بن سليمان من بنى عسكر ومعه أحمد بن مكى فسار حمو ومن معه حتى ادركوا السلطان أبا حفص ومن معه بارض الحامة من جهات قابس بموضع يسمى المباركة بقرب جبل السباع فصبحوهم فدافعوا عن انفسهم بعض الشىء ثم انفضوا فتقبض على الامير عمر وعلى مولاه ظافر وسيقا الى الامير حمو فاعتقلهما الى الليل فذبحهما وبعث براسيهما الى السلطان أبى الحسن المرينى فادركه بباجة وخلص الملا الى قابس فتقبض عبد الملك بن مكى على رجال من كبار الدولة منهم أبو القاسم ابن عبو وصخر بن موسى وعلى بن منصور وغيرهم فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبى الحسن فقطعهم من خلاف فكان مقتل الامير عمر يوم الاربعاء سابع عشر جمادى الاول من عام ثمانية واربعين فكانت مدة خلافته بتونس عشرة اشهر وخمسة وعشرين يوما منها سبعة ايام لاخيه أبى العباس أحمد كما تقدم وملك تونس وبلادها السلطان أبو الحسن ابن السلطان أبى سعيد عثمان ابن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى دخل تونس فى الثامن لجمادى الاخرة من سنة ثمان واربعين وسبعمائة ودخل معه الشيخ أبو محمد عبد الله بن تافراجين واعطاه فرسه بسرجه ولجامه ودخل معه الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة براس الطابية فطاف على بساتينه وخرج منه الى معسكره وانزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس فى عسكر لحمايتها ثم صرف للبلاد المغربية ولاتها ورحل بعد مدة الى القيروان فزار من بها من الصالحين والعلماء ثم الى سوسة والمهدية ووقف على إثار ملوك الشيعة وصنهاجة ومر بقصر الجم ورياض المنستير وانكفا راجعا الى تونس فحل بها غرة شهر رمضان المعظم من العام المذكور . ولما استوثق له ملك افريقية منع العرب من الامصار التى ملكوها بالاقطاعات فوجسوا لذلك وتربصوا الدوائر واغاروا بعض الايام فى ضواحى تونس فاستاقوا الظهر الذى كان للسلطان فى مراعيها وتوقعوا باسه ووفد عليه ايام الفطر خالد بن حمزة وأخوه أحمد من اولاد أبى الليل وخليفة بن عبد الله بن مسكين وخليفة بن أبى زيد

بن حكيم وساءت ظنونهم فداخلوا عبد الواحد ابن اللحياني في الخروج على السلطان فرفع الخبر الى السلطان فتقبض على اربعتهم واحضرهم مع عبد الواحد فانكروا وبهتوا ثم وبخهم واعتقلهم وعسكر بساحة الحضرة لغزوهم وتلوم لبث الاعطيات وازاح العلل فبلغ الخبر الى احيائهم فانطلقوا يحزبون الاحزاب وينظرون لمن يقيم الملك وكان اولاد مهلهل اقتالهم وعديلة حملهم قد ايأسهم السلطان من القبول والرضا بما بالغوا في نصيحة السلطان أبي حفص عمر فلحقوا بالقفر ودخلوا الرمال فركب اليهم قتيبة بن حمزة وأمه ومعهم ظعائن ابنائهما متذممين لاولاد مهلهل بالعصبية فاجابوهم واجتمعوا بقسطيلية وتواهبوا الدماء وتوامروا في من ينصبونه للامر ، وكان بتوزر أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ءاخر خلفاء بني عبد المؤمن وكان خياطا فجاءوا به ونصبوه للامر وتبايعوا على الموت • وزحف اليهم السلطان أبو الحسن فالتقوا بالثنية دون القيروان فغلبهم واجفلوا امامه الى القيروان ثم رجعوا مستميتين ثاني المحرم من سنة تسع واربعين وتواقفوا فاختل مصاف السلطان وتهبت محلته بكل ما فيها وكان جيشها يزيد على ثلاثين الف فارس ونجا السلطان بنفسه في شرذمة فتحصن بالقيروان واخذوا بمخنقه • وكان الشيخ ابن تافراجين لم يجره السلطان أبو الحسن على مالوفه كما كان مع السلطان أبي يحيى أبي بكر لكون هذا قائما على امره فكان في قلبه منه مرض وكان العرب يفاوضونه بذات صدورهم من الخلاف والاجلاب فلما احاطوا بالسلطان بعثوا في لقائه وان يحملوه حديث بيعتهم (I) الى الطاعة فاذن له السلطان فخرج اليهم فقلدوه حجابة سلطانهم أحمد ابن أبي دبوس ثم دفعوه لمحاربة من بقصبة تونس فنازلها ونصب المجانيق عليها فلم تغن شيئا • فجعل يحاول نجاة نفسه لاضطراب الامور الى ان بلغه خلوص السلطان من القيروان الى سوسة وكان السلطان داخل اولاد مهلهل وحكيما في الصلح على اموال اشترطها لهم فاختلف راى العرب لذلك ودخل اليه قتيبة ابن حمزة بمكانه من القيروان زعما بالطاعة فقبله واطلق اخويه خالدا وأحمد ولم يثق اليهم ثم دخل اليه محمد بن طالب من اولاد مهلهل وجماعة فاسرى معهم بعسكره الى

(I) لعله عودتهم .

سوسة فصبحها وركب منها في البحر الى تونس وسبق الخبر لابن تافراجين فتسلل عن اصحابه وركب البحر الى الاسكندرية في ربيع الاخر فاصبحوا وقد تفقدوه فاضطربوا وأجفلوا عن تونس ولما دخل السلطان لتونس من البحر اصلح اسوارها وادار الخندق بها ثم اجلب اولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن عثمان بن أبي دبوس بتونس ونازلوها والسلطان أبا الحسن فامتنعت عليهم وخلصت ولاية اولاد مهلهل للسلطان فلما احس بهم اولاد أبي الليل رجعوا الى مهادنتهم فعقد لهم السلم ودخل عمر كبيرهم اليه وافدا في شعبان من السنة فحبسه الى ان قبضوا على سلطانهم أبي دبوس وقادوه الى السلطان أبي الحسن استبلاغا في الطاعة فقبل ذلك منهم واودع سلطانهم المذكور السجن ولم يزل فيه الى ان رحل الى المغرب ولحق هو بالاندلس واقام السلطان أبو الحسن بتونس ووفد عليه أحمد بن مكي فعقد لعبد الواحد اللحياني على الثغور الشرقية طرابلس وقابس وصفاقس وجزبة وسرحه مع ابن مكي فهلك عبد الواحد عند وصوله في الطاعون الجارف وعقد لابن عبوعلى قسطيلية وسرحه اليها • وعقد السلطان أبو الحسن لابنه الفضل على ابنة عمر بن حمزة وكان امر الله قدرا مقدورا •

ولما وقع على السلطان أبي الحسن ما وقع في القيروان هربت بنو مرين مشاة بالمرقعات الى المغرب فقدموا على الامير أبي عنان وشاع الخبر ان السلطان أبا الحسن توفى على القيروان وكتب بذلك رسم شهد فيه خلق كثير من الواصلين من بني مرين فدعا الامير أبو عنان لنفسه فبويع في اول عام تسعة واربعين بتلمسان ثم خرج لفاس بعد ان استعمل على تلمسان عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار من بني عبد الواد فعند انفصال أبي عنان عن تلمسان دعا عثمان بتلمسان لنفسه وعاد ملك بني عبد الواد الى تلمسان وكان مع السلطان أبي الحسن بتونس طائفة من بني عبد الواد فلما اصاب أبا الحسن ما اصابه في وقعة القيروان اجتمع بنو عبد الواد بتونس واتفقوا بعد الشورى على مبايعة عثمان بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ورحلوا الى تلمسان فقام اهلها على المستبد بها عثمان بن يحيى فاستأمن بها لنفسه من السلطان عثمان بن عبد الرحمان فامنه ودخل الى حضرته آخر جمادى الاخرة ثم قبض

على عثمان بن يحيى فاودعه الطبق الى ان مات • وكان السلطان أبو الحسن لما قدم افريقية واخرج صاحب بجاية وصاحب قسنطينة وصرفهم للمغرب كما تقدم ابقى الامير أبا العباس الفضل ببلده بونـة لما غلب على ظنه من عافيته وسابقية معرفته به بمصاهرته باختـه • فلما وقعت الواقعة التى وقعت على السلطان أبى الحسن كاتب الامير الفضل اهل قسنطينة ثم قـدمها وحاصرها فدخلها صبيحة يوم الجمعة غرة المحـرم فاتـح سنة تسع واربعين وسبعمائة وقصد القصبة فاغلقت فى وجهه وعمرت اسوارها فقصد جامع البلد وصـلى فيه الجمعة ولم يصل فيه خليفة حفصى قبله ثم بعث بالامان ففتحوا له فدخلها عصر ذلك اليوم واحتوى الامير الفضل على اموال كثيرة فى القصبة وهى ما أتت به الوفود من الهدايا لأبى الحسن وما كان بالقصبة من المجابى وأقام بها ثلاثة اشهر • ثم تحرك الى بجاية فاخذها بقيام اهلها على بنى مرين وارتفع له بذلك صيت • وعزم على الرحيل الى الحضرة والسلطان أبو الحسن مقيم بها •

ولما تبين للامير أبى عنان حياة والده خاف من عقوبته فبعث صاحب بجاية وصاحب قسنطينة كلا لبلده ليعظم الامر على أبيه وليكونوا حائلين بينه وبين بلاده وربط معهم فى ذلك ربوطا • فقصد كل بلده ورجعت البلاد الى اربابها وتوجه الامير الفضل من بجاية الى بونـة فى البحر بعد ان اخذ بيده وسيق للامير أبى عبد الله الداخل عليه ببجاية فعفا عنه ووجهه الى بلده بونـة فى البحر وذلك فى شوال من سنة تسع واربعين فوجد بعض قـرابته قد ثـار ببونة ولم يتم لهم ذلك فدخل الى قصره واستقلت الثغور الغربية بامرائها •

وفى السنة المذكورة توفى الحـافظ عبد المهيـمن الحضـرمى السبتى الدار التونسى القرار كان اماما فى علم الحديث وحجة فى حفظه ورجاله له اربعنيات فى الحديث جلس للتدريس بتونس ايـام الدولة المـرينية بمجلس السلطان أبى الحسن فقرأ القارىء وهو الشيخ ابن عرفة فى كتاب مسلـم حديث مالك ابن مغول (1) بكسر الميم وفتح الواو من مغول فقال له عبد المهيمن او الفقيه ابن الصباغ مغول بفتح الميم وكسر الواو فاعادها القارىء قاصدا خلافه كما قرأها فضحك السلطان وادار وجهه الى عبد المهيمن وقال له أراه لم يسمـع

(1) بالاصل مقول بالقاف وهو خطا .

منك فاجابه بقوله (لاتبديل لخلق الله) وقد ضبط النووى اللفظ بالوجهين فى كتاب الايمـان الا انه قال : ما قاله غير القارىء هو الفصيـح فانكره (1) ومن نظم أبى حيان فى عبد المهيمن :

ليس فى الغـرب عـالم   غيـر عبـد المهيمـن
نحـن فى العلـم هكـذا   انـا منـه وهـو منـى

وفى السنة المذكورة ــ 749 ــ توفى بتونس الشيـخ أبو عبد الله محمـد بن يحيى بن عمر المعافرى المعروف بابن الحباب (2) ، كان ابن عرفة يثنى عليه بتحصيل العلم وتحقيقه وهو احد اشياخه ، قال ابن عـرفة : وكنت اسمـع ان ابن عبد السلام قرأ عليه فكنت استعبد ذلك الى ان حضرت تقييد كتب القاضى ابن عبد السلام بعد موته فعثرت على اختصار المعـالم لابن الحبـاب والفيت بخط ابن عبد السـلام على ظهره انه استدعاه ان يبيحه روايته وانه قرأ عليه ، فكتب ابن الحبـاب بخطه ــ تحت خطه ــ : ما قاله صاحبنا الفقيه محمد بن عبد السلام صحيح الخ ، ويحكى انه دخل يوما على بعض اصحابه الادباء فالفاهم قد فرغوا من اكل جدى مشوى ،

فقال له احدهم .... لقد فاتك الجدى يا ابن الحبـاب ،
فقـال ثانيهـم .... وخبـز سميـذ كثير اللبـاب ،
فقـال ثالثهـم .... ولم يبـق منه سـوى عظمـه ،
ففطن هو لمرادهم فاجاب سريعا طعامكم طعامكم فقال رابعهم :
دعنـا من هذا .... لعمـرى هـو طعـام الكـلاب ،

قال ابن عرفة : ولما مات ابن الحبـاب حضرت جنازته وكنت سادس ستة

---

(1) الضبط المنسوب للنووى غير صحيح وتعقيبه فيه غموض والمسالة فى ضبط علمين من سند حديث جمع الازواد بكتاب الايمان من صحيح مسلم وهما مالك بن مغول وطلحة بن مصرف وقد ضبط النووى الاول بما قرا به القارىء لا غير ، وضبط مصرف بضم الميم وفتح الصاد وكسر الزاء (بصيغة اسم الفاعل) ثم حكى رواية فتح الراء وانكرها .

ولا شك ان المحاورة وقعت فى هذا ، اذ يبعد كل البعد ان يتصدى عبد المهيمن ــ وهو من هو ــ للاعتراض على القارىء بما لا خلاف فيه وهذه الحكاية ان دلت على شىء فانما تدل على رسوخ علم ابن عرفة .

(2) امام المعقول فى عصره وعنه أخذ ابن عرفة الجدل والمنطق والنحو وترجمته بالديباج وذيله .

وكان توفى فى ذلك اليوم السكونى (1) فضاق الفجاج بالازدحام على نعشه لان منزلة ابن الحباب عند العامة لا تكون بذلك .

وفى السنة المذكورة 749 توفى امام جامع الزيتونة الفقيه المدرس أبو عبد الله محمد بن عبد الستار التميمى (2) .

وفى الثامن والعشرين من رجب السنة المذكورة توفى العالم الشهير قاضى الجماعة محمد بن عبد السلام بن يوسف الهوارى وقبله بثلاثة ايام مات ولده ودفنا بالزلاج ، وبعد وفاته ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه المفتى أبو عبد الله محمد بن محمد بن هارون الكنانى (3) فغصب منصبه فيه بولاية قاضى الانكحة أبى عبد الله محمد الاجمى (4) . يقال ان ابن عبد الرفيع رمى بنفسه على ابن تاسكرت ــ وكان مكينا فى الدولة المرينة ــ وقال له : ان توسطت لى فى خطة القضاء فانا اوليك عدلا بتونس : فلم يزل الاخر يتمثل الى ان وقع الشرط ومشروطه وذلك ان الاجمى كان قاضى الانكحة فنقل لقضاء الجماعة واحتال ابن تاسكرت فى تولية ابن عبد الرفيع قاضى الانكحة ، ثم ان الاجمى اقام مدة يسيره وتوفى فقيل يقدم ابن هارون فقال ابن تاسكرت : جرت العادة بان قاضى الانكحة هو الذى يتولى قضاء الجماعة ووطد ذلك بانه من بيوتات تونس فولاه السلطان بواسطته : وحين لقب ابن هارون بالفتيا بقى مفتيا الى ان مات في عام خمسين وسبعمائة هو وزوجه فى يوم واحد وحفر لهما قبران متدانيان ، وحضر لدفنهما السلطان أبو الحسن المرينى فسال البسطى : ايهما يقدم ؟ فقال الامر فى ذلك واسع .

وفى السنة المذكورة : انتقض العرب على السلطان أبى الحسن واستقدموا

---

(1) مقتضى التنظير انه كان من العلماء وفى نيل الابتهاج : (محمد السكونى المفتى) وبعده بياض يدل على انه لم يحصل ترجمته .

(2) ترجمته وسيرته فى حوادث سنة 729 .

(3) شيخ الفقهاء ترجمته بنيل الابتهاج .

(4) من كبار الفقهاء ومشيخة ابن عرفة ترجمته بنيل الابتهاج ايضا .

السلطـان أبا العبـاس الفضـل من بونة لطلب حقه واسترجاع ملك آبـائه فاجابهم ووصل اليهم آخر سنة تسع واربعين وسبعمائة فنازلوا تـونس ثم افرجوا عنها وعـادوا لمنازلتها اول سنة خمسين وافرجوا عنها آخر المصيف واستدعوا أبا القاسم ابن عبو صاحب الجريد من مكان عمله ـ توزر ـ فدخل في طاعة السلطان الفضل وحمل اهل الجريد عليها واتبعه في ذلك بنو مكى وانقضت افريقية على السلطان أبي الحسن من اطـرافها فلما رأى الاحـوال تغيرت بافريقية خرج من تونس الى المغرب في البحر في اوائل شوال من سنة خمسين وسبعمائة وعقد لابنه الفضل على تونس ، خوفا من ثوارث الغوغـاء ومضرة هيعتهم ، واقلع من مرسى تونس ولخمس دخل مـرسى بجـاية وقد احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية الورود وبعث الى سـائر سـواحله ان يمنعوهم فقاتلوا من منعهم واستقوا واقلعوا ، فطرق الاسطول هـول البحـر فتفرق شذر مذر وتكسر الجفن المختص بالسلطان ببعض سـواحل بجـاية فبينما السلطان بين الغرق والسلامة ـ وقد تعلق بحجر قريبا من البر وهو ينظر مصارع الفقهاء مثل السطى وابن الصباغ ويشـاهد اختطـاف البحـر إياهم ـ تداركه الله بجفن رفعـه وقد هفت البحـر فادرك مـدينة الجـزائر واستقر بها ـ وقد تمسكت بطاعته ـ فاستنشق بها ريح الحياة . وكان الشيخ أبو عبد الله الآبلى من فقهاء المغرب لما عزم السلطان أبو الحسن على السفر من تونس في البحر اختفى هو تلكؤا عن السفر دون غيره من الفقهاء قال : وذلك انى رايت في النوم كأن قائلا يقول لى : الفلك الفلك : يكرر ذلك على ، فانتبهت وما إدرى ما هذا فاخبرت صاحبنا ابن رضوان فاخبر بها السلطان أبا الحسن ، فقال : لعله يريد السفر في البحر فاشتد عزمه في ذلك فجرى ما جرى . قال الشيخ ابن القصـار : فقلت للابـلى : انما مراده ان الفلك جمع تكسير فلك واتصل بالسلطان أبى العباس الفضل وهو بالجريد خبر السلطان أبى الحسن وخروجه في البحر ، فاغذ السير الى تونس ونزل عليها محاصرا لابن السلطان أبى الحسن ومن كان معه فغلبهم عليها ، واتصل اهل تونس به واحاطوا ـ يوم منى ـ بالقصبة واستنزلوا الامير الفضل ابن أبى الحسن المـرينى على الامان من القصبة وخرج الى بيت أبى الليل ابن حمزة فانفذ معه من بلغـه الى مامنه

فلحق بالجزائر بأبيه فقدم السلطان أبو الحسن بالجزائر عاملا وخرج الى المغرب فبعث له ولده الامير أبو عنان جيشا فكسره هو ومن معه وقتلوا ولده الناصر فارتحل السلطان أبو الحسن الى سجلماسة فارتحل له ابنه الامير أبو عنان اليها فلما بلغ السلطان أبا الحسن الخبر بمجيء ابنه أبي عنان اليه بجيش لا طاقة له به رحل عن سجلماسة ودخلها الامير أبو عنان ونهب اطرافها وقدم عليها عاملا من قبله ، وسار السلطان أبو الحسن الى مراكش في سنة احدى وخمسين فرحل الامير أبو عنان من فاس بعد ان جرد محلته الى مراكش فالتقى الجمعان في اواخر صفر من السنة المذكورة فانهزم عسكر السلطان أبي الحسن ولحق به ابطال بني مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة وكبا به فرسه فسقط الى الارض والفرس تحوم حوله ، واعترض دونه أبو دينار شيخ الذواودة فدافع عنه حتى ركب وخلص الى جند هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي فنزل عليه واجاره واجتمع عليه الملا من هنتاتة وبايعوه على الموت وجاء الامير أبو عنان على اثره ونزل بعساكره على جبل هنتاتة وطلب السلطان أبو الحسن من ابنه أبي عنان الابقاء وان يبعث له حاجبه محمد ابن أبي عمر فبعثه فحضر عنده واعتذر عن الامير أبي عنان وطلب له الرضا فرضي عنه وكتب له بولاية عهده ، واعتل السلطان أبو الحسن خلال ذلك فمرضه اولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء بعضده للطهارة فتورم وهلك رحمه الله ـ لليال من قدومه ـ لثلاث وعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، وبعث اولياؤه بالخبر الى أبي عنان ابنه بساحة مراكش ورفعوه على اعواد اليه فتلقاه حافيا حاسرا وقبل اعواده وبكى واسترجع ورضي عمن كان معه واكرمهم ودفنه بمراكش الى ان نقله الى مقبرة سلفهم بشالة في طريقه الى فاس .

بيعة الفضل ابن أبي بكر

ولنرجع الى ما كان من امر تونس وذلك انه لما خرج الفضل ابن السلطان

المريني من القصبة على الامان ملك تونس بعده (الامير أبو العباس الفضل) ابن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر ابن الامير أبى زكرياء يحيى ابن المولى السلطان أبى اسحاق ابراهيم ابن الامراء الراشدين ـ أمه أم ولد رومية اسمها عطف ـ كان من اجمل الناس صورة واحسنهم حظا واركنهم إلى صحبة من يضحكه وكانت ولادته فى شهر رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وسبعمائة ، وبويع بتونس فى التاسع والعشرين لذى القعدة من عام خمسين وسبعمائة وتلقب بالمتوكل عقد على حجابته لأحمد بن محمد ابن عبو نائبا عن عمه أبى القاسم ريثما يفى من الجريد ، وعقد على جيشه وحربه لمحمد ابن الشواش وكان وليه المطارد به أبو الليل قتيبة بن حمزة مستبدا عليه فى سائر احواله ، فانف بطانته من ذلك فحملوه على التنكر له وان يبدله بأخيه خالد بن حمزة ، وبعث لأبى القاسم ابن عبو ـ وقد قلده حجابته وفوض اليه فى امره ـ فركب اليه البحر من سوسة واستالف له خالد بن حمزة ظهيرا على أخيه بعد ان نبذ اليه عهده ، وفاوضهم أبو الليل قتيبة بن حمزة قبل استحكام امورهم فغلب على السلطان وحمله على عزل قائده محمد ابن الشواش فدفعه الى بونة على عساكرها ، واضطرمت الفتنة بين أبى الليل ابن حمزة وأخيه خالد وكاد شملهم ان يتصدع ، وبينما هم يجمعون الجموع والاحزاب للحرب اذ قدم كبيرهم عمر بن حمزة والشيخ أبو محمد عبد الله ابن تافراجين من حجهما ، وكان ابن تافراجين لما حل بالاسكندرية بعث السلطان أبو الحسن الى ملوك مصر فى التحكيم فيه فاجاره الامير المستبد على الدولة حينئذ وخرج من مصر لقضاء فرضه وخرج عامئذ عمر بن حمزة فى قضاء فرضه ايضا ، فاجتمعا فى مشاهد الحج آخر سنة خمسين وسبعمائة وتعاقدا للرجوع لافريقية والتظاهر على اميرها وقفلا فالفيا خالدا وأخاه أبا الليل على الصفين ، فاشار الحاج عمر بردائه فاجتمعا وتواقفا وتواطئوا جميعا على المكر بالسلطان وبعث الى السلطان الفضل وليه قتيبة بالمراجعة فقبله ، واتفقوا على ان يقلد حجابته ابن تافراجين حاجب أبيه وكبير دولتهم ويزيل ابن عبو ، فأبى ثم وافق ونزلت احياؤهم ظاهر تونس ، وطلبوا السلطان الفضل للخروج اليهم ليكملوا عقد ذلك معه ، فخرج ووقف بظاهر تونس الى ان احاطوا به ثم اقتادوه الى بيوتهم ، واذنوا لابن تافراجين فى دخول تونس فدخلها فى الحادى عشر لجمادى الاولى سنة

احدى وخمسين فكانت مدة السلطان أبى العباس الفضل بتونس خمسة اشهر واثنى عشر يوما وكان عمره تسعا وعشرين سنة وثمانية اشهر •

دولة ابراهيم ابن أبى بكر

ثم بويع بتونس بعده أخوه المولى (الامير أبو اسحاق ابراهيم) ابن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر ابن الامراء الراشدين ـ أمه أم ولد اسمها قرب الرضا ـ كانت ولادته فى شهر ربيع الاول سنة سبع وثلاثين وسبعمائة وبويع فى الحادى عشر لجمادى الاولى من سنة احدى وخمسين وسبعمائة وكان سبب بيعته ان الشيخ أبا محمد بن تافراجين لما دخل تونس بعد القبض على السلطان أبى العباس الفضل عمد الى دار المولى أبى اسحاق ابراهيم المذكور فاستخرجه بعد ان بذل لأمه من العهود والمواثيق ما رضيها وجاء به الى القصر واقعده على كرسى الخلافة وبايع له الناس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز فانعقدت بيعته ودخل بنو كعب فاتوه طاعتهم وسيق اليه أخوه الفضل ليستوثقه فاعتقله ثم غط بجوف الليل بمحبسه حتى ترحت نفسه وهلك ، ولاذ حاجبه أبو القاسم ابن عبو بالاختفاء فعثر عليه لليال فاعتقل وامتحن وهلك فى امتحانه ، وخوطب العمال فى الجهات باخذ البيعة على من قبلهم فبعثوا بها واستقام ابن يملول صاحب توزر على الطاعة وبعث الجباية والهدية ، واتبعه صاحب قفصة وصاحب نفطة ـ وخالفهم ابن مكى وذهب الى الاجلاب على ابن تافراجين لما كان قد كفل السلطان وحجره على التصرف فى اموره الى ان كان من امره ما يذكر بعد ، ووقف الشيخ أبو محمد عبد الله بن تافراجين بين يدى المولى ابراهيم ومهد اموره واحكم دولته ـ ولقب بالمستنصر بالله ـ وكانت سيرة الشيخ ابن تافراجين فى مدته سيرة حسنة مع جميع اهل تونس الا انه لم يكن له فى اعرابها وطرقها قوة ظهور واعظم جبايته من سفن البحر وكانت له مواصلة بالهدية مع ملك المغرب السلطان أبى عنان لكنها فسدت باباءة ابنة الخليفة أبى يحيى أبى بكر من قبول خطبته وقالت بلغنى ان فيه قلقا يمنع عشرته •

وفى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة جهز صاحب قسنطينة المولى أبو زيد عبد الرحمان ابن المولى أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى يحيى أبى بكر ـ من قسنطينة الى تونس ـ جيشا كبيرا انفق عليه مالا كثيرا وأمر عليه عتيقهم القائد ميمون ، فلما احس بذلك الشيخ ابن تافراجين سرح جيشا من الحضرة للقائهم مع قتيبة بن حمزة فالتقى الجمعان ببلاد هوارة فكانت الدائرة على اولاد أبى الليل وقتل يومئذ قتيبة ورجع فلهم الى تونس وامتدت العساكر فى البلاد والاوطان وجبوا الاموال وانتهوا الى المدية ثم قفلوا الى قسنطينة وتولى على اولاد أبى الليل مكان قتيبة أخوه خالد بن حمزة وكان أحمد بن مكى اثناء ذلك كاتب المولى أبا زيد من قابس يعده من نفسه الوفادة معه حتى اذا انصرم الشتاء وفد عليه مع اولاد مهلهل فلقيه وعقد له على حجابته وجميع عساكره ورحل من قسنطينة سنة ثلاث وخمسين فى صفر وجهز الشيخ أبو محمد بن تافراجين المولى أبا اسحاق ابراهيم بما يحتاج اليه من العساكر والالة وجعل على حربه ابنه محمدا وعلى حجابته أبا عبد الله ابن نزار من طبقة الفقهاء حتى تلاقى الجمعان بمرماجنة فاختل مصاف المولى أبى اسحاق وتفرقت جموعه واتبعهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بحاجبه أبى محمد بن تافراجين بتونس وجاءوا على اثره ونازلوا تونس اياما فامتنعت عليهم وارتحلوا عنها .

ثم بلغهم الخبر ان ملك المغرب الاقصى السلطان أبا عنان بعد استيلائه على المغرب الاوسط زحف الى التخوم الشرقية وانتهى الى المدية ، وكان الامير أبو عبد الله محمد صاحب بجاية خالفهم الى قسنطينة بمداخلة ابن تافراجين ونازل حاميتها فبلغهم انه رجع الى بجاية منكمشا من بنى مرين فعزم المولى أبو زيد على مبادرة قسنطينة ورغب اليه ابن مكى واولاد مهلهل ان يخلف فيهم من اخوانه من يجتمعون اليه فولى عليهم أخاه أبا العباس أحمد فاقام عندهم هو وشقيقه المولى أبو يحيى زكرياء الى ان كان من شانه ما يذكر بعد ، وانصرف المولى أبو زيد الى قسنطينة متوقعا قدوم جيش بنى مرين . وبعد استيلاء السلطان أبى عنان على المغرب الاوسط فى خبر يطول ودخوله تلمسان سرح عسكرا لافتتاح الثغور القاصية ، فاخذ العسكر الجزائر ومليانة والمدية

وفر أبو ثابت ومن معه الى جهة بجاية فقبض عليهم صاحبها أبو عبد الله محمد وادخلهم الى بجاية ــ وكان أبو عنان بعث اليه ليأخذ عليهم الطرق ــ فلما اخذهم خرج للقاء السلطان أبى عنان واقتادهم فى قبضة اسره فلقيه بظاهر المدية فشكر صنيعه وانكفا راجعا بهم الى تلمسان فدخلها فى يوم مشهود ــ وأبو ثابت الزعيم ووزيره على جملين ثم امر بهما ثانى يوم دخوله فاخرجا الى صحراء البلد وقتلا معا بالرماح واعتقل أبا زيان محمد ابن السلطان أبى سعيد عثمان بالسجن وتركه وانقرض ملك بنى عبد الوادى مرة ثانية من تلمسان . ثم امر من دس للامير محمد صاحب بجاية واغراه بالنزول على بجاية رغبة فيما عند السلطان وان يعوضه منها بمكناسة المغرب فاجابه على ايأس وكره فاقطعت له مكناسة وانتزعت منه لايام قلائل وامره بالرحيل الى المغرب وعقد على بجاية لعمر بن على بن الوزير ابن أبى وطاس ، وفى فاتح شهور عام خمسة وخمسين وسبعمائة عقد السلطان أبو عنان على بجاية واعمالها لوزيره عبد الله بن على بن سعيد وسرحه اليها فدخلها وزحف الى قسنطينة فحاصرها فامتنعت عليه ورجع الى بجاية وفى عاشر ربيع الاخر من العام المذكور اخذ النصارى مدينة طرابلس غدرا ــ اظهروا انهم تجار فصدقهم صاحبها ابن ثابت ــ فلما كان عند الصباح نصبوا السلاليم وصعدوا الاسوار واستولوا عليها وفر صاحبها فحصل بايدى العرب فقتلوه وأخاه لدم كان اصابهما منهم ، واسر النصارى جميع (اهل) البلاد ومكثوا فيها نحو من اربعة اشهر ، وكان خروجهم منها ثانى عشر شعبان من العام المذكور بعد ان نقلوا جميع ما فيها لبلدهم جنوة وتركوها خالية خاوية والعرب فى اثناء ذلك يردون من اراد قتالهم من المسلمين الى ان داخلهم ابن مكى صاحب قابس فى فدائها فاشترطوا عليه خمسين الفا من الذهب العين فبعث فيها لملك المغرب السلطان أبى عنان بطرفه بمثوبتها ، ثم تعجلوا عليه فجمع ما عنده واستوهب ما بقى من اهل قابس والحامة وبلاد الجريد فوهبوها له رغبة فى الخير ومكنه النصارى من طرابلس فملكها ، وبعث السلطان أبو عنان بالمال اليه صحبة الخطيب أبى عبد الله ابن مرزوق وأبى عبد الله محمد حفيد المولى أبى على عمر ابن سيد الناس وان يرد على الناس ما اعطوه وينفرد بمثوبتها فامتنعوا ووضع المال عند

ابن مكي لذلك ، وعقد السلطان أبو عنان على طرابلس لاحمد بن مكي وعلى قابس لأخيه عبد الملك •

وفي سنة خمس وخمسين ارتفع سعر الطعام بتونس الى ان بلغ سعر القفيز من القمح احد عشر دينارا ذهبا والشعير الى النصف من ذلك •

وفي سنة خمس وخمسين توفى امام جامع الزيتونة الشيخ أبو اسحاق ابراهيم البسيلي وتولى الامامة بعده بالجامع المذكور شيخ الشيوخ بتونس أبو عبد الله محمد ابن عرفة الورغمي •

وفي سنة سبع وخمسين وسبعمائة زحف صاحب بجاية الوزير عبد الله ابن علي بن سعيد بجيوشه الى قسنطينة فحاصرها فامتنعت عليه فبقي محاصرا لها • وكان المولى أبو زيد صاحبها قد دبر في النقلة الى الصحراء او غيرها لما غلب عليه من الحصار • وكان خالد بن حمزة قد فسد ما بينه وبين الشيخ أبي محمد بن تافراجين فعدل عنه الى اقتاله اولاد مهلهل واستدعاهم للمظاهرة فاقبلوا اليه وتحيز خالد بن حمزة الى السلطان أبي العباس أحمد وزحفوا معا الى تونس فنازلوها في السنة المذكورة وامتنعت عليهم فافرجوا عنها • واستقدم المولى أبو زيد اثر ذلك أخاه المولى أبا العباس لينصره من عساكر بني مرين عندما ضاق به الحصار فاجاب وقدم عليه بخالد وقومه فخرج المولى أبو زيد مع خالد الى منازلة تونس ووقع مجلس في من يبقى بقسنطينة فاشار المزوار القائد نبيل بجلوس أخيه المولى أبي العباس فدخلها واليا وارتحل المولى أبو زيد متوجها الى تونس ولم يتمكن من نزولها وافترقت عربه فرجع الى بونة وشوقت نفسه في الرجوع الى قسنطينة فتمسك اهل قسنطينة بواليهم المولى أبي العباس أخيه لديانته وعقله فوقف وباشر المحاصرين قبل مبايعته وكتب رسم شهد فيه جماعة من عدول البلد وكبرائها ان الامير أبا زيد لا قدرة له على مدافعة ما وقع بالبلد ولا على القيام بامرها لعجزه عن ذلك وان اولى الامراء بالمبايعة للمدافعة أخوه المولى أبو العباس أحمد فبويع في شعبان من سنة ست وخمسين فايس المولى أبو زيد من قسنطينة لاستبداد أخيه بامرها ولم يركن لمقامه ببونة فراسل الشيخ ابن تافراجين في السكنى بتونس والنزول عن

بونة لعمه السلطان أبى اسحاق فاجيب وتحول الى الحضـرة بمن بقى معه من خواصه فاوسعوا له المنازل واسنوا الجرايات واقام تحت نظرهم بعد ان كان طالبا لهم • ووقف المولى أبو العباس للامر بقسنطينة ونوب الزعماء وباشـر المحاصرين بنفسه • ولما كان فى آخر سنة سبع وخمسين شـاع فى محلـة المحاصرين لقسنطينة ان الملك أبا عنان توفى وكان مريضا وذلك ان الـوزير عبد الله بن على رحل عن قسنطينة ونزل وادى القطن واذا بفارس أتاه بكتاب من السلطان أبى عنان يامره بالرجوع الى بجاية فاحرق المجانيق وغيرها من الآلات الثقيلة ورحل فشاع من اجل ذلك خبر موته وبلغ السلطان أبا العباس فجهز جيشا بعد الكلام مع اليوسفيين وبعض اهل الوطن فضربوا على محلة المحاصرين لهم ليلا وذلك فى ذى الحجة من سنـة سبـع وخمسين فنهبـوها وهزموا الفرسان وقتلوا بعض اولاد موسى بن ابراهيم وفـر الوزير بنفسه جريحا الى المغرب فوصل الخبر الى السلطان أبى عنان فى ايام التشـريق من السنة وكان قد افـاق من مرضه فاشتد حنقـه وحـزن لهذا الامـر وتحرك لقسنطينة •

حـركة أبى عنـان

ولما وصل خبر حركته الى المولى السلطان أبى العباس بعث أخـاه المـولى أبا يحيى زكرياء الى تونس صريخا لعمه السلطان أبى اسحاق فاعجله الامر عن ذلك وارتحل السلطان أبو عنان بعسكره وبعث فى مقدمته وزيره فـارس ابن ميمون فنزل محاصرا قسنطينة فى العشرين من رجب سنة ثمان وخمسين وجد فى القتال ، وكان المولى أبو العباس لا يفارق السـور الا وقت الوضـوء للصلاة فرصده احد رماتهم ورماه بسهم تخلل عرضا فى لوية عمـامته تحت حلقه ودهشت الناس وسلمه الله • ثم قدم السلطان أبو عنان يسوق الدنيا خلفه فنزل على قسنطينة فى ثانى عشر شعبان من السنة وطاف بها قبل نزوله متنكرا فايس منها فبات ليله مهتما ، ثم ادرك اهل البلد الدهش مما راوا من كثرة الخلق فانفضوا وتسللوا اليه وتحيز المولى السلطان أحمـد الى القصبـة فامتنع بها ثم طلب للصلح فاجاب وتوثق لنفسه بالعهد وشرط امانا تاما لاهل البلد فكتبه السلطان أبو عنان بخط يده ملتزما فيه ما طلب باشـد ايمـانه

وخرج السلطان أحمد في جملة ناس واجتمع به وحده بالليل ثم انصرف الى المضارب التى ضربت فى جواره ثم بدا له لايام قلائل فنقض عهده واركبه البحر الى المغرب وانزله بسبتة ورتب عليه الحرس واشخص كبار قسنطينة فى البر الى المغرب ٠

ولما ملك قسنطينة بعث رسله الى أبى محمد بن تافراجين فى الاخذ بطاعته والنزول عن تونس فردهم واخرج سلطانه المولى أبا اسحاق ابراهيم مع اولاد أبى الليل بعد ان جهز لهم عسكرا وما يصلح من الالة والجند واقام هو بتونس واجمع السلطان أبو عنان النهوض اليه ووفد عليه اولاد مهلهل يستحثونه لذلك فارسل الى تونس اسطولا فى البحر مقدمه القائد أبو عبد الله محمد الاحمر وجيشا فى البر مع اولاد مهلهل مقدمه يحيى بن رحو فسبق الاسطول الى تونس فملكها بعد ان قاتلها يوما او بعض يوم وخرج عنها ابن تافراجين ولحق بالمهدية واستولت عساكر بنى مرين على تونس فى شهر رمضان المعظم من سنة ثمان وخمسين ، ولحق ابن رحو بعسكره فدخل البلد وامضى فيها اوامر السلطان ثم دعاه اولاد مهلهل الى الخروج لمباغتة اولاد أبى الليل وسلطانهم أبى اسحاق فخرج معهم لذلك واقام ابن الاحمر واهل الاسطول بتونس ٠

ومكث السلطان أبو اسحاق ابراهيم صاحب تونس مع خالد بن حمزة بالجريد وعياله وثقلته بالمهدية مع الشيخ عبد الله بن تافراجين ٠

وكان السلطان لما وجه جيشه فى البر الى تونس بعث معه الفقيه المحدث الخطيب ابن مرزوق برسم خطبة بنت السلطان أبى يحيى أبى بكر فوقف الفقيه على والدتها فقالت له غدا ان شاء الله يكون الحديث بمحضر القاضى وغيره فرجع اليها من الغد فاختفت عنه وجد الطلب عليها فلم يجدها ٠

وكان فى خلال ذلك قد وصل الى السلطان أبى عنان بمعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيى بن يملول وبيعة على بن الخلف صاحب نفطة ووفد ايضا ابن مكى مجددا طاعته والشيخ يعقوب بن على من مشيخة رياح واضافهم بالبلد ضيافة خرجت عن الامثال ٠ ثم جاهر يعقوب بالخلاف لما تبين من مكر السلطان أبى عنان وارهاف حده بالعرب ومطالبتهم بالرهن وقبض ايديهم عن الاتاوات فلحق بالرمل واتبعه السلطان فاعجزه فعدا على قصوره ومنازله بالتل والصحراء فخربها وانتسفها ثم رجع الى قسنطينة ٠

وارتحل منها قاصدا تونس ونهض اثر ذلك المولى أبو اسحاق بمن معه من الجريد للقائه وانتهوا الى فحص تبسة • فتحدث رجال بنى مرين فى الرجوع عن سلطانهم حذرا من ان يصيبهم بافريقية ما كان أصابهم من قبل فانفضوا متسللين الى المغرب•ولما خف المعسكر من اهله نادى من بقى فيه المغرب؛المغرب؛ فقال ما هذا ؟ فاخبر فامر بالرجوع الى المغرب واتبع العرب اثاره ، وبلغ الخبر الى أبى محمد ابن تافراجين بمكان منجاته من المهدية فنهض الى تونس فادرك من بها من بنى مرين خبر قدومه وقد ثار اهل البلد بهم فركبوا البحر وفروا الى المغرب ودخل الشيخ ابن تافراجين تونس وكانت مدة غيبته سبعين يوما • وبلغ الخبر بذلك المولى السلطان أبا اسحاق فاقبل الى حضرته فدخلها فى الرابع لذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة بعد ان بعث المولى أبا زيد فى عسكر الجنود والعرب لاتباع اثر بنى مرين ومنازلة قسنطينة فاتبعهم الى تخوم عملهم ورجع الى قسنطينة فقاتلها اياما فامتنعت عليه فانكفا راجعا الى الحضرة ولم يزل مقيما بها الى ان مات •

ولما وصل السلطان أبو عنان لفاس وحل بها غرة ذى الحجة من السنة المذكورة عاقب اكثر الناس لامتناعهم من المسير معه الى تونس وثقف فى غداة يوم وروده اربعة وتسعين شيخا من شيوخ بنى مرين وقتل وزيره فارس بن ميمون وجماعة من وجوه الجند وثقف الفقيه أبا عبد الله بن مرزوق فقال له : لم لم تضع اليد فيها حين ذهبت لتخطبها لى ؟ فقال : بنت ملك يخطبها سلطان كيف نضع يدى فيها ؟ فابقاه فى الثقاف بسبب ذلك ستة اشهر •

وفى جمادى من سنة تسع وخمسين وسبعمائة تحرك المولى أبو اسحاق الحركة التى افتتح فيها المهدية وكان فتحه اياها فى شعبان وسبب انتقاضها عليه انه عقد عليها لأخيه الامير أبى يحيى زكرياء وبعث على حجابته أحمد بن خلف من اولياء ابن تافراجين مستبدا عليه فاقام على ذلك حولا او بعضه وذلك بعد انصراف السلطان أبى عنان ثم ضجر الامير أبو يحيى من الاستبداد عليه فبيت على أحمد ابن خلف وقتله ، وبعث لأبى العباس أحمد بن مكى صاحب جربة وقابس ليقيم له رسم الحجابة لما كان مناويا لابن تافراجين فوصل اليه وطيروا بالخبر الى السلطان أبى عنان وبعثوا اليه بيعتهم واستصرخوه • وسرح الشيخ ابن تافراجين اليها العسكر فاجفلوا امامه ولحق

المولى أبو يحيى زكرياء بقابس واستولى العسكر على المهدية واستعمل ابن تافراجين عليها محمد بن الدكداك واقام المولى أبو يحيى بقابس واجلب به أبو العباس ابن مكى على تونس ، ثم لحق بالذواودة ونزل على يعقوب بن على واصهر اليه فى ابنة أخيه سعيد وعقد له عليها وبقى بينهم الى ان اجلب به على الحضرة ايام المولى السلطان أبى العباس كما سيذكر .

حوادث مغربية

وفى آخر سنة تسع وخمسين كانت وفاة السلطان أبى عنان وسنه ثلاثون سنة ومدته عشرة اعوام فولى بعده ولده محمد السعيد تحت نظر وزير أبيه الحسن بن عمر البودودى قاتل السلطان أبى عنان ه وثار على السعيد منصور بن سليمان ابن منصور بن عبد الحق ونازل البلد الجديد (اى فاس الجديد) دار الملك ودخل فى طاعته سائر الممالك والاعمال وبعث فى السلطان أبى العباس صاحب قسنطينة ليصرفه الى بلده واستدعاه من محبسه بسبتة فخرج فى رجب من سنة ستين .

وفيها تحرك المولى أبو اسحاق صاحب تونس الى قسنطينة واقام عليها مدة وبها بنو مرين ثم رحل الى بجاية فقام اهلها على من بها من بنى مرين وقائدهم يحيى بن ميمون بن مصمود فكبل وصرف فى البحر الى تونس واعتقل بها ودخل المولى أبو اسحاق الى بجاية سنة احدى وستين واستبد بها واقام بها خمس سنين وحاجبه وكافله الشيخ أبو محمد ابن تافراجين يمده من تونس وبقى السلطان ببجاية حتى دخلها عليه صلحا صاحبها ابن أخيه وهو الامير أبو عبد الله محمد ابن الامير أبى زكرياء ابن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر بعد ترداده اليها مدة وخرج المولى أبو اسحاق الى تونس فى البر .

وفى العام المذكور خرج الامير أبو سالم ابن السلطان أبى الحسن المرينى مختفيا من غرناطة الى ملك النصارى باشبيلية مستغيثا به على ملك آبائه لما بلغه موت أخيه السلطان أبى عنان واضطراب الوطن بعد ان يئس من اسعاف سلطان الاندلس على هذا الغرض فرثى له ملك النصارى وجهز له جفنا من اسطوله اركبه اياه ومن معه وقصد سواحل البلاد الغربية فنزل فى جبل الصفيحة على طريق سبتة فوافق مجىء السلطان أبى العباس من سبتة لما اطلق وفى هذا الطريق ولد للمولى أبى العباس ولده الامير أبو اسحاق ابراهيم .

فلقى المولى أبو العباس الامير أبا سالم وليس معه الا رجال من الاندلس نحو الثمانية فطلبه الامير أبو سالم فى الاقامة معه وعاهده انه ان تمكن من غرضه رده الى قسنطينة بلده فوقف المولى أبو العباس معه بجملة عبيده القائد بشير وغيره ثم ظهر حال الامير أبى سالم وجاءته القبائل من الجبال وكان الثائر منصور بن سليمان قد وجه عسكرا مع أخويه عيسى وطلحة لدفاع الامير أبى سالم ووقع بينهم القتال ثم تفرق الجيش عن ابن سليمان ولحق بالامير أبى سالم وخلع الحسن بن عمر البودودى محمد السعيد ابن أبى عنان بفاس وبايع الامير أبا سالم فملك أبو سالم المغرب باسره ودخل الى فاس الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين ، واصطفى خطيب أبيه العالم أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل توقيعه وكتابة سره الى الفقيه الحافظ أبى زيد عبد الرحمان ابن خلدون صاحب ترجمان العبر ـ وكان نزع اليه من عسكر القائد منصور بن سليمان لما راى من اختلال احواله ومصير الامر الى السلطان أبى سالم ـ فاقبل عليه واستخصه لكتابته ولما حل السلطان أبو سالم بفاس ومعه السلطان أبو العباس أحمد امر بتسريح الامير أبى عبد الله محمد صاحب بجاية من اعتقاله • ثم ان السلطان أبا سالم تحرك الى تلمسان فى سنة احدى وستين فدخلها واقام بها مدة فى خلالها زار المولى أبو العباس سيدى أبا مدين وعاهد الله هناك انه لا يكافى من فعل معه سيئة الا بخير • ثم كتب السلطان أبو سالم لمنصور ابن الحاج خلوف الذى كان اخلفه أبو عنان عاملا على قسنطينة ان ينزل عن المدينة للمولى أبى العباس وصرفه اليها بالاكرام فدخلها فى شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة • وكان المولى أبو يحيى زكرياء منذ بعثه أخوه المولى أبوالعباس الى عمهما السلطان أبى اسحاق صريخا كما تقدم لم يزل مقيما بتونس ثم لما عاد أبو العباس من المغرب واستولى على قسنطينة خشى الحاجب عبد الله ابن تافراجين بادرة منه وتوقع زحفه وراى ان يخفض جناحه فى أخيه ويتوثق به فاعتقله بالقصبة تحت كرامة ورعى وبعث فيه المولى السلطان أبو العباس بعد مراوضة فى السلم فاطلقه ووقع بينهما الصلح ، ولما وصل المولى أبو يحيى زكرياء الى أخيه بقسنطينة عقد له على العساكر وزحف الى بونة فملكها سنة اثنتين وستين وعقد له عليها وانزله بها مع العساكر واصارها تخما لعمله واستمرت حالها على ذلك •

وفى ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة من السنة المذكورة قام عمر بن عبد الله ابن على بفاس الجديد على السلطان أبى سالم وبايع تاشفين الموسوس ابن السلطان أبى الحسن المرينى وخرج اليه السلطان أبو سالم من فاس القديم فانهزم عنه جنده الى فاس الجديد وفر هو بنفسه فلحق وقتل واتيى براسه الى فاس الجديد • ثم ان الناس نفروا على عمر بن عبد الله فى تقديمه لتاشفين وكان لا عقل له فبعث للامير محمد ابن الامير أبى عبد الرحمان ابن السلطان أبى الحسن وكان ببلاد النصارى فر اليها خائفا من عمه السلطان أبى سالم فقدم اليه فبايعه فى واسط صفر من عام ثلاثة وستين وخلع تاشفين وانزله بداره مع حرمه •

وفى العام المذكور نقم اهل جربة على ابن مكى سيرته فيهم ودسوا الى الحاجب أبى محمد ابن تافراجين بذلك فسرح اليها ابنه أبا عبد الله محمدا بالعساكر وكان أحمد ابن مكى غائبا بطرابلس فنهض أبو عبد الله بالعساكر فى الاسطول ونزل بالجزيرة وضايق قشتيلها الى ان فتحه عنوة وملك الجزيرة واقام بها دعوة صاحب تونس واستعمل عليها كاتبه محمد بن أبى القاسم ابن أبى العيون وانكفا راجعا الى الحضرة •

وفى فاتح سنة ست وستين وسبعمائة توفى الشيخ الحاجب أبو محمد عبد الله ابن تافراجين بتونس ودفن بمدرسته الكائنة بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة (1) وحضر دفنه المولى الخليفة أبو اسحاق حتى وضع بملحده واستبد السلطان بملكه من بعده واقام سلطانه بنفسه • وكان السلطان عند خروجه من بجاية فى البر كما قدمنا مر فى طريقه بقسنطينة فنزلها فى ضيافة اميرها ابن أخيه المولى السلطان أبى العباس وارتحل بعد راحته بها اياما فى عياله وخدمه الى الحضرة وعقب حلوله بها اصهر الى الحاجب الشيخ أبى محمد المذكور فى كريمته فعقد له عليها واعرس السلطان بها ثم كان مهلك الحاجب عقب ذلك • وكان ابنه أبو عبد الله محمد وقت مهلك أبيه غائبا فى الجباية والتمهيد فلما بلغه مهلك أبيه داخلته الظنة واوجس الخيفة فصرف العسكر الى الحضرة ورحل مع حكيم من بنى سليم وعرض نفسه على معاقل افريقية التى كان يتظنن انها خالصة لهم كجربة والمهدية فصده ولاتها

(1) يذكر ان هذه المدرسة كائنة الان باسفل نهج سيدى ابراهيم مما يلى حوانيت عاشور وقد صارت محل سكنى ومثلها من الاماكن الاثرية كثير •

عنها • وبعث اليه السلطان بما رضيه من الامان فاصحب بعد النفور وبادر الى الحضرة فتلقاه بالترحيب وقلده حجابته ثم انكر هو مباشرة السلطان للناس ورفعه للحجاب لما الفه من الاستبداد منذ عهد أبيه فاظلم الجو بينه وبين السلطان ودبت عقارب السعاية بينهما فتنكر وخرج لقسنطينة ونزل بها على المولى السلطان أبى العباس مرغبا له فى ملك تونس ومستحثا فانزله خير نزل ووعده بالنهوض معه بعد الفراغ من امر بجاية لما كان بينه وبين ابن عمه صاحبها من الفتنة • واستبد المولى ابراهيم بعد مفر ابن تافراجين عنه وعقد على حجابته لأحمد بن ابراهيم المالقى ورفع الحجاب بينه وبين الناس •

وفى السنة المذكورة مات قاضى الجماعة الفقيه عمر بن عبد الرفيع (I) فوقع الكلام فى مجلس السلطان فى تقديم قاض وحضر المجلس امام الجامع الشيخ ابن عرفة فقال بعض الناس : جرت العادة ان قاضى الانكحة يولى القضاء ــ وكان اذ ذاك قاضى الانكحة الشيخ ابن حيدرة ــ فقال الشيخ ابن عرفة : الله يوفق الناس فى خلقه فالاولى تقديم ابن القطان من اهل سوسة ــ فقال السلطان : ما ناتى به من القرى حتى تكون تونس قد خلت ممن يصلح ــ وامر بتقديم محمد بن خلف الله النفطى وكان قد نزع اليه من بلده نفطة مغاضبا لمقدمهما عبد الله بن على بن الخلف فرعى له السلطان نزوعه اليه ثم ولاه قود العساكر الى الجريد وحربهم فكان له فيها عناء واستدفعوه مرات بجبايتهم يبعثون بها الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بعسكره وكان ابن المالقي يغص بمكانه عند السلطان ولم يزل فى نفسه منه الى ان هلك السلطان وتقبض عليه كما سيذكر •

وفى سنة سبع وستين تحرك السلطان أبو العباس أحمد من قسنطينة الى بجاية باستدعاء اهلها اياه لسوء سيرة صاحبها اميرهم أبى عبد الله فيهم ففر من بين يديه ولحقه من رغب فى الظهور عليه ولم يتمكن منه الا بضربة فمات

(I) ليس هذا من مشاهير القضاة وقد تقدمت قصة ولايته فى العهد المرينى وهى لا تبعد عن قصة ولاية خلفه ابن خلف الله وكلاهما لم توجد له ترجمة .

ودخل السلطان أحمد بجاية تاسع عشر شعبان من السنة المذكورة فلما ملك بجاية جاءه كتاب الامير أبى عبد الله وحاجبه الفقيه الوزير أبو زيد عبد الرحمان ابن خلدون فتلقاهم بالمبرة وعفا عنهم ٠

وفى الثالث عشر لجمادى الاولى من السنة المذكورة توفى قاضى الجماعة بغرناطة الفقيه الموثق أبو القاسم سلمون بن على بن عبد الله الكنانى البياسى الاصل الغرناطى المولد والمنشا المعروف بابن سلمون (1) صاحب التاليف فى الاحكام المسمى (العقد المنظم للحكام) فيما يجرى بين ايديهم من الوثائق والاحكام ٠

وبعد تحرك السلطان أبى العباس أحمد من بجاية نازل تلمسان فافتتحها وغلب عليها وعلى من كان بها من عمال بنى عبد الواد وانتظمت الثغور الغربية كلها فى ملكه كما كانت فى ملك جده الامير أبى زكرياء الاوسط وبقى الامير أبو العباس أحمد يتردد بين بجاية وقسنطينة الى ان تحرك الى تونس كما يذكر بعد ٠

ولما فرغ من فتح بجاية سرح المولى أبا يحيى زكرياء فى العساكر مع اولاد مهلهل وكانوا قد قدموا عليه صحبة أبى عبد الله محمد ابن الحاجب أبى محمد عبد الله ابن تافراجين فساروا معه الى حضرة تونس وابن تافراجين فى جملتهم فنازلوها اياما فامتنعت عليهم فاقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين صاحب الحضرة وبينهم ، وقفل المولى أبو يحيى الى عمله بونة ولحق ابن تافراجين بالمولى أبى العباس ٠

وفى سنة تسع وستين وسبعمائة عقد السلطان ابراهيم لابنه أبى البقاء خالد على عسكر لنظر محمد بن رافع من طبقات الجند من مغراوة مستبدا على ابنه وبعثه مع منصور بن حمزة وامرهم بتدويخ ضواحى بونة وجباية اموالها فساروا اليها وسرح المولى أبو يحيى صاحب بونة عسكره مع اهل الضاحية فاغنوا فى مدافعتهم وانقلبوا على اعقابهم ٠ ولما رجعوا الى الحضرة تنكر السلطان

(1) اسمه سلمون ويعرف بابن سلمون كما فى ترجمته بالديباج ، وفى ذيله اخ له اسمه عبد الله توفى سنة 741 وبهذا يعرف ما بالاصل المطبعى من الخطا .

لمحمد بن رافع قائد العسكر فخرج ولحق بقومه بمكانهم من تجبة من عمل تونس واستقدمه السلطان بعد ان استعتب له فلما قدم قبض عليه واودعه السجن وعلى اثر ذلك كان مهلك السلطان فجاة فى ليلة من رجب سنة سبعين وسبعمائة بعد ان قضى وطرا من محادثة السمر وغلبه النوم آخر الديل فنام ولما ايقظه الخادم وجده ميتا فكانت مدة خلافته بتونس ثمانية عشر عاما وعشرة اشهر ونصف شهو وترك من الولد الذكور خمسة ومن الاناث احدى عشرة بنتا •

دولة خالد بن ابراهيم

ولما توفى السلطان فجاة غلب على البطانة الدهش ثم راجعوا بصائرهم واتفقوا على مبايعة الاكبر من اولاد سلطانهم • فبويع الامير أبو البقاء خالد ابن السلطان أبى اسحاق ابراهيم ابن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر ابن الخلفاء الراشدين بويع بتونس فى رجب من سنة سبعين وسبعمائة صبيحة موت أبيه اخذ له البيعة من الناس مولاه منصور وعتيقه من العلوج وحاجبه أحمد بن ابراهيم المالقى وحضر لها الموحدون والفقهاء والكافة وانفض المجلس وقد انعقد امره الى جنازة أبيه حتى واروه التراب •

واستبد عليه منصور عتيقه وابن المالقى فلم يمكن له حكم عليهما • وكان اول ما افتتحا به امرهما ان تقبضا على قاضى الجماعة حينئذ محمد بن خلف الله من طبقة الفقهاء لما كان فى نفس المالقى منه واودعاه السجن مع محمد بن رافع المتقدم الذكر ثم ان المالقى بعث اليهما من داخلهما فى الفرار من الاعتقال حتى دبراه معه وظهر على امرهما فقتلهما فى محبسهما خنقا •

وقدم بعد محمد بن خلف الله لقضاء الجماعة بتونس قاضى الانكحة حينئذ الشيخ الفقيه العالم الحافظ أبو العباس أحمد بن حيدرة •

وفى حدود احدى وسبعين توفى الشيخ الفقيه القاضى أبو البركات محمد بن أبى بكر المعروف بابن الحاج (I) ولى القضاء والخطبة ببلد المرية ومالقه ثم

(I) من اعلام الاندلس مترجم فى الديباج وذيله وبالاخير بسطه فى ترجمته وشعر له فى مسالة العمر وضبط وفاته باواخر رمضان من سنة 771 عن نحو 90 سنة .

ولي قضاء الجماعة وخطبة الحضرة بغرناطة ولما قدم على السلطان أبي عنان ساله عن عمره فقال له : ليس من المروة ان يخبر الرجل بسنه كذا قال مالك . فتغافل عنه واخذ يساله عن انتقالاته في البلاد وعن زمن رحلته لبجاية فاخبره بالتاريخ فسمت له الكلام وقال : اترى عمرك حينئذ كم ؟ فبادره بان قال : اتسرقني انت ؟ وتفطن لما اراد منه .

وفي رابع ذي الحجة من السنة المذكورة توفي الشيخ العلامة الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسني (I) شارح الجمل للخونجي بتلمسان وكان اماما ذا عقل وذهن ثابت قال الشيخ ابن عرفة رايته وقد وفد لتونس فرايت منه علما تاما ومعرفة وحكى عنه ولده قال انشدني أبي في المنام :

لانت خليلي في الملاء وفي الخلا وانت انيسي والعباد هجوع

ولنرجع الى ما كان من امر تونس بعد ولاية الامير خالد بها وذلك ان ابن المالقي ومنصور عتيقه واتباعهما ساروا في الناس سيرة غير مرضية واشخصوا لوقتهم منصور بن حمزة شيخ اولاد أبي الليل وبني كعب بما اطعموه في شركته لهم في الامر ثم لم يكملوا له بذلك فسخطهم ولحق بالمولى السلطان أبي العباس أحمد وهو مستجمع للوثوب بهم فاستحثه لملكهم فاجاب صريخه . وكان اهل قسطيلية قد بعثوا اليه لمثل ذلك فسرح اليهم أبا عبد الله ابن الحاجب أبي محمد ابن تافراجين فسار اليهم واقتضى بياعتهم وطاعتهم وسارع الى ذلك يحيى بن يملول مقدم توزر والخلف بن الخلف مقدم نفطة ، ثم خرج السلطان من بجاية في العساكر الى الحضرة وعقد على بجاية لولده المولى أبي عبد الله محمد وتلقته وفود افريقية جميعا بالطاعة وانتهى الى تونس فخيم بساحتها اياما يغاديها القتال ويراوحها ثم زحف الى اسوارها وقد ترجل أخوه والكثير من بطانته فلم يقم لهم شيء حتى تسنموا الاسوار برياض راس الطابية فتنزل

(I) هو الشريف التلمساني الذي طبقت شهرته العلمية المغرب والمشرق وله ترجمة حافلة بنيل الابتهاج .

عنها المقاتلة وفروا الى داخل البلد ودهش الناس وتبرا بعضهم من بعض واهل دولة الامير أبى البقاء فى موكبهم وقوف بباب الغدر من ابواب القصبة • فلما رأو انهم احيط بهم ولوا الاعقاب وقصدوا باب الجزيرة فكسروا اقفاله وثار اهل البلد جميعا بهم فخلصوا بسلطانهم من البلد بعد مشقة ومضى الجند فى اتباعهم فادرك أحمد بن المالقى فقتل وسيق راسه الى السلطان وتقبض على الامير خالد فاعتقل ونجا العلج منصور • ودخل السلطان قصبته فى يوم السبت الثامن عشر من ربيع الثانى من عام اثنين وسبعين وسبعمائة وانطلقت ايدى العيث فى ديار اهل الدولة ـ لما كانوا يفعلون بالناس من اغتصاب اموالهم وتحاملهم عليهم ـ واضطرمت نار العيث فى دورهم ومخلفهم فلم تكدان تنطفى • وبعث السلطان أبو العباس أحمد بالامير خالد وأخيه فى الاسطول الى قسنطينة فعصفت بهما الريح وانخرقت السفينة وترادفت الامواج الى ان هلكا فكانت مدة الامير خالد سنة وتسعة اشهر ونصفا •

دولة السلطان احمد وعهد الاستقرار

وولى بعده تونس السلطان أبو العباس أحمد ابن الامير المرحوم أبى عبد الله محمد ابن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر ابن الخلفاء الراشدين أمه أم ولد اسمها قشوال بويع له بتونس يوم السبت الثامن عشر لربيع الثانى من عام اثنين وسبعين المذكور وكانت ولادته بقسنطينة فى سنة تسع وعشرين • ولما وصل الى تونس سكن ما تزلزل وقوم ما تحول ورفع انواع الفساد عن البلاد واختص خواصا بمجلسه منهم الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبى العباس أحمد ابن تافراجين التينملى كان يقرر اصول المسائل السلطانية ويذكر العادة فيما التبس منها اذا سئل عنها ورجع اليه فى ذلك ، وعقد على حجابته للمولى أبى يحيى زكرياء أخيه ورعى لأبى عبد الله ابن الحاجب أبى محمد ابن تافراجين حق التجائه اليه فجعله رديفا فى الحجابة لأخيه ، وقدم من خواصه الواصلين معه اربعة الوزير أبو اسحاق ابراهيم ابن الوزير أبى الحسن على بن ابراهيم

ابن أبى هلال عياد الهنتاتى وشقيقه الشيخ أبو عبد الله محمد ـ وأبو هلال هذا هو صاحب بجاية بعهد السلطان المنتصر ـ والكاتب أبو اسحاق ابراهيم بن أبى محمد عبد الكريم بن كماد من كبار قسنطينة • واول من كتب علامته بتونس الفقيه أبو زكرياء ابن الشيخ أبى اسحاق ابراهيم بن وحاد الكومى القسنطينى وطالت فى ذلك مدته الى ان توفى فكتبها بعده الفقيه أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبد الرحمان بن الحجر •

من بيوتات قسنطينة العدول وطالت كتابته مع حسن الخط ووجازة اللفظ الى وفاة الخليفة •

واحدث المولى السلطان أحمد بتونس حسنات دائمة فمنها انشاؤه لسبالة المدينة بيطحاء ابن مردوم ومنها اقامة القراءة فى الاسباع فى المقصورة غربى جامع الزيتونة فى كل يوم بالوقف المؤبد ومنها بناؤه البرج الكبير المعروف بقرطيل المحار شرقى بلد قمرت (I) قرطاجنة وجعله للحراسة ومنها رفع التضييف عن قرى قرطاجنة وقت خروج السلطان الى ذلك المكان الى غير ذلك من محامد افعاله •

وفى سنة اثنتين وسبعين قدم الشيخ الفقيه الامام العلامة أبو عبد الله محمد ابن عرفة للخطابة بجامع الزيتونة وفى العام الذى بعده قدم للفتيا به •

ثم ان السلطان أبا العباس أحمد لما تمهد له ملك تونس انتزع ما بايدى العرب من الامصار فاهمهم ذلك وتنكر منصور بن حمزة شيخ بنى كعب واولاد أبى الليل فنزع يده من الطاعة وتابعه على خروجه على السلطان أبو صعنونة أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين شيخ حكيم وارتحل الى الذواودة صريخا بالامير أبى يحيى زكرياء ابن المولى السلطان أبى يحيى فبايعوه ورحل معهم الى تونس فلقى منصور بن حمزة بمن معه فبايعوه واوفدوا مشيختهم على يحيى بن يملول يستحثونه للطاعة فبايع له وبعث السلطان أخاه زكرياء بعسكر

(I) القرطيل هو الراس البارز من البر فى البحر وهو اصطلاح قديم يوجد فى الادريسى كثيرا •

للقيهم فالتقوا فانهزمت عساكر المولى أبى يحيى ونزل العرب على تونس بسلطانهم ونمى الى السلطان أبى العباس أحمد ان حاجبه أبا عبد الله محمد ابن الحاجب أبى محمد ابن تافراجين داخل العرب فى اخذ تونس فتقبض عليه واشخصه فى البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا الى ان هلك سنة ثمان وسبعين . ثم ان السلطان بعث الى قوم منصور بن حمزة فانتقضوا عليه فلما احس بذلك عاود الطاعة ورهن ابنه ونزع طاعة سلطانهم زكرياء ورجع على عقبيه الى الذواودة والتزم طاعة السلطان الى ان هلك مقتولا قتله محمد ابن أخيه قتيبة وقام بامره بعده صولة بن خالد بن حمزة وعقد له السلطان على ذلك وفى عام ثلاثة وسبعين عقد السلطان على قسنطينة للقائد بشير .

وفى ليلة الثلثاء الثالث والعشرين من ربيع الثانى من سنة اربع وسبعين توفى صاحب فاس السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن بمرض مزمن فولى بعده ولده محمد السعيد وكان صغيرا خماسيا فبقي الى ان دخل عليه الامير أبو العباس أحمد ابن الامير أبى سالم فى سنة خمس وسبعين . ولما دخل الى فاس بادر الى القبض على ابن الخطيب الاندلسى (I) لما كان اوصاه به ابن الاحمر صاحب الاندلس فاودعه السجن . ثم قدم رسول ابن الاحمر يهنئه بالملك ، فقتل ابن الخطيب بمحبسه خنقا وكان كاتبا بليغا أديبا مؤرخا جيد النظم عارفا بالنجامة سمعت بعض الشيوخ يحكي ان من نظمه فى اليوم الذى قتل فيه :

قف كى ترى مغرب شمس الضحى ... بين صلاة العصر والمغرب

واسترحم الله قتيلا بها ... كان وحيد العصر فى المغرب

وفى آخر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعين توفى قاضى الجماعة بتونس الفقيه الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرة (2) ودفن بالزلاج فتولى بعده قضاء الجماعة الفقيه أبو على الحسن بن أبى القاسم ابن باديس القسنطينى .

(I) هو العلامة المؤرخ صاحب الطرائق المبتكرة في التاليف والكتابة والشعر وترجمته فى كل ديوان ــ وخاصة فى نفح الطيب الذى هو مؤلف من اجله ، وأما ما ذكر من علمه بالنجامة فقد قرات ولا اذكر اين قول من قال فيه لو كانت نجامة لنجامه !

(2) من اجل القضاة وترجمته بالديباج وتصحيحها بذيله ص 74 .

وفى سنة تسع وسبعين توفى صاحب قسنطينة القائد بشير فعقد السلطان عليها لولده أبى اسحاق ابراهيم مستقلا وقد كان قبل ذلك بها لكن مع القائد نبيل وهو المستبد عليه لمكان صغره ٠

وفى سنة تسع وسبعين نهض السلطان أبو العباس أحمد من الحضرة فى عساكره ومن التف عليه من اولاد مهلهل وحكيم قاصدا للجريد لما بلغه عن مشيختها من الاستبداد والعتو ، فسار الى القيروان وارتحل منها يريد قفصة فنازلها فقاتلوه فامر بقطع نخيلهم فتسللت اليه الرعية من اماكنهم واسلموا أحمد بن العابد مقدمهم وابنه محمدا المستبد عليه فخرج محمد الى السلطان واشترط له ما شاء من الطاعة والخراج ثم رجع الى البلد فلقيه المولى أبو يحيى زكرياء فى ساحة البلد فبعث به الى السلطان ودخل هو الى القصبة ٠

وتملك البلد وتقبض السلطان على محمد بن العابد وأبيه أحمد واعتقلهما واستولى على داره وذخائره واجتمع الملا من اهل البلد عند السلطان واتوه ببيعتهم ٠ فعقد السلطان عليها لابنه المولى أبى بكر وارتحل يغذ السير الى توزر وقد طار الخبر بفتح قفصة الى ابن يملول فركب لحينه واحتمل اهله وما خف ولحق بالزاب وطير اهل توزر بالخبر الى السلطان فتقدم الى البلد فملكها واستولى على ما لا يحيط به الوصف من ذخائر بنى يملول وعقد السلطان على توزر لابنه المستنصر وانزله بها ٠ واستقدم السلطان الخلف بن الخلف صاحب نفطة فقدم واتاه طاعته وعقد له على بلده وولاه حجابة ابنه بتوزر وانزله معه وقفل الى حضرته ، فلقيه اهل الخلاف من العرب فاوقع بهم ودخل السلطان حضرته ، فوفد عليه صولة بن خالد بن حمزة بعد ان توثق لنفسه فاشترط له على قومه ما شاء فرجع اليهم فلم يرضوا بشرطه ونهض السلطان من الحضرة فى العساكر فاجفلوا امامه فاتبعهم واوقع بهم ثلاث مرات فى ثلاثة ايام واقفوه فيها ثم اجفلوا ولحقوا بالقيروان ٠

ثم ان الخلف بن الخلف لما استقل بحجابة المولى المستنصر كما ذكرناه استخلف من ينوب عنه ببلده نفطة ونزل بتوزر مع المولى المستنصر ثم سعى به انه يراسل ابن يملول وعثر على كتابة بخط كاتبه الى ابن يملول والى يعقوب بن على شيخ الذواودة يحرضهما على الفتنة فتقبض المولى المستنصر عليه واودعه السجن وبعث عماله الى نفطة واستولى على امواله وخاطب أباه فى شانه ٠ ثم ان

المولى أبا بكر خرج من قفصة برسم زيارة أخيه بتوزر وخلف بالبلـد حـاجبه القائد عبد الله التريكى ، فلما توارى الامير عن البلد قام بها رجل من كبارها وهو أحمد ابن أبى زيد واجتمعت عليه الاشرار ونادى بنقص الطاعة وتقدم الى القصبة فاغلقها القائد عبد الله دونة وامتنعت عليه وقرع القائد عبد الله الطبل بالقصبة فاجتمع اليه اهل القرى فادخلهم من باب بالقصبة كان يفضى الى الغابة فتسلل الناس عن القائم وخرج القائد بمن معه من القصبة فقبض على كثير من اهل الثورة فسجنهم وسكن الهيعة • وطار الخبر الى المولى أبى بكـر فرجع الى قفصة وحين دخوله ضرب اعناق المعتقلين من اهل الثورة ونادى فى النـاس بالبراءة من ابن أبى زيد وأخيه وامر بالبحث عليهما فعثر عليهما مستترين بزى النساء فاتوا بهما الى الامير فضرب عنقيهما وصلبهما فى جذوع النخل وارتاب المولى المستنصر بابن الخلف فقتله بمحبسه •

وفى اواخر صفر من سنة احدى وثمانين وسبعمائة استعفى الفقيه أبو على حسن ابن أبى القاسم ابن باديس (I) القسنطينى وقدمه ببلده قسنطينة وقدم الفقيه أبا عبد الله محمد بن على بن عبد الرحمان البلوى القطان لقضاء الجماعة بتـونس •

وفى تلك السنة توفى الشيخ الفقيـه العـالم الخطيب أبو عبد الله محمـد بن أحمد ابن مرزوق (2) بالقاهرة ودفن بين ابن القاسم واشهب وسنه قريب من السبعين سنة •

وفى رجب من السنة المذكورة رحل المولى السلطـان من تونس ومعه احيـاء العرب الى ان وصل الى القيروان بعد استراحته فى بعض اماكن ثم ارتحل منها يريد قابس وصاحبها عبد الملك ابن مكى وقد استكمل التعبية فبادر الى لقيـه والاخذ بطاعته مشيخة ذباب اعراب قـابس من بنى سليم ووفـد منهم خـالد بن سباع بن يعقوب شيخ المحاميد وطائفة معه يستحثونه لمنازله قابس فاغـذ السير اليها وقدم رسلا بين يديه بالانذار لابن مكى فانتهوا اليه فرجعهم بالانابة

(I) ترجمته فى وفيات ابن قنفذ ونقلها عنه يابا توفى سنة 787 .

(2) هو ابن مرزوق الجد المعروف بالخطيب اشهر علماء عصره ولا سيما فى الخطابة شرقا وغربا وذكر فى مناسبة انه خطب على 48 منبرا قبل هجرته الاخيرة ولعله زاد عليها ومن جملتها منبر جامع القصبة بتونس وترجمته واسعة بالديباج وذيله وابن خلدون والنفح وغيرها .

والانقياد الى الطاعة ثم احتمل ابن مكي رواحله وعبا ذخائره وخرج من البلد ونزل على احياء ذباب هو وابنه يحيى وحفيده عبد الوهاب من ابنه مكي واتصل الخبر بالسلطان فبادر للبلد ودخلها في ذى القعدة من سنته واستولى على منازله وقصوره ولاذ اهل البلد بطاعته وقدم عليها من حاشيته . وكان أبو بكر بن ثابت صاحب طرابلس قد بعث طاعته ووافت رسله السلطان قرب قابس فلما استكمل فتحها بعث اليه من حاشيته لاقتضاء ذلك فرجعهم بالطاعة واقام ابن مكي بعد خروجه من قابس بين احياء العرب ليالى قلائل ثم توفي بغتة ولحق ابنه وحفيده بطرابلس فمنعهما ابن ثابت الدخول اليها فنزلا بزنزور من قراها في كفالة الجوارى من بطون ذباب . ولما استكمل المولى السلطان الفتح انكفا راجعا الى حضرته فدخلها فاتح سنة اثنتين وثمانين ولحقه رسله بهدية من ابن ثابت صاحب طرابلس ووفد عليه في الحضرة اولاد أبي الليل طالبين العفو عنهم فاجابهم الى ذلك ووفد صولة بن خالد بن حمزة شيخهم وقبله أبو صعنونة شيخ حكيم ورهنوا ابناءهم . ثم خرج المولى أبو يحيى زكرياء في العساكر لاقتضاء المغارم من هوارة وارتحل معه اولاد أبي الليل واحلافهم من حكيم حتى استوفي جبايته وجال في اقطار عمله ثم انكفا راجعا الى الحضرة ووفدوا معه على السلطان يتوسلون به في اسعافهم بالمحلة الى بلاد الجريد لاقتضاء مغارمهم على العادة واستيفاء اقطاعاتهم فبعث معهم لذلك ابنه المولى الهمام أبا فارس عبد العزيز فارتحل معه باحيائهم ثم انهم احسوا بابن مزنى ويعقوب بن على فبعثوا يستصرخون السلطان أبا حمو صاحب تلمسان فظهرت من اولاد أبي الليل عروق الخلاف ونزعوا الى اللحاق بيعقوب بن على وفارقوا المولى أبا فارس بعد ان بلغوه مامنه من قفصة ، وساروا باحيائهم الى السزاب فلم يظفروا بالبغية من يعقوب وابن مزنى — وقد جاءهم وافد صاحب تلمسان بالعقود عن نصرتهم — فسقط في ايديهم وعاودهم الندم وحملهم شيخ الذواودة على المراجعة للسلطان وبعث معهم ابنه محمدا فلما وصلوا تقبلهم .

وفي ثاني عشر صفر من سنة اثنتين وثمانين توفي الشيخ الفقيه الحافظ المفتى أبو محمد عبد الله البلوى الشبيبي (1) ودفن بدار الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد بازاء قبره داخل القيروان .

(1) شيخ البرزلى وابن ناجى ترجمته بذيل الديباج .

وفى ثانى عشر ذى القعدة من سنة خمس وثمانين توفى الاستاذ القـاضى الامام أبو بكر بن جرير كان قاضى الاندلس نحويا فرضيا بارع النظم والنثر له تصانيف منها ـ زمام الرائض فى علم الفرائض ـ والاغراب فى الاعراب ـ وشروح الفية ابن مالك ـ وتشطير قصيدة (قفانبك) وهى عجيبة • ومن نظمه :

لما علانى الشيب قال صواحبى   لا نرتضى خـلا بفـود أشيب

فصبغته خوف الصدود فقلن لى   هذى رواية اصبغ عن أشهب

وفى حدود العام المذكور توفى قاضى الجماعة بتونس الفقيـه أبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمان البلوى القطان (I) فولى قضاء الجمـاعة بعـده الفقيـه أبو زيد عبد الرحمان البرشكى (2) ثم بعد مدة من تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه شيخ شيوخنا الفقيه العالم أبو مهدى عيسى الغبرينى • ثم لما كانت سنة سبع وثمانين توفى القاضى البرشكى المذكور واستقـل بالقضـاء أبو عيسى المذكـور •

وفى يوم الخميس حـادى عشـر جمـادى الاخرى من السنة المذكورة توفى الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد الظريف (3) ودفـن بـزاويته المعـروفة به بجبل المرسى •

حملة صليبية من فرنسا وجنوة على المهدية

وفى سنة اثنتين وتسعين نزل النصارى المهدية فى مائة قطعة بين مراكب كبيرة واغربة ، فوجه السلطان أحمد محلة نزلت قرب البلد قدم عليها ولـده المولى أبا فارس عبد العزيز صحبه بأخيه المولى زكرياء فاتفق للمولى أبى فارس عبد العزيز مع النصارى وقائع منها فى يوم نزولهم وقعت بينهم وبين النصارى حروب كان للمسلمين فيها جولة بحيث اسلموا المحلة ودخلها العدو ولم يجد فيها عينا تطرف عدا رجلا واحدا مشغبا قتلـوه • وبينما هم فى سبى الازواد

(I) ذكر وفاته الشيخ مخلوف كما هنا لم توجد له ترجمة .
(2) ترجمته بذيل الديباج .
(3) ترجمته فى الحقيقة التاريخية للتصوف للاستاذ محمد البهلى النيال ص 263 .

والاسباب اذا بالمولى أبى فارس نادى فى المسلمين وجمع القواد ومن حضرهم من الجند وكر راجعا تجاه العدو حتى اخذ المحلة من ايديهم قهرا فحميت العرب وانصرف العدو منهزما وقتل منهم نحو خمسة وسبعين راسا . وواجه العدو بنفسه ودفع صدورهم دفعة شتت بها شملهم فلم يلتفت الا والعدو قد احاط به من كل جهة ، وعلم العدو انه ابن الخليفة ـ ومن عادتهم فى الحرب انهم اذا اخذوا ملكا او ابن ملك فانهم لا ينزلونه عن فرسه ـ فاخذوا بعنان فرسه وساروا به ، فالهمه الله سبحانه فاخلع عنان فرسه من راسه وألح على الفرس وهمزه فخرج من بينهم فرموه بسهام واسنة واتبعوه بخيل واعنه وهو لا يلتفت إلى ان وصل الى المسلمين وسلمه الله عز وجل . ثم ان النصارى اختلفوا فيما بينهم واراد الجنوى الغدر بالفرنسي فارتحل الفرنسي بسفنه ولما راى الجنوى انه لا يقدر وحده رحل ايضا وكفى الله المسلمين شرهم فانصرفوا خائبين بعد ان اقاموا على ما حكاه ابن الخطيب شهرين ونصفا.وحدث الشيخ الفقيه القاضى أحمد القلجانى عن عمه الشيخ الصالح الزاهد الورع أبى العباس أحمد وكان ممن حضر قتال المهدية فقال نزل النصارى المهدية فى منتصف شوال وذلك فى عام اثنين وتسعين وسبعمائة فاقاموا عليها فيما قيل ستين يوما .

وفى السنة المذكورة حج الشيخ الفقيه الامام أبو عبد الله محمد بن عرفة الورغمى واستخلف على امامة جامع الزيتونة والفتوى قاضى الجماعة حينئذ تلميذه الشيخ أبا مهدى عيسى الغبرينى وعلى الخطابة بالجامع المذكور الفقيه المقرى أبا عبد الله محمد البطرنى . وعاد من الحج فى جمادى الاولى من عام ثلاثة وتسعين وسبعمائة .

وفى شوال من سنة ثلاث وتسعين توفى صاحب قسنطينة المولى ابراهيم ابن المولى السلطان أبى العباس أحمد ببلده قسنطينة بمرض اصابه فكانت ولايته بها اربعة عشر عاما وسنه ثلاث وثلاثون سنة فولى بعده كاتبه الفقيه ابراهيم بن يوسف ابن القائد ابراهيم الغمارى .

وفى السنة المذكورة توفى بتونس الشيخان الصالحان سيدى أبو عبد الله محمد البطرنى (1) وسيدى عثمان القرنبالى (2) ودفنا بالزلاج باعلى جبل الفتح منه .

---

(1) امام مقرىء محدث ترجمته بذيل الديباج وهو ابن احمد بن موسى المذكور فى وفيات سنة ٧١٥ .

(2) من صلحاء تونس مذكور فى ابتسام الغروس وفى نسبته ما يدل على وجود قرنبالية قبل هجرة الاندلس .

وفى عام خمسة وتسعين وسبعمائة نافق اهل قفصة فتحرك المولى السلطان حتى نزلها فحاصرها وقطع كثيرا من نخلها وشجرها وارتحل عنها بعد مـدة تمللا من العرب ورجع الى تـونس وكان المـولى السلطان لما استقـر بتـونس استخلص جميع البلاد الا طرابلس وبسكرة فكانتا تحت طاعته بنظر شيخهما ٠

وفى صفر عام ستة وتسعين دخـل الامير أبو زيـان تلمسـان على أخيـه أبى يعقوب يوسف ابن السلطان أبى حمو المتقدم الذكر فملكها وفر السلطان أبو يعقوب المذكور الى بنى عامر فبعث اليه أخوه زيان من قتله هنالك ٠

وفى يوم الاربعاء ثالث شعبـان من سنة ست وتسعين وسبعمائة المذكورة توفى المولى الخليفة السلطان أبو العباس أحمد بتونس بمـرض سـابق طويل تزايد فى اشهر هذا العام ودفن بالقصبة فكان عمره سبعا وستين سنة ومدة خلافته بتونس اربعا وعشرين سنة وثلاثة اشهر ونصفا ٠

دولة أبى فارس عبد العزيز

فتولى تونس وبلادها بعده ولده مولانا امير المؤمنين أبو فارس عبد العزيز ابن المولى السلطان أبى العباس أحمد ابن المـولى الاميـر أبى عبد الله محمـد ابن المولى السلطان أبى يحيى أبى بكر ابن الاميـر المـولى أبى يحيى زكريـاء ابن المولى السلطان أبى اسحاق ابراهيم ابن المولى الامير أبى زكرياء ابن الشيخ أبى محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص أمه أم ولد اسمها جـوهـرة من الحرات المحاميد عرب طرابلس ولها حكاية يطول ذكرها هنا تزايد بقسنطينة سنة اثنتين ـ او ثلاث ـ وستين وسبعمائة وبويع بتونس يوم وفـاة والـده على رضى من الناس والف بين اخوته واعتضد بهم فى دولته وكان والده اغمى عليه وأشرف على الهلاك فى غرة شعبان فاجتمع اولاده وتآمروا فى ان كتموا حاله ودسوا الى عمهم المولى أبى يحيى زكرياء وهو اذ ذلك ساكن بالرياض الذى هو الان مدرسة بالحلفاوين من باب السويقة من اخبره ان أخـاه المولى الخليفة اصبح فى عافية فجاء برسم عيادته على عادته فلما دخل القصبـة وجـد اولاد السلطـان ٠

بالقصبة فظن ان اخاه قد توفى فاراد الرجوع الى رياضه فقام اليه بعضهم وحلف لهم ومنعوه الخروج حتى يدبروا واقواهم اسماعيل فقبضوا عليه وادخلوه لداره بالقصبة واعتقلوه بها فلما سمع اولاده بالقبض على ابيهم خرجوا من حينهم لاخيهم الامير ابى عبد الله صاحب بونة ولما قبض على الامير زكرياء اجتمع

الامير ابو فارس مع اخوته باخيهم المولى ابى يحيى ابى بكر وهو اذ ذاك ولى عهد ابيهم فقال له الامير ابو عبدالله ـ ابن عمنا صاحب بونة جالس بمحلته على الطريق بوطن بونة يستمع الاخبار فان هو سمع باخذ ابيه يمشي الى قسنطينة وياخذها فاختر اما ان تمكث انت هنا بتونس وامضى انا اليها والا تمضى انت اليها وامكث انا هنا بتونس ـ فراى انه لا قدرة له على القيام بتونس فقال بل انا امضى الى قسنطينة فاجتمع اولاد الخليفة وكتبوا كتابا عن ابيهم بولاية قسنطينة للمولى ابى يحيى ابى بكر ، فخرج يوم الاثنين غرة شعبان المذكور الى قسنطينة فوصلها يوم الخميس رابع يوم خروجه فاخرج القائد ابراهيم البواب حتى وقف على الكتاب وتردد في الجواب ثم لم يسعه الا دخوله فدخلها المولى ابو يحيى ابو بكر عشية الخميس المذكور واستقل بتونس مولانا امير

المؤمنين ابو فارس عبدالعزيز واخذ بالحزم فى اموره واوقف بين يديه خديمه المختص به محمد بن عبد العزيز شيخ الموحدين وجعل لخط علامته كاتبها لوالده الفقيه ابا عبد الله محمد بن قاسم ابن الحجر المتقدم الذكر واختار لخط الانشاء من اعطى التصرف فى العلوم كيف شاء الفقيه الفاضل الامام الشامل المتفنن فى العلوم العالم بالمنثور والمنظوم القاضى المحصل الاسد ابا عبد الله

محمد ابن الشيخ الفقيه الاجل المدرس عبدالله القلجانى (1) من كبار بيوتات

عدول باجة وقدم لقلم جبايته وتنفيذه خديمه الفقيه اباعبدالله محمد بن قاسم ابن قليل الهم وجعل فى كل خطة من يصلح بها فاستقامت الامور بتونس فى ايامه كلها احسن استقامة واحدث فى ايامه بتونس حسنات دائمة فمنها

هو اول من تخطط من آل القلشانى بالشين (وبالجيم طريقة للمؤلف) نسبة الى قلشانة قرية قرب القيروان ذكرها البكرى فى المسالك والممالك ص29 كما ذكرها ابن ناجى فى المعالم ص164 ج1 لاكن طلائع هذه الاسرة ظهرت من باجة كما فى العبارة المعلق عليها والمذكور منهم هنا خمسة تداولوا القضاء وغيره وكلهم مترجمون فى ذيل الديباج وهم محمد هذا ص291 وابناه عمر ص196 واحمد ص 78 ومحمد بن عمر ص 323 واحمد بن عبد الله اخو الاول ص 78 كما ترجم لاصلهم جميعا عبد الله ص 147 وقد تجاوزت اعقابهم العهد الحفصي واستمرت الى العهد الحسينى ...

بناؤه لزاوية باب البحر من تونس بعد ان كانت بقعة معدة للمعاصي مجباها للمخزن عشرة الاف دينار ذهبا في كل عام ومنها بناءه للسقاية خارج الباب الجديد من تونس ترده الناس والدواب واوقف عليه اوقافا تقوم بها ومنها بناءه للماجل الذي بمصلى العيدين بتونس وهو من الابنية الضخمة التي قل ان يبنى مثلها واخرج منه سبيلين احدهما للشرب للعاطش من جعاب نحاس يجذب منها الماء بالنفس والاخر ورد لمن يرده بقربة او غيرها ومنها بناؤه للزاوية التي خارج باب ابي سعدون بحومة باردو وجعلها منهلا للوارد من اي افق كان ياوي اليها عشية الى ان يشخص من هنالك سحرا وحبس عليها ما يقوم بها ومنها بناؤه للزاوية التي بحومة الداموس خارج باب علاوة المعروف بالشيخ الصالح سيدي فتح الله جعلها ملجا للواردين من تلك الجهة اذا لم يقدروا على الوصول الى المدينة ومنها بناؤه محارس (1) جملة تحوط ثغور المسلمين كمحرس ادار والحمامات وابي الجعد ورفراف وغير ذلك ومنها اقامة الخزانة بجو في جامع الزيتونة وحبس ما فيها وفي غيرها من الكتب في العلوم الشرعية والعربية واللغة والطب والحساب والتاريخ والادبيات وغير ذلك ومنها احداث قراءة البخاري في كل يوم بعد صلاة الظهر بجامع الزيتونة وكتاب الشفاء والترغيب والترهيب بعد العصر واوقف على ذلك وقفا ومنها احداث المرستان بتونس للضعفاء والغرباء وذوي العاهات من المسلمين واوقف على ذلك اوقافا كثيرة تقوم به ومنها ما عينه لاهل الاندلس اعانة لهم على العدو في كل عام وذلك الفاقفيز طعاما من عشر وطن وشتاتة عدى مايتبعها من آدم وغير ذلك

ومنها ما ترك من المجابي لوجه الله سبحانه فمنها مجبى سوق الدهانة (2) وكان قدره ثلاثة الاف دينار ذهبا في كل عام اذ كان كل من اشترى شيئا من انواع الامتعة والملباس يغرم نصف عشر الدينار ومنها مجبى رحبة الماشية وقدره عشرة الاف دينار ذهبا — ومجبى فندق الخضراة وقدره ثلاثة الاف دينار ذهبا

---

(1) هذه المحارس موجودة قبله بقرون فقد ذكرها الادريسي في نزهة المشتاق المولفة سنة 548 عدى رفراف الذي ربما كان من محدثات هذا السلطان — وهو فيما يظن محرس سيدي علي المكي وراس ادار والحمامات معروفان وابو الجعد بين شقانص والمنستير فيما ذكره الادريسي (2) كذا بالاصل وصوابه الرهادنة كما بالمونس وهم باعة الامتعة والملابس المتجولون ويفسره ما بعده وهو اصطلاح قديم مسمى به في اكثر المدن التي بها اسواق

ومجبى سوق العطارين وقدره مائتان وخمسون دينارا ذهبا ـ ومجبى فندق الملح وقدره الف دينار ذهبا ونصف الالف ـ ومجبى فندق البياض (1) وقدره الف دينار ذهبا ـ ومجبى قائد الاشغال وقدره ثلاثة الاف دينار ذهبا ـ ومجبى سوق القشاشين (2) وقدره مائة دينار ذهبا ـ ومجبى سوق الصفارين (3) وقدره خمسون دينارا ذهبا ـ ومجبى سوق العزافين (4) وقدره خمسون دينارا ذهبا ـ ومجبى الصابون وقدره ستة الالف دينار ذهبا ـ وابيح للناس عمله بعدان كان عمله محصورا متوعدا فاعله بالعقوبة المالية والبدنية وترك ما كان على المنكر من خراج كالشرطة (5) كان غيرواحد من المساكين التزمها بثلاثة دنانيرونصف الدينار ذهبا في كل يوم وكان على الفخارين (6) وظائف فتركها وقطع موضع اجتماعهم وكذلك كان على الزفافين (7) والغانيات مغارم فتركها عنهم وكذلك على المخنثين فتركها واجلاهم من جميع بلاده لما بلغه عنهم من عمل المناكر فجميع هذه المجابى كلها تركها عنهم لوجه الله سبحانه ولنرجع الى ما كان من امر المولى ابى بكر وانه بعد دخوله الى قسنطينة بعشرة ايام جمع الناس وطلبهم فى بيعته لما بلغته وفاة والده فبايعوه ، وبعد مبايعته لازم داره فى لذاته

---

(1) من اسماء الاضداد والمراد به الفحم وما تزال هذه التسمية مستعملة

(2) باعة الاشياء القديمة او مايعبر عنه بالخردة

(3) سوق النحاس وهو الصفر

(4) المطربون من العزف على الالات

(5) بينه فى تحفة الاريب بانه اداء لحاكم المدينة وابطله السلطان واوقف رجالا على وجه الامانة ومفهومه ان حاكم المدينة كان يستعمل اعوانا للتنفيذ يستخلصون اجرهم من الناس ويدفعون منه للحاكم الثلاثة دنانير والصنف التى ذكرها المؤرخ والغالب على هذا الصنف ارهاق الناس فى الاستخلاص وهذا النظام كان موجودا لعهد قريب عندمشايخ التراب واعوانهم الهواديق ويسمون مايستخلصونه خدمة فمثل ذلك هو الذى ابطله السلطان وعين اعوانا للحاكم باجرة

(6) لعله الخمارين لانه داخل فى نطاق المنكر ومناسب لقطع موضع اجتماعهم ولا يوافق ذلك الفخارين بمعنى الصناعة

(7) صوابه الزفانين واصله من الزفن وهو الرقص وفى حديث لعب الاحباش فى العيد ـ عند مسلم : انهم كانوا يزفنون اى يرقصون وينقزون ـ وبقيت هذه المادة مستعملة الى عهد قريب لاسيما بالساحل فيقولون الطبال والزكار ومن معهما من رقاصة الزنوج « زفانة » ولا شك انهم المقصودون هنا كما ان المقصود بالغانيات المغنيات

واقتصر على راحته فظهرت كلمة العرب وفتحوا باب الطمع والطلب وزين لهم الكاتب احمد بن الكماد كل نوع من انواع الفساد ثم توجه احمد بن الكماد مع بعض الاعراب الى صاحب بونة الامير ابى عبد الله محمد ابن المولى ابى يحيى زكرياء وحضه على المبادرة الى ملك قسنطينة فجمع الامير ابو عبد الله اجناده واهل وطنه ونازل قسنطينة يوم الخميس السادس لذى القعدة من سنة ست وتسعين ومنع الواصل والداخل وقطع الاشجار ورمى بالحجارة والاوتار واقتصر اهل البلد على مدافعته من الاسوار فاقام عليها خمسة وسبعين يوما ثم ارتحل ءائسا منها وعاد فى السنة الثانية اليها فخرب المنازل وهتك الزرع والمناهل • ثم ان المولى ابا فارس تحرك اليه من حضرة تونس والتقى الجمعان فى شهر رمضان المعظم عام سبعة وتسعين فهزمه مولانا السلطان من تبسة الكائنة بارض الحنانشة التى عندها اصل وادى مجردة الى سيبوس هزيمة شنيعة فر فيها الامير ابو عبد الله محمد بنفسه على فرسه ودخل بونة مع من لحقه وهم يظنون اقامته فارتقب يوم وصوله الظلام وركب البحر من غير وداع اهله ولا سلام وقصد فاس مستصرخا بصا حبها • ودخل المولى ابو فارس بونة وامن اهلها ومن وجد فيها من خدمة الامير ابى عبد الله محمد وخدمة ابيه مثل القائد يوسف بن المغربى فانه عفا عنه وسرح له ماله وما كان له فى تونس من الربع واجرى له راتبه ونقله الى الحضرة . ثم قدم على المولى ابى فارس اخوه ابو بكر من قسنطينة وسلم عليه ورحب به وعند وداعه اعتذر له بالعجز الا ان يكون تحت نظره فقبل ذلك منه وكتب الامير ابو بكر خلع نفسه بيده فى العشرين من شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة • وفى عام سبعة وتسعين توفى قاضى الانكحة بتونس الشيخ الفقيه ابو على عمر بن البراء (1) فولى بعده قضاء الانكحة الشيخ الفقيه العالم ابو عبد الله محمد ابن قليل الهم . فبعث اهل قسنطينة الى المولى ابى فارس ان يغيثهم فخرج المولى السلطان بجيشه وسار الى صفاقس قاصدا صاحبها اخاه الامير ابا حفص عمر وكان والدهم

---

(1) لا ذكر له ولا لخلفه فى كتب الطبقات

الخليفة المرحوم تركه عاملا بها • فنزل صفاقس وحاصرها الى ان تحدث مع اهلها فدخلوا على الامير عمر فى الحمام فقبضوا عليه واتوا به الى المولى السلطان وملك السلطان البلد وقدم فيها عاملا من قبله وقفل راجعا بمحلته الى ان قريب من تونس فجدد حركة منها ثم انصرف قاصدا قسنطينة • فحين اشرف عليها اظهر الامير ابو بكر عصيانا وامتناعا من اللقاء مع تيقن الامان والمدبر لذلك كاتبه ابراهيم المذكور فنازلها السلطان خامس عشر شعبان من سنة ثمان وتسعين وسبعمائة •وقرر ماعنده من الخير لاخيه وشافهه من شاطى الهواء بكلام دل على مصافاته له ودام الحصار مدة تزيد على عشرين يوما واسم المولى ابى فارس لم يزل يذكر فى قسنطينة على المنابر ولم تتفق هذه القضية قبل لمحاصر • وفعل السلطان مالا يفعله محاصر من حفظ الجنات والزرع ودفع المضرات عن جميع جهات البلد . ولما زاد امر الحصار نادى بعض من فى السور بالفرار الفرار وتوجهت الاعانة فى ذلك وانتظمت الكلمة من هنالك ودخل بعض الناس من سور الجيشية ودخل السلطان ومن معه من باب الحمة وذلك فى ليلة الاحد ثامن عشر شهر رمضان المعظم من العام المذكور •وقصد المولى ابو بكر الى القصبة فقبض عليه وقصد كاتبه الفقيه ابراهيم الى سور الجيشية فاهبط من هنالك وحبس حتى قتل بسبب جرمه بمدينة تونس بعد ان ضرب ضربا كثيرا ثم اخرج الى الناس فجروه حتى مات بين ايديهم • واقام السلطان بقسنطينة بعد اخذ اخيه ازيد من شهر حتى مهد امرها ثم سافر الى حضرته من اخر شوال من سنته ورفع معه اخويه الامير عمر صاحب صفاقس والامير ابو بكر صاحب قسنطينة بعد ان عين لقيادتها مملوكه القائد نبيل وعين لقصبتها الشيخ ابا الفضل ابا القاسم ابن تافراجين التينملى فلازم القصبة وحسنت سيرته بالبلد الى ان سافر رسولا لبجاية •

وفى عام ثمانية وتسعين ازداد للمولى الخليفة المولى الاجل ابو عبد الله محمد المصور وفى العام المذكور فى رجب فرغ من بناء السقاية التى خارج باب الجديد من تونس •وفى هذه السنة خرج المولى ابو العباس احمد ابن المولى ابى عبد الله محمد ابن المولى الخليفة ابى العباس احمد فجاء ببيعة بجاية بعد ان خلع نفسه

وفى شهر رمضان منهذه السنة وثب الاسد على السلطان وهو على فرسه فكاد يخطفه وسلمه الله سبحانه وتعالى وفي سنة احدى وثمانمائة امر السلطان بهدم الفندق الذي كان بباب البحر تباع فيه الخمر وكان مجباه عشرة آلاف فى العام فترك ذالك وامر ببنائه زاوية ومدرسة لطلبة العلم وحبس عليها مايقوم بها وكذلك فعل بفندق قسنطينة ، وفى سنة ثنتين وثمانمائة توفى قاضى الانكحة بتونس الشيخ ابو عبد الله محمد ابن قليل الهم فولى بعده الشيخ المدرس ابو يوسف يعقوب الزغبى ، وفى السنة المذكورة خرج السلطان الى استرجاع توزر من يد ابن يملول فحاصرها حتى اخذها قهرا وقبض على ابن يملول ثم انتقل فى آخر شعبان من السنة المذكورة الى استرجاع قفصة فاقام عليها اياما حتى تمكن منها باستسلام اهلها ودخلها قهرا وقبض على بنى العابد شيوخها المخالفين عنه وهم الاخوة الثلاثة منصور وابوبكر وعلى وذلك فى ثانى شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة وعفا عن اهلها بعد فىء وقع فيها وامر بتخريب سورها وقدم فيها القائد محمد التواسى فى خبر يطول ثم رجع الى الحضرة على ما امل ، وفى اوائل سنة ثلاث تحرك السلطان الى طرابلس واقام محاصرا لها مدة طويلة الى ان تمكن منها برغبة اهلها على يد صلحائها وذلك فى سادس رجب من السنة المذكورة وجعل قائدا من قبله فيها ورجع الى حضرة تونس وفى الرابع والعشرين لجمادى الاخرى من السنة المذكورة توفى الشيخ الفقيه الحجة ابو عبد الله محمد بن عرفة الورغمى ودفن بجبل الزلاج تحت جبانة الشيخ الصالح ابى الحسن المنتصر وكانت ولادته فى عام ستة عشر وسبعمائة فجملة عمره سبع وثمانون سنة واشهر ، ولذلك قال فى ابيات له خمسها فى حياته تلميذه الامام الرملى (I)

علمت العلوم وعلمتها ونلت الرئاسة بل حزتها
وهاك سنينى عددتها بلغت الثمانين بل جزتها

(I) اورد الشيخ احمد بابا هذا التخميس ونسبه للابى نقلا عنه ولذلك تعين تصويب ما هنا

فهان على النفس صعب الحمام

فلم تبق لى فى الورى رغبة ولا فى العلا والنهى بغية
وكيف ارجي واو لحظة واحاد عصرى مضوا جملة

وعادوا خيالا كطيف المنام

ونادى الردى بى اولا لى مغيث وحث المطية كل الحثيث
وانى لراج وحبى اثيث وارجو بها نيل صدق الحديث

بحب اللقاء وكره المقام

فيا رب حقق رجاء الذليل ليحضى بدارك عما قليل
فيمسى رجائى بموتى كفيل وكانت حياتى بلطف جميل

لسبق دعاء ابى فى المقام

وكان رحمه الله اماما فى العلوم صنف فى كثير منها والغالب على كلامه الاختصار واشتغل آخر عمره بالفقه على مذهب الامام مالك رضى الله عنه وكان معتنيا بالمدونة غاية ملازما لنظرها محتجا بها قرا القران العظيم فى صغره على ابن سلامة من طريق الدانى وابن شريح وعلى ابن برال من طريق الدانى وقرا اصول الفقه على ابن علوان واصول الدين على ابن سلامة وابن عبد عبد السلام والنحو على ابن نفيس والجدل على ابن الحباب والفقه على ابن عبد السلام والمعقول على الشيخ الابلى وكان يثنى عليه خيرا هو والشريف التلمسانى وكان مجدا فى الامور الدينية والدنيوية ولى امامة جامع الزيتونة عام ستة وخمسين وسبعمائة حسبما تقدم وابتدا تصنيف المختصر عام اثنين وسبعين وكمله عام ستة وثمانين وحج عام اثنين وتسعين وكان صواما قواما تلاء لكتاب الله عز وجل وكان مجدودا فى دنياه موسعا عليه فيها مالا وجاها

ونفوذ كلمة (1) ولماتوفى تولى بعده الصلاة بالجامع والخطبة والفتيا به بعد صلاة الجمعة نائبه الفقيه القاضى ابومهدى الغبرينى . وفى سنة اربع وثمانمائة تحرك السلطان من تونس الى بسكرة فاقام ببئر الكاهنة مدة حتى دبر امره ثم ارتحل اليها وضاق ادر شيخها احمد بن يوسف ابن مزني ولم يبق له غير الفرار او التسليم فدخل المولى السلطان بسكرة يوم السبت سابع جمادى الاخرى من السنة المذكورة واقام بها مدة ثم انصرف الى حضرته ورفع معه ابن مزنى المذكور وقدم فى البلد قائدا من قواده بعد ان مضت لاولاد ابن مزنى بها المشيخة المستقلة نحو مائة واربعين عاما منها لاحمد هذا اربعون سنة . وفى سنة تسع وثمانمائة تحرك السلطان من تونس بمحلة الى درج وغدامس وفى اثناء سفره امر بالقبض على منفذه وصاحب قلم جبايته الفقيه محمد بن ابى القاسم ابن قليل الهم وعلى ابى محمد عبد الله بن غالية وبعثهما من محلته الى قابس فاركبهما البحر منها الى الحضرة وثقفا بها . وقدم لتنفيذه الفقيه الاحسب ابا العباس احمد ابن القاضى المدرس ابى عبد الله محمد ابن قليل الهم . وفى شهر رمضان المعظم من السنة المذكورة امر السلطان بالقبض على اخوته المولى التريكى والمولى خالد والمولى ابى زيان لما بلغه عنهم وقيدوا واقبض على من شاركهم مثل القائد ابن اللوز وابن ابى عمر . فامر السلطان فقتلا وبعث براسيهما الى تونس وعلقتا بها . وفى السنة المذكورة توفى ببونة الفقيه الشهير الضرير ابو عبد الله محمد المراكشى (2) كان جيد النظم والنثر وله فى فرس حمراء بعث بها اليه المولى ابو يحيى زكرياء ليأتيه عليها فاملى ـ

---

(1) هذه الترجمة منقولة بتصرف عن ابن عقاب مع تقصير انظرها فى ذيل الديباج ص 277 وبالاصل تحريف فى بعض الاعلام اصلح منا عن المصدر المذكور وامامة ابن عرفة شرقت وغربت فى الارض حتى نعت بمجدد المائة الثامنة وترجمته لا يخلو عنها كتاب طبقات ولا ديوان فقه وهو اعظم مفخرة لتونس رحمه الله

(2) ذكره ابن قنفذ فى الوفيات ونعته بالحافظ المفتى محمد بن عبد الرحمان ـ وانه توفى ببونه اخر ذى الحجة 807 والظاهر اعتباره لانه بلديه وهو اعرف به ، ونقله ـ الشيخ بابا كذلك واشار الى لهاجات بينه وبين ابن عرفة

وعدوانية من خير تسبل — تفوق الورد فى حسن احمرار
اتتنى من امير اريحيى — كريم الاصل حفصى النجار
لها نغم ولكن لست أدرى — أفى المزموم ام فى المستعار

فكتب اليه المولى ابو يحيى ما نصه: فى المزموم • وفى عام ثمانية وثمانمائة قدم الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد الابى (1) قاضيا بالجزيرة القبلية • وفى ليلة الجمعة الثانية عشر لربيع الاول من سنة تسع توفى قاضى قسنطينة الفقيه ابو العباس احمد بن الخطيب (2) شارح رسالة الشيخ ابن ابى زيد وشارح جمل الخونجى وغيرها • وفى عام عشرة كانت بين السلطان وبين عرب حكيم وقيعة عين الغدر بين الحامة ونفزاوة وثبت فيها المولى السلطان بنفسه وانهزم اهل محلته فاحتوشتهم العرب نهبا وقتلا ورئيس العرب حينئذ الشيخ المرابط احمد بن ابى صعنونة بن عبد الله بن مسكين • فلما راى السلطان قد ثبت رجع على اصحابه فردهم واتى هو الى السلطان فقبله ورضى عنه •

وفى العام المذكور توفى صاحب قلم العلامة الفقيه ابو عبد الله محمد بن قاسم بن حجر فقدم بعده للعلامة حفيده الفقيه ابو عبدالله ابن ولده قاسم

وفى العام المذكور خرج المولى السلطان من تونس بمحلته للقاء الامير ابى عبد الله محمد ابن عمه المولى ابى يحيى زكرياء • وذلك انه لما هزم الهزيمة الشنعاء فى شهر رمضان المعظم من عام سبعة وتسعين حسبما تقدم ركب البحر من بونة وقصد فاس مستصرخا صاحبها على المولى السلطان ابى فارس • فلما وقع بين السلطان وبين العرب ما وقع سارت طائفة منهم الى صاحب فاس واستصرخوه على السلطان فبعث معهم الامير ابا عبد الله محمد وبعث معه جيشا عظيما من جيش بنى مرين وامرهم الا يرجعوا الى

---

(1) هو من ابرز تلاميذ ابن عرفه شرحه على مسلم من شواهد فضله ولم يذكر هنا الا ولايته هذه وترجمته فى ذيل الديباج ذكر فيها انه توفى بين سنتى 827_828

(2) هو ابن قنفذ صاحب الوفيات والفارسية وغيرهما

بلادهم الا باذنه حين لا تبقى له بهم حاجة . فجاءوا معه الى ان وصلوا الى اطراف عمالة بجاية فوفد على الامير ابى عبد الله محمد هنالك عرب افريقية واتوه طاعتهم ووفد عليه شيخ حيكم المرابط وهون عليه امر افريقية فلما راى الامير محمد وفود العرب عليه وكثرتهم امر جيش بنى مرين فانصرفوا وسار مع العرب فلقيه القائد ابو النصر ظافر بمحلته . وكان السلطان ابو فارس لما بلغه مجيء الامير ابى عبد الله محمد خشى على بجاية فعقد عليها لاخيه المولى زكرياء صاحب بونة وصرفه اليها وعزل عنها القائد ظافر وامره بالخروج بالمحلة للقاء الامير ابى عبد الله محمد فالتقيا فهزمه الامير ابو عبد الله محمد واخذ محلته بجميع ما فيها ، ثم سار الامير ابو عبد الله محمد لبجاية فقام اهلها على الامير ابى يحى زكرياء واخرجوه منها فركب البحر فارا وملك الامير ابو عبد الله محمد بجاية وعقد عليها لولده المنصور وسار للقاء المولى السلطان ابى فارس صاحب تونس ومن معه من العرب فمر المولى ابو فارس ببجاية فاخذها بمداخلة بعض اهلها بعد ان قاتلها اياما وانطلقت ايدى العيث فى ديار اهلها فانتهبوها وقبض السلطان ابو فارس على الامير محمد المنصور وعلى كبار البلد كالاشبيليين فبعث بهم الى الحضرة واعتقلوا بها وعقد على بجاية صاحبها كان المولى ابى العباس احمد ابن اخيه المولى ابى عبد الله محمد وخرج للقاء الامير ابى عبد الله محمد . فلما التقى الجمعان تحول شيخ العرب المرابط عن الامير ابى عبد الله محمد وتركه لعهد كان بينه وبين السلطان على ذلك فانهزم من كان مع الامير ابى عبد الله محمد وفر هو بنفسه طالبا النجاة فلحقه خيل السلطان بموضع يقال له بتيتة جوفى بلد تامغزة فقتلوه ودفنت جثته هنالك فقبره معروف بذلك الموضع الى الان واحتز راسه واتوا به الى السلطان ابى فارس فبعث به رجلا من رجال الطريق يقال له المحمصى الى مدينة فاس فعلقه ليلا بباب المخروق بها فاصبح اهل فاس يتوارونه ، وكان قتله فى اوائل المحرم عام اثنى عشر . وفى عام ثلاثة عشر اخذت الجزائر على صلح من اهلها ......

وفى يوم السبت السابع والعشرين لربيع الثانى من العام المذكور توفى الشيخ الفقيه القاضى بتونس قاضى الجماعة الخطيب المدرس ابو مهدى عيسى

الغبريني (1) ودفن بالزلاج وقدم بعده قاضيا قاضى الانكحة كان الفقيه العالم ابو يوسف يعقوب الزغبى قاضيا خاصة وقدم للامامة والخطابة والفتيا بجامع الزيتونة الشيخ الفقيه الحافظ الحاج ابو القاسم البرزلى وقدم لقضاء الانكحة والتدريس بمدرسة عنق الجمل الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد القلجبانى وقدم عوض الفقيه محمد المذكور قاضيا بقسنطينة ولده الشيخ الفقيه الحافظ ابو العباس احمد .

وفى عام اثنين وعشرين امر المولى السلطان بعمل بيت الكتب بمجنبة الهلال جوفى جامع الزيتونة تحت الصومعة وفرغ منها فى اواخر ربيع الآخر من العام المذكور وهبط اليها جميع ما عنده من الكتب وجعل لها خدمة وامر ان تحل كل يوم من اذان الظهر الى صلاة العصر وحبس عليها احباسا لما تحتاج اليه

وفى عام اربعة وعشرين توفى الامير اسماعيل صنو السلطان ودفن بجبانة سيدى ابى سعيد الباجى بالمرسى

وفى العام المذكور عزل المولى السلطان صاحب باجة المولى ابا البقاء خالد عنها وعقد عليها لولده المولى المعتمد وصرفه اليها

امتداد سلطان تونس الى المغرب والاندلس

وفى عام سبعة وعشرين وثمانمائة افتتح المولى السلطان مدينة تلمسان فى المرة الاولى وملكها من يد صاحبها السلطان عبد الواحد ابن السلطان ابى حمو الزناتي لماسمع عنه ان سيرته غير محمودة وبعث اليه ونهاه فلم ينته، فلما وصلها السلطان ابو فارس وانكسر ولد السلطان عبد الواحد وفر هاربا لابيه علم ابوه ان لاطاقة له على المقابلة فخرج من تلمسان فارا بنفسه الى الجبال

(1) هو اكبر اصحاب ابن عرفة واجلهم له ترجمة بذيل الديباج تنم عن فضل كبير غير انه تردد فى نقول تاريخ وفاته بين سنتى 815 _ 816 وما هنا اثبت

ودخل السلطان ابو فارس تلمسان واستقر فى قصبتهـا واستـولى على جميع ما فيها وذلك فى ثالث عشر جمادى الاخرى من عام سبعة وعشرين المذكـور فبقى بها مدة مقيما ثم نظر من يقلده امرها فاختار لهـا الامير محمد ابن السلطان ابى تاشفين ابن السلطان ابى حمو الزناتى ٠ فعقد له عليها ثم ارتحل قاصدا مدينة فاس حتى لم يبق بينه وبينها الا مسيرة يومين فوجه له صـاحب فاس ان البلاد بلادكم والسلطنة سلطنتكم وجميع ما تامروننا به نمتثله ٠ فقبل السلطان ابو فارس كلامه ووجه له هدية عظيمة كافاه عليها باكثر منها وقفل راجعا الى حضرة تونس غانما منصورا ولحقته بيعة فاس ثم بيعة صاحب الاندلس فصارت البلاد الافريقية والمغرب الاقصى والاوسط كلهما تحت نظره وفى ملكه

حرب مع الكتالونيين ومثل في الوفاء

وفى عام سبعة وعشرين المذكور بعث سلطان النصارى القطلانى رسولا من قبله الى حضرة تونس برسم التحدث فى الصلح فوجد الرسول السلطـان ابـا فارس بالمغرب فبعث الغراب الذى جـاء فيه لسلطـانه اخبره بغيبة سلطـان تونس فبعث له الغراب وقال له ارجع فى الحين فرجع فى الغراب فوجه عمـارة عددها خمسون جفنا وقصدوا قرقنة ونزلوها ليـلا على حين غفلة من اهلهـا والنصارى نحو العشرة الاف مقاتل والمسلمون نحو الفين ما بين رجال ونساء والاولاد والجزيرة ليس فيها بلد ولا حصن يمنعون فيه فوقفوا وقاتلوا عن انفسهم وحريمهم وقتلوا من النصارى نحو اربعمائة نفس وقتل منهم نحو مائتين ٠ ثم اخذ باقيهم واستولت النصارى على الجزيرة ٠ وكان السلطان قد انصرف من المغرب فلما وصل الى قفصة بلغه العلم بالعمـارة فجد السير الى ان اتفق وصوله ووصول النصارى لصفاقس فطلبوا من السلطان الامان لينزلوا ويتحدثوا فى فدية المسلمين فاعطاهم الامـان ونزل منهم نحو ستمـائة نفس من كبـارهم فاعطاهم السلطان خمسين الف دينار فدية فابوا فاتى المرابط ابن ابى صعنونة

السلطان وقال له ــ النصارى خانوك فانهم بعثوا رسولهم للصلح وفعلوا مافعلوا وليس لخائن امان فالرأى عندى والصواب القبض على هؤلاء حتى يردوا المسلمين ــ فقال ــ لا لئلا يتحدث الناس انى خائن نعطى الامان ونخون نعوذ بالله من ذلك ــ فقال له المرابط ــ اذا لم تفعلها انت نفعلها انا تمشى انت للصيد وانا ناخذهم فى غيبتك ــ فنهاه وطلعوا لاجفانهم على الامان وسافروا بالمسلمين لبلادهم

وفى ذى القعدة من عام ثلاثين بعث المولى السلطان ابو فارس رئيس الدولة ابن عبد العزيز صحبة الامير الهمام المنتصر ابن المولى الخليفة ابى عبد الله محمد المنصور برسم القبض على رئيس قسنطينة الحاج ابى عبد الله محمد الدهان لما بلغه عنه من العتو والطغيان واقتناء الاموال ومعارضة ولاة الامر وعدم الانقياد لهم فمضيا فى الرابع عشر لذى القعدة المذكور واظهرا عزل القائد جاء الخير عن البلد بتقديم المولي المستنصر فخرج الحاج الدهان مستبشرا برسم لقائهما فقبضوا عليه خارج البلد وعلى اصحابه وقدموا الجميع على السلطان بتونس فاعتقلوا بالقصبة

، وفى عام اثنين وثلاثين وثمانمائة عمر السلطان من تونس اسطولا كبيرا وبعثه الى جزيرة مالطة وامر عليه مملوكه القائد رضوان وامره ان ينازلها ثلاثة ايام فان اخذت والا رحل عنها فنازلها وضيق عليها الحصر ثم اقلع عنها بعد ان اشرف على اخذها

وفى العام المذكور توفى الامير ابن حفص عمر اخو السلطان ودفن بالزلاج خارج باب علاوة وله اشغال عظيمة فى مدح سيدنا ومولانا المصطفى صلى الله عليه وسلم

وفى حدود العام المذكور بعث المولى السلطان عسكرا صحبة قائد قسنطينة القائد جاء الخير الى تلمسان لما بلغه عن صاحبها الامير محمد ابن السلطان ابى تاشفين من العتو والاستبداد وقطع اسم المولى السلطان من الكتب والخطبة وبعث مع جمعهم السلطان ابا محمد عبد الواحد الذى كان صاحبها وكان قدم

لتونس بعد فراره من بين يديه حين ملك تلمسان . فلما وصلوا خرج الامير محمد بجيشه فالتقى بهم وهزمهم فسار السلطان ابو محمد عبد الواحد الى الجبال واستصرخ باعرابها واتى بهم الى تلمسان فملكها وبعث بيعتها للسلطان بتونس وخرج الامير محمد ابن السلطان ابى تاشفين فارا بنفسه الى الجبال

وفى الثامن والعشرين لجمادى الاخرة من سنة ثلاث وثلاثين قتل الذواودة قائد قسنطينة جاء الخير فى معركة كانت بينهم فعقد عليها السلطان لمملوكه محمود فدخلها فى ثانى عشر رجب من عامه . وفى العام المذكور قتل صاحب طرابلس نبيل ابن ابى قطاية شيخ حكيم المرابط ابن ابى صعنونة بصحراء طرابلس وبعث براسه .

وفى عشية يوم الاحد الثانى والعشرين من رجب العام المذكور مات المولى الاجل ولى عهد الخلافة ابو عبد الله محمد المنصور ابن المولى ابى فارس بوطن طرابلس وحمل الى تونس ودفن بالتربة المجاورة لتربة سيدى محرز بن خلف وفى آخر شوال من السنة المذكورة توفى الشيخ العالم الفقيه احمد الشماع (1) قاضى المحلة والخطيب بجامع القصبة وتولى بعده الخطابة والقضاء الفقيه الورع الافضل ابو عبد الله محمد المسراتى

وفى السادس لذى الحجة من العام المذكور توفى قاضى الجماعة بتونس الفقيه ابو يوسف يعقوب الزغبى (2) ودفن بالزلاج فقدم بعده لقضاء الجماعة الفقيه العدل المدرس ابو القاسم بن سالم الوشتاتى القسنطينى فى شهر رمضان المعظم من عام اربعة وثلاثين .

وفى اواخر العام المذكور عزل المولى السلطان ولده المولى المعتمد عن بجاية وعقد عليها لمملوكه القائد ابى النعيم رضوان وسببه انه لما بلغه وفاة اخيه

---

(1) ليس هذا صاحب التاريخ المعروف وانما هو ابنه احمد ايضا وسياتى له ذكر بعد انظر ص 148 تاريخ ابن الشماع علاقة والده المتوفى بالامير المنصور قبله ووفاته اثره

(2) ترجمه فى ذيل الديباج ونقل مناظره بينه وبين الحفيد ابن مرزوق ص 349

المولى ولي العهد طمع في ولاية العهد بعده فجاء في محلة عظيمة من بجاية لتعزية والده فوجد المولى المنتصر قد اخذ موضع والده فامر السلطان ولده بالانصراف الى بلده فتلكا عن العودة فامر السلطان بثقافه وحمله الى تونس واعتقله بالعلو الكائن بسقيفة سانية باردو •

وفي العام المذكور خرج من تونس السلطان بعساكره قاصدا تلمسان لما بلغه ان الامير محمد ابن السلطان ابى تاشفين دخل تلمسان على عمه ابى محمد عبد الواحد وقتله وملك تلمسان فسار المولى السلطان بعساكره حتى نزل على تلمسان واخذ بمخنقها وحاصرها اشد الحصار • فلما علم الامير محمد ان لا قوة له على القيام في البلد واشتد عليه الحصار خرج ليلا هاربا الى جبل بني يزناتن ولما اصبح اهل البلد فتحوا الباب ودخلها بمن معه وبعث القائد نبيل ابن أبي قطاية في عسكر الى الجبل وحاصرهم الى ان طلبوا منه الامان على ان يمكنوه من الامير محمد فانزلوه الى المولى السلطان فعفا عنهم وقبض عليه واعتقله ثم نظر من يقلده أمر تلمسان فوقع اختياره على الامير أحمد بن السلطان أبي حمو موسى بن يوسف الزناتي فعقد له عليها وانزله بها وقفل راجعا الى حضرته في سنة خمس وثلاثين وثمانمائة وحمل معه الأمير محمد بن السلطان أبي تاشفين واعتقله بقصبة تونس وبقي بها الى ان هلك في سنة اربعين •

وفي العشر الاول من ذى الحجة من السنة المذكورة سنة خمس وثلاثين نزل طاغية النصارى ملك ارغون القطلاني على جزيرة جربة في امم لا تحصى وكان المولى السلطان نازلا بعمرة بمحلته فبلغه الخبر فارتحل في الحين ووجد العدو قد قطع القنطرة فنزل بمحلته خارج الجزيرة مما يلي القنطرة وكان بعث قبل نزول العدو عسكرا صحبة قائد من قواده ليحفظ الجزيرة ويمنع العدو من النزول اليها فكان المولى السلطان بعساكره خارج الجزيرة والعسكر داخلها والعدو في البحر على طرف القنطرة وقد جعل بينه وبين المسلمين سورا من الخشب وكان المولى ابو فارس يجلس كل يوم بطرف القنطرة مع اصحابه ويجعل بين يديه القائد نبيل بجيش معه للقتال فاذا خرج احد من المسلمين جيء به

الى السلطان فاحسن اليه فاخبر العدو بذلك وبان اصحابه ينصرفون عنه لماربهم فى وقت القائلة ولا يبقى الا الخواص فبعث عدة سفن احاطت بالقنطرة فى القائلة وارادت القبض على السلطان ومن معه فركب السلطان وسلمه الله واستشهد بعض من كان معه مثل القائد محمد ابن شيخ الموحدين ابن عبد العزيز وانظاره واحاط العدو بالميدان وما فيه واخذه (1) ثم ان بعض اهل جربة قدموا على المولى السلطان واخبروه بان للجزيرة طريقا غير القنطرة فى البحر فبعث معهم عسكرا ادخلوه الجزيرة فلما راى العدو العسكر دخل الجزيرة من غير القنطرة ايقن بالخيبة فاقلع باساطيله عن الجزيرة خائبا وكانت اقامته عليها سبعة وعشرين يوما واصلح مولانا السلطان القنطرة وارتحل سالما .

وفى يوم الثلاثاء الحادى عشر لربيع الثانى من سنة سبع وثلاثين توفى بتونس قاضى الانكحة الفقيه ابو عبد الله محمد القلجانى (2) ودفن بالزلاج وتولى بعده قضاء الانكحة ومدرسة عنق الجمل ولده ونائبه الفقيه عمر .

وفى السنة المذكورة توفى الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن قليل الهم الذى كان منفذا وقبض عليه .

وفى ايام التشريق من السنة المذكورة توفى بتونس الشيخ الفقيه ابو القاسم بن موسى العبدوسى (3) ودفن بالزلاج

وفى صبيحة عيد الاضحى من سنة سبع وثلاثين توفى المولى السلطان ابو فارس عبد العزيز فجاة بموضع يعرف بولجة السدرة وبه عين تسمى عين الزال بقرب جبل وانشريس من عمل تلمسان وذلك بعد ان تطهر وجلس ينتظر وقت الخروج لصلاة العيد وذلك انه لما رحل عن جربة بعد انصراف العدو

---

(1) المتأمل فى هذه الواقعة على قلة اهميتها يدرك فقد حكمة القيادة فى تلك العصور ولو مع توفر الشجاعة لان الحرب العاملة اذاك كانت حرب غارات والاكيف ساغ اتخاذ مركز القيادة فى نقطة محصورة مكشوفة حتى يأخذها العدو ويكاد يأخذ القائد ولولا ان الله انجد هذه البلاد بعد ذلك بخير الدين لاخذت نهائيا

(2) انظر التعليق فى ص 125

(3) هو عبد العزيز بن موسى بن معطى الوافد من المغرب الفقيه المغربى المنفرد بقوة الحفظ وغرابة المنزع فى التعليل والتفريع له ترجمة حافلة بذيل الديباج وفيه انه كان يدرس بجامع القصر وتهافت عليه الناس ومنع السلطان التشويش عليه

عنها اعطى للجند عطياتهم وجرد حركته وسار متوجها الى تلمسان لما بلغه عن صاحبها الامير احمد بن السلطان ابى حمو موسى بن يوسف الزناتى من التحدث فى الاستقلال كعادة اسلافه فادركته منيته قبل الوصول اليها فكانت مدة خلافته بتونس احدى واربعين سنة واربعة اشهر وسبعة ايام وترك من الولد الذكور اربعة

دولة المنتصر الحفصي

ولما توفى رحمه الله فجاة اخبر بموته ولى عهده حفيده المولى ابو عبد الله محمد المنتصر فامر بكتم ذلك وخرج وصلى صلاة العيد ورحل بالمحلة راجعا الى حضرة تونس واشاع فى الناس ان السلطان اصبح مريضا ورفع فى محفة واخبر المولى المعتمد ان والده مات فخرج فارا من المحلة فبعث ولى العهد فى طلبه فاتى به واعتقل وكحلت عيناه بالنار واظهر موت السلطان وبويع لولى عهده المولى السلطان ابى عبد الله محمد المنتصر ابن الامير الشهيد أبى عبد الله محمد المنصور ابن مولانا امير المؤمنين ابى فارس عبد العزيز ابن الخلفاء الراشدين امه ام ولد علجية اسمها ريم وبويع بالمحلة على رضى من الناس واظهر موت جده الخليفة وامر بغسله وتكفينه ثم بعثه الى حضرة تونس ودفن بها بازاء قبر والده بالتربة المجاورة لسيدى محرز بن خلف ورحل بمحلته متوجها الى حضرته ، ولما وصل الى مسيلة وردت عليه هنالك بيعة قسنطينة وعقد على بجاية لعمه المولى ابى الحسن على ابن المولى الخليفة ابى فارس عبد العزيز وصرفه اليها وسار بمحلته الى ان وصل الى قسنطينة فوردت عليه هنالك بيعة الحضرة فاستبشر بها وقرئت بمحضر الملا بجامع قسنطينة ثم عقد على قسنطينة لشقيقه المولى ابى عمر وعثمان وامره بدخولها فدخلها واليا فى ثالث عشر ذى الحجة من عام سبعة المذكور وعزل عنها قائده محمودا ، وفى غرة المحرم من عام ثمانية وثلاثين وثمانمائة رحل المولى السلطان المنتصر بمحلته من ظاهر قسنطينة متوجها الى تونس فلما وصل الى تيفاش قبض على اخيه لابيه المولى ابى الفضل وعلى من كان يخدمه ويواليه وفر اكثرهم طلبا للنجاة

واخذ بعضهم بعد حين ، ولما قبض عليه تخوف على الحضرة من الشيخ ابن عبد العزيز اذا بلغه اخذ حفيده ابن ابنته الامير ابى الفضل واخذ ولده محمد معه فوجه قائدء ابا الفهم نبيل وابا الثناء محمود فى عسكر الى الحضرة فوجدا شيخ الموحدين ابن عبد العزيز قد اغلقها لما بلغه ما فعل بحفيده وابنه ورتب الرجال على الابواب والاسوار ثم اعمل التدبير فى الخروج عنها فخرج منها عشاء هو واولاده وبعض من يخدمه فارين بانفسهم ودخل القائدان الحضرة بعد صلاة العشاء الاخيرة وانتهب من جاء معهما من الغوغاء ديار الشيخ ابن عبد العزيز وديار اولاده ومن يخدمه واعتقلا من حصل فى ايديهما من خدامه ثم اخبرا بان الشيخ ابن عبد العزيز ومن معه نزلوا عند ديار القاطنين بالجزيرة ما بين وادى الرمل وسوسة واقبضوا عليهم فخرج من تونس القائد نبيل فتمكن منهم وادخلهم لتونس بمشهد من الملا واعتقلهم بالقصبة الى ان هلكوا بها ثم ورد السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر الى حظرته تونس فخرج اهلها للقائه واتوه ببيعتهم فدخلها فى بروز عظيم يوم عاشوراء سنة ثمان وثلاثين المذكورة وجددت له بها البيعة واطلق بعض اهل السجون وتصدق باموال كثيرة على الفقراء والمساكين وطلبة العلم وقدم على مشيخة الموحدين الشيخ ابا عبد الله محمد ابن الشيخ ابى العباس احمد ابن الشيخ الوزير ابراهيم ابن هلال ، وجعل لخطة علامته كاتبها لجده الفقيه ابا عبد الله محمد بن قاسم ابن حجر وجعل لقلم جبايته وتنفيذه صاحبه وسميره الفقيه ابا عبد الله محمد ابن قليل الهم واوقف بين يديه مزوارا الحاج ابا عبد الله محمد الهلالى وجعل فى كل خطة من يليق بها • والاول ولايته فى عام ثمانية وثلاثين امر ببناء المدرسة الكائنة بسوق الفلقة (1) من تونس وبناء السبالة الكائنة بداخل باب ابى سعدون من تونس ايضا سبيلا للناس والدواب

وفى العام المذكور خرج المولى السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر بجيش عظيم من حضرته برسم تفقد بلاده وتهدين اوطانها فسار الى ناحية قفصة فى طريقه ودخل قفصة مريضا وبقى بها اياما وامر بصدقة مال على الفقراء والمساكين وطلبة العلم ففرق عن امره اياما • ثم فر من المحلة الامير ابو يحيى زكريا.

---

(1) هى المدرسة المنتصرية الكائنة بنهج الوصفان قرب سوق النحاس

ابن الامير ابى يحيى زكرياء ابن الامير ابى عبد الله محمد ابن المولى ابـــى يحيى زكرياء صاحب بونة ولحق بالعرب واستقر عند اولاد ابى الليل هو واخوه فاجتمعوا عليهما ولما بلغ ذلك السلطان بعث قائدا بعسكر لمبادرة حفظ تونس ورحل هو بمحلته وهو مريض من قفصة راجعا الى حضرته فدخلها فى اواسط العام المذكور وكان قد بعث لشقيقه الامير عثمان لقسنطينة ليقدم عليه فقدم عليه وترك نائبا عنه بقسنطينة مزواره القائد ابا على منصور المعروف بالمزوار ثم صرفه عنها وعقد عليها لقائده الكبير نبيل ابن ابى قطاية وصرفه اليها وامره بحفظها ، ثم ان المولى السلطان جدد حركته من حضرته وفرق اموالا فى عسكره وعقد عليها لشقيقه المولى ابى عمر وعثمان للقاء العرب وسلطانهم فبادره العرب قبل كمال تعبئته وقبل لحوق باقى عسكره بمقربة من جبل الريحان ووقعت بينهم معركة قتل فيها بعض اصحابه كالفقيه ابن حجر ، وسار المولى ابو عمرو عثمان للاجتماع باولاد مهلهل فاجتمعوا عليه فرجع بهـم فى طلب اولاد ابى الليل وسلطانهم فوجدهم قد حاصروا مدينة تونس ونزلوا بسبخة باب خالد والمولى ابو عبد الله محمد المنتصر يتكلف الركوب كل يوم وهو مريض ويخرج بجيوشه اليهم وهو مريض مع اهل تونس فيقاتلهم بالسبخة . فلما احسوا بقدوم الامير ابى عمرو عثمان مع اولاد مهلهل اقلعوا عن الحضرة خائبين والتقوا به فوقعت بينهم معركة خاب فيها ظنهم وانصرفوا ودخل الامير ابو عمـرو الحضرة فازاح العلل ، وبلغ السلطان ان العرب قد عسكروا مع سلطانهـــم بظاهر القيروان وانهم ارادوا الرجوع لحصار الحضرة فاخرج اليهم اخاه ابا عمرو عثمان بجيش عظيم فلقيهم بموضع يعرف بالكروية بمقربة من تونس فقتـل منهم خلقا كثيرا واخذت رحالهم وانصرفوا فارين على وجوههم خائبين ورجع المولى ابو عمرو عثمان بجيشه الى الحضرة منصورا ظافرا ولما راى الامير ابـو يحيى اختلال امر اولاد ابى الليل خاف على نفسه وعلى اخيه وانصرف عنهم ولحق بالذواودة فاجاروه ووفد معه شيخهم عيســى بـن محمـد الى تـونس فقبل المولى السلطان شفاعته فيه وفى اخيه وعفا عنهما فبقى بتـونس الى ان قبض عليهما بعد ذلك قبيل موت السلطان المنتصر لما اشتد مرضه فاعتقلا ثـم هلكا

وفى السادسة عشر لصفر من سنة تسع وثلاثين وثمانمائة توفيت والدة

السلطان ودفنت بالدار الكائنة قرب دار سيدى محرز

وفى ليلة الجمعة الثانى عشر من صفر من السنة المذكورة توفى بسانية باردو المولى المنتصر الخليفة من مرضه المتقدم وصلى عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة ودفن بالدار التى بها جده الخليفة ووالده فكانت خلافته من وفاة جده سنة واحدة وشهرين واثنى عشر يوما

الدولة العثمانية وهى منتهى الاوج الحفصى

وبويع صبيحة يوم وفاته شقيقه المولى السلطان العالم الشهير ابو عمرو عثمان ابن المولى الامير ابى عبد الله محمد المنصور ابن امير المؤمنين ابى فارس عبد العزيز ابن الامراء الراشدين امه ام ولد علجية اسمها ريم كما تقدم فى اسم اخيه ، ولد فى السابع والعشرين من شهر رمضان سنة احدى وعشرين وثمانمائة ، وبويع بتونس على رضى من الخاصة والعامة صبيحة يوم الجمعة الثانى عشر من صفر عام تسعة وثلاثين وثمانمائة وصلى بقية يومه صلاة الجمعة بجامع الزيتونة وتفرغ الامر اليه ووقف بين يديه من كان واقفا بين يدى اخيه المولى المرحوم محمد المنتصر وظهرت الدولة الحفصية فى ايامه اتم ظهور

ذكر رجال دولته (1)

اولهم حاجبه وحاجب اخيه ورئيس الدولتين الشيخ المعظم ابو عبد الله محمد بن ابى العباس احمد ابن الشيخ الوزير ابى اسحاق ابراهيم ابن ابى هلال

(كاتب قلم جبايته وتنفيذه) الفقيه ابو عبد الله محمد ابن قليل الهم

(1) ذكر المؤرخ هنا الوظائف العليا للدولة وكانت مشابهة يومئذ لانظمة المغرب والاندلس ، واولها الحجابة ويقال لصاحبها رئيس الدولة وشيخ الموحدين ، وله غالبا قيادة الجيوش وهو كالوزير الاكبر ، ثم كتابة قلم الجباية والتنفيذ او الاشغال وهى بمثابة وزارة المال والداخلية ، ثم كتابة العلامة ومتقلدها كصاحب الطابع ويتبعها ديوان الانشاء ، والمزوار من الزيارة كصاحب التشريفات ، والقضاء العام ، وقاضى الانكحة خاص بالاحوال الشخصية ، واما الفتيا بجامع الزيتونة فلا علاقة لها بالقضاء للقاعدة الفقهية فى منع الافتاء للحاكم وانما هى فتيا للعموم كتابة ـ هذه اهم وظائف الدولة العليا فى ذلك العصر ، وهناك وظائف دونها كحاكم المدينة ، وديوان البحر ، ودار المختص ـ ملك الدولة ـ وغير ذلك

ثم الفقيه الامجد الاسعد ابو العباس احمد ابن الشيخ الحاج ابى اسحاق ابراهيم البسليماني وطلب الاستعفاء في آخر عمره وعوفي وقدم الفقيه الاجل ابو عبد الله محمد الزواغي سادس عشرين جمادى الاخرى من عام سبعة وثمانين وثمانمائة

(كاتب علامته) الفقيه ابو عبد الله محمد بن قاسم ابن حجر ثم الفقيه محمد التواسى ثم الفقيه الكاتب المكرم ابو على عمر بن قليل الهم ثم ناب عنه ولده ابو الغيث واخر لعدم قيامه ثم الفقيه ابو البركات ابن عصفور ثم الفقيه ابو عبد الله محمد البونى

(مزواره) الحاج ابو عبد الله محمد الهلالى ثم الشيخ ابو عثمان سعيد الزريزر ثم القائد ابو على منصور الملقب بالمزوار ثم ابو اسحاق ابراهيم بن احمد الفتوحى ثم عبد العزيز ولده

(قضاة الجماعة بحضرته) الفقيه الاجل ابو القاسم بن سالم الوشتاتى القسنطينى ثم الشيخ الفقيه ابو على عمر القلجانى ثم الفقيه الاجل المكرم ابو عبد الله محمد الحزامى (1) المشتهر بابن عقاب ثم الشيخ الاجل ابى العباس احمد القلجانى ثم حفيده الشيخ المعظم ابو عبد الله محمد القلجانى ثم الشيخ لفقيه الاجل ابو عبد الله محمد ابن ابى القاسم الرصاع ثم الشيخ الفقيه المكرم ابو عبد الله محمد الوشتاتى

(قضاة الانكحة بحضرته) الشيخ ابو حفص عمر القلجانى ثم الشيخ العالم الكبير ابو محمد عبد الله البحيرى ثم الفقيه المكرم ابو العباس احمد القسنطينى ثم الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الزنديوى ثم ولده الفقيه ابو الحسن ثم الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد الرصاع ثم الشيخ الفقيه ابو محمد عبد الرحيم الحصينى ثم ولده الفقيه ابو الحسن

(المفتيون بجامع الزيتونة) الشيخ ابو القاسم البرزلى الشيخ ابو القاسم الوشتاتى القسنطينى الشيخ الفقيه القاضى ابو حفص عمر القلجانى الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب) الشيخ الفقيه القاضى ابو محمد عبد الله البحيرى الشيخ الفقيه القاضى ابو العباس احمد القلجانى ثم حفيده الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد ابن شقيقه ابى حفص عمر ثم الشيخ ابو عبد الله محمد الرصاع

ذكر ما احدث في ايامه من الحسنات منها بناوه للمدرسة والزاوية تحتها بالدار المعروفة بدار صولة جوار دار الشيخ الصالح سيدى محرز بن خلف

---

(1) كذا الاصل وفى ترجمته بذيل الديباج « الجذامى » وهو اشبه بالصواب

والسقاية بازائها ، ومنها كماله للمدرسة التى بدا بناءها اخوه السلطان المنتصر بسوق الفلقة من تونس ، ومنها بناؤه للميضات الضخمة التى بدرب ابن عبد السلام جوفى جامع الزيتونة وامر بتسخين الماء فيها فى زمن الشتاء ومنها بناؤه للسبالة شرقى صومعة جامع القصبة سبيلا للعطاش والدواب ، ومنها بناؤه للمصاصة شرقى جامع الزيتونة يشرب منها العطاش من جعاب نحاس يجذب منها الماء بالنفس ، ومنها امره بالسبيل قرب المارستان ينتفع به من بجواره لقلة الماء هنالك ، ومنها بناؤه للساقية بازاء باب الجبيلة بين بابى برج الاونقى بتونس وجلب الماء لذلك من ام الوطا خارج مدينة تونس ، ومنها اقامته للخزانة التى للكتب وبناؤه بمقصورة سيدى محرز بن خلف شرقى جامع الزيتونة وحبس فيها من الكتب من غير ما فن العلوم الشرعية واللغة والطب والتاريخ والحساب وغير ذلك ، ومنها بناؤه لزاوية الفندق (1) فوق غابة شريك قبلى جبل زغوان جعلها ملجا لمبيت الواردين من ناحية تونس او من ناحية القيروان ، وكذلك بناؤه للزاوية المعروفة بعين الزميت بين مدينة تونس باجة وتحبيسه عليها ما يقوم بها وزاوية ابى الحداد وزاوية المنهلة (2) وزاوية قرناطة بالمكان المعروف بين قفصة وتوزر وزاوية بسكرة وزاوية التومى وغير ذلك

وفى اول ولايته امر باحداث المدرسة والزاوية التى بدار صولة وقدم فيها مدرسا الشيخ محمد الزنديوى وامر باكمال المدرسة التى بسوق الفلقة وقدم فيها مدرسا الفقيه القاضى ابا عبد الله محمد بن عقاب وحبس على كل واحدة ما يقوم بها

ولما استقام له الامر فر عم ابيه الامير المدرس ابو عبد الله محمد الحسين ابن المولى الخليفة احمد من تونس ليلا هو وبعض اولاده ولحق باولاد ابى الليل وكانوا بقرب من الحضرة فوقع بسبب ذلك تشويش بالحضرة واوطانها وغلا السعر وتخوف الناس من اجلاب العرب به على الحضرة فبعث المولى السلطان الى العرب وتوعدهم على ذلك ان فعلوه فقبضوا عليه وعلى من معه واتوا به الى السلطان فاعتقلهم بالقصبة فهلك هو فى ربيع الثانى من عام تسعة وثلاثين وثمانمائة (3) وبقى اولاده الى ان عفا عنهم بعد ذلك

(1) الاقرب انها زاوية سيدى ناجى المهيرى

(2) يقرب ان يكون مصحفين عن : سيدى عثمان الحداد ، والمنيهلة

(3) لـه ترجمة بذيل الديباج

فاطلقهم وقدم عوض عم ابيه المذكور مدرسا بمدرسة الشماعين قاضي الجماعة حينئذ الفقيه ابا القاسم القسنطيني ، ثم انه قبض على مزواره الحاج ابى عبد الله محمد الهلالي وذلك فى آخر جمادى الاولى من العام المذكور وقدم عوضه مزوارا الشيخ ابا عثمان سعيد الزريزر

وفى اوائل جمادى الاولى من السنة المذكورة صرف الشيخ الفقيه القاضى ابا العباس احمدالقلجانى عنقضاء قسنطينة وقدم عوضه الشيخابا عبداللهمحمد الزنديوى ولما قدم الشيخ الفقيه احمد القلجانى لتونس قدم مدرسا بالمدرسة الجديدة قرب دار سيدى محرز

ثم ان عرب افريقية اولاد ابى الليل ومن انضاف اليهم افسدوا فى جميع الاوطان واخافوا السبل فبعث اليهم المولى السلطان ينهاهم فتثاقلوا بالمطاليب لهم ولمن معهم وتمادوا على غيهم فجهز المولى السلطان عساكره واخرج مضاربه للمستقرية فى شعبان من سنة تسع وثلاثين فانفوا اذ خرج بمضاربه ولم يسعفهم بمقصودهم وعزموا على الهجوم على المحلة قبل كمال جيشها فبلغ ذلك السلطان فامر بادخال مضاربه كلها الى تونس ونزل العرب سبخة باب خالد محاصرين للحضرة فى اوائل شهر رمضان فكان المولى السلطان يخرج اليهم باهل حضرته وجيوشه ويقاتلهم بالسبخة بنفسه وظهرت منه شجاعة ودفع فى نحر الاعتداء ما يقصر عنه الوصف الى ان انصرف عنه العرب خائبين بعد قتل كثير منهم ، ولما بلغهم ان اولاد مهلهل ومن انضاف اليهم عزموا على لقائهم فى نصرة امير المؤمنين افرجوا عن تونس والتقوا معهم بالكرومة وخرج السلطان بمن معه من الحضرة فى طلبهم فوقعت معركة عظيمة قتل فيها خلق كثير وفروا على وجوههم طالبين النجاة

وكان صاحب بجاية الامير ابو الحسن ابن المولى الخليفة ابى فارس عبد العزيز قد دعا لنفسه ببجاية وبويع بها لما بلغه موت الخليفة ابى عبد الله محمد المنتصر فلما انصرف اولاد ابى الليل عن الحضرة خائبين وفدوا عليه واستدعوه الى الحضرة فاجابهم ونازل معهم قسنطينة فحاصرها وضيق عليها نحو شهر يغاديها القتال ويراوحها فوقف له قائدها نبيل وقاتله ومنعه عنها فرحل خائبا قاصدا للحضرة ومعه شيخ الذواودة عيسى بن محمد ، وكان المولى السلطان خرج بمحلته للقائه ووفد عليه سباع بن محمد

شيخ الذواودة فكان فى جملته وقدم المولى السلطان بين يديه قائده محمود يحشد الحشود من الحنانشة وقرفة فورد عليه اصحاب الامير ابى الحسن فحملوه اليه فبايعه ووقف معه واشار عليه بمناجزة المولى السلطان الحرب قبل كمال عساكره وقبل قدوم العرب عليه وكان ابو النظر ابن القائد محمود بمحلة المولى الخليفة فلما سمع بما وقع لابيه فر ولحق به وامر الخليفة بالقبض على قائد بونة محمد ابن القائد محمود المذكور فاعتقل بالحضرة الى ان اطلق بعد حين . وسار المولى الخليفة بعساكره ومعه اولاد مهلهل ومن انضاف اليهم الى ان قرب من سراط فوفد عليه فى مساء الليلة التى كانت المعركة صبيحتها شيخ حكيم سعيد بن احمد ومعه اتباعه من حكيم وبنى على وغيرهم فالتقى الجمعان بازاء وادى سراط بقرب تيفاش يوم الاربعاء الثانى والعشرين من ربيع الاول عام اربعين وثمانمائة واجتمع به ذلك اليوم بذلك الموضع عرب افريقية كلها فصفت الصفوف ووقف المولى الخليفة فى وسطها فلما راى اصحاب الامير ابى الحسن كثرة ما وفد على الخليفة من الجيوش ندموا اذ لم يناجزوهم الحرب فى امس ذلك اليوم ثم قووا عزائمهم وحملت ميمنتهم على ما يقابلها فهزمتهم ثم حملت ميسرتهم كذلك . حدث عن الشيخ الفقيه ابى العباس احمد الشماع (1) قاضى المحلة حينئذ قال كنت واقفا فى ذلك اليوم فى موضع مرتفع فرايت امير المومنين لما راى ما نزل بميمنته وميسرته دفع باهل الحفيظة وجماعة الحفظيين وذوى الصدق فى وجوه العدو ولم يبال بهضم جناحيه وقصد نحو الامير ابى الحسن فتفرقت فرق الفتح واهل الظفر وتفرقت عن الامير ابى الحسن اصحابه وقتل كثير منهم وكر اصحاب السلطان لما راوا النصر من قبله فبقى الشرار من ضحوة النهار الى العصر وافلت الامير ابو الحسن بفرسه طالبا نجاة نفسه واسلم محلته واصحابه فاخذهم النهب وما ايقن هو بدخول بلد بجاية مع من خف من اصحابه فقفل السلطان راجعا الى حضرته فدخلها منصورا ظافرا * وفى شهر رمضان من عام اربعين المذكور وفد على المولى السلطان بحضرته وفد اولاد ابى الليل على غير تقدم امان منه فقبض عليهم بسانية باردو وامر بتقييدهم وادخالهم الى القصبة واعتقلوا بها وهم منصور بن خالد بن صوله بن خالد بن حمزة وطلحة بن محمد بن منصور بن حمزة ومنصور بن ذويب بن احمد بن حمزة واتباعهم

ثم ان السلطان خرج فى حركته من حضرته واعطى الجند عطياتهم وخرج

(1) هو صاحب التاريخ المسمى بالادلة البينة النورانية ، وهو سمي والده المذكورة وفاته سنة 833 ووارث خطته

بعساكره قاصدا الى وطن بجاية فنزل مكوس فى اواخر عام اربعين وقاتل به عبد الله بن عمر بن صغر شيخ بنى سميلين ثم قفل راجعا الى حضرته فدخلها فى اوائل عام احد واربعين

وفى آخر يوم من ربيع الاول من عام احد واربعين هذا توفى بتونس كاتب العلامة الفقيه ابو عبد الله محمد بن قاسم بن حجر ودفن من الغد بدار الشيخ الصالح ابى زكرياء يحيى بن الدمان خارج باب السويقة من تونس وحضر لدفنه المولى الخليفة ووجوه دولته فقدم بعده لكتابة العلامة الفقيه ابو عبد الله محمد التواسى

وفى ءاخر العام المذكور فرغ من البناء من مدرسة سوق الفلقة

وفى يوم خامس عشرين لذى القعدة من العام المذكور توفى بتونس الشيخ الفقيه الحاج ابو القاسم البرزلى (1) ودفن بجبل الجلاز فتولى بعده الامامة بجامع الزيتونة والخطابة والفتيا بعد صلاة الجمعة قاضى الجماعة حينئذ الشيخ الفقيه ابو القاسم القسنطينى وولى التدريس بمدرسة ابن تافراجين الفقيه ابو البركات محمد بن محمد عرف بابن عصفور وولى الخطابة بجامع التوفيق والفتيا به بعد قاضى الجماعة قاضى الانكحة حينئذ الشيخ ابو حفص عمر القلجانى

وفى اواسط عام اثنين واربعين امر الخليفة بالقبض على منفذه وصاحب قلم جبايته الفقيه ابى عبد الله محمد بن قليل الهم وعلى ولديه ابى البركات ويونس وعلى صاحبه قائد باجة ابى الحسن على بن مرزوق واخيه فقبض عليهم واعتقلوا بالقصبة واستصفيت اموالهم وقدم بعده للتنفيذ والجباية الفقيه ابو العباس احمد بن ابى اسحاق ابراهيم السليمانى

وفى عصر يوم الخميس الرابع عشر لشعبان من العام المذكور توفى الشيخ الفقيه العلامة ابو عبد الله محمد بن مرزوق (2)

وفى اوائل عام ثلاثة واربعين اتى السلطان براس ابن صخر وهو عبد الله ابن عمر السيليينى الى حضرة تونس ونصب بباب خالد

وفى رابع جمادى الاخرى من العام المذكور دخل السلطان بجاية بعد خروج الامير ابى الحسن فارا بنفسه منها وخرج اهلها للقائه فامن جميعهم فى انفسهم

---

(1) هو فقيه عصره وحافظه وكان يلقب بشيخ الاسلام ـ وترجمته وتآليفه مستفيضة

(2) هو الحفيد وقد تقدم الجد وهو انبه علماء تلمسان فى عصره ترجمته بذيل الديباج والبستان وغيرهما

واموالهم ثم عقد عليها لابن عمه الامير ابى محمد عبد المومن بن ابى العباس احمد وقفل راجعا الى الحضرة على ما امل فدخلها فى رجب من العام المذكور

وفى آخر عا ماربعة واربعين فرغ من بناء المدرسة المجاورة لسيدى محرز وفى يوم الخميس الرابع عشر لربيع الاخر م نعام خمسة واربعين توفى الفقيه المدرس ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن زاغ (1)وصلى عليه من الغد بعد صلاة الجمعة بالجامع الاعظم ودفن خارج البلد بطريق العباد وكان مدرسا بتلمسان وله تصانيف جليلة منها التوضيح فى علم الفرايض من الواحد الصحيح استوفى فيه طريق القرشى بالكسور واستنبط فيها اشياء ظهرت له لم يسبق اليها ومنها اختصاره ومنها مقدمة فى تفسير القرءان العظيم وخاتمة فى ذلك وغير ذلك من تآليفه .

وفى عام خمسة واربعين وثمانمائة بلغ المولى السلطان ان بلد نفطة قام بها رجل يعرف بابى زكرياء من فخذ بنى الخلف من مشيختها واجتمع عليه الاوباش واغلق البلد فى وجه النائب فخرج المولى الخليفة بجيوشه من حضرته قاصدا اليها وقدم بين يديه قائده ابا الفهم نبيل بعسكرمعه فنزل البلد وحاصرها اياما ثم ورد عليه المولى الخليفة فاحاط بعساكره بها وضيق عليها الحصار الى ان دخلها بعد ان قتل منها خلق كثير وملكها فى اواخر جمادى الاخرى من العام وانتهبت ديارهم واموالهم وقبض على القائم بها واتى به الى المولى السلطان فامر به فقتل ثم قبض على ابيه واتى به الى المولى السلطان فامر به فقتل فى الحضرة ثم عقد عليها لقائد من قبله وانصرف عنها راجعا الى حضرته فدخلها فى اواخر العام المذكور .

وفى يوم الجمعة حادى عشرين من المحرم عام ستة واربعين عمل مجلس بالقصبة العلية بحضرة الخليفة من سبب مقالة نسبت الى الشيخ الفقيه احمد القلجانى وحضر المجلس المذكور هو وشقيقه والشيخ الفقيه القاضى ابو حفص عمر والشيخ الفقيه محمد بن عقاب والشيخ الفقيه عبد الله البحيرى ومفتى بجاية الفقيه منصور بن عثمان البجائى وكلم الخليفة فى القصبة الفقيه ابن عقاب المذكور فامر باعتقاله بجامع الجبيلة من القصبة دون قيد فاعتقل نحو شهرين ثم اطلق . وفى يوم الاربعاء سابع عشر صفر من العام المذكور ضرب قاضى الجماعة وامام جامع الزيتونة وخطيبه والمفتى به الشيخ المفتى ابو القاسم القسنطينى (2) بمغروس عند سلامة من صلاة الصبح بالجامع المذكور وهو

(1) المعروف فى الذيل والبستان ابن زاغو وهو من اجل علماء العصر

(2) ترجمته بذيل الديباج ص 222 وبها ما يدل على ان جريمة قتلبه لها علاقةمدبرةبنازلةالقلشانى المذكورة هنا قبلها مباشرة وربما يشم منها انالدولة كانت حامية للقلشانى وما فىابتسام الغروس من ايهام تهمة الرجل الصالح بذلك لا يصح وانما هي المبالغة فى تشخيص الكرامات

جالس على السجادة عند باب البهور حيث صلى بالناس هنالك فقتل ضاربه في الحين تحت صومعة الجامع المذكور والقى خارج المسجد ورفع القاضى المذكور الى داره وكتب وصيته وتوفى فى الليلة القابلة وصلى عليه بالغد بالجامع المذكور ودفن بالزلاج . وقدم لقضاء الجماعة بعده والخطبة بجامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة الشيخ القاضى ابو حفص عمر القلجانى وقدم للامامة بالجامع المذكور الفقيه محمد بن عمر المسراتي القروى خطيب جامع القصبة وقدم للخطابة والفتيا بجامع التوفيق بعد صلاة الجمعة به الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب وقدم لقضاء الانكحة والتدريس بمدرسة الشماعين الفقيه ابو محمد عبد الله البحيرى

وفى اوائل عام ستة واربعين بلغ المولى السلطان ان محمد بن يحيى السيلينى المعروف بابن حجر اغتال صاحب بجاية الامير ابا محمد عبد المومن وقتله فعقد عليها المولى الخليفة لاخيه الامير ابى محمد عبد الملك اخى عبد المومن المذكور .

وفى اوائل عام سبعة واربعين كان الوباء بتونس ونواحيها وفيه مرض قاضى الجماعة الشيخ الفقيه ابو حفص عمر القلجانى وطال مرضه واتصل الى ان توفى ليلة الاربعاء الرابع والعشرين لشهر رمضان من العام المذكور وصلى عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل الزلاج بازاء قبر والده وكانت ولادته بباجة ليلة السبت الثانية لشوال من عام ثلاثة وسبعين وسبعمائة فكان عمره اربعة وسبعين عاما غير سبعة ايام فولى بعده قضاء الجماعة والفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة به والخطابة بجامع القصبة الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن محمد بن عقاب والتدريس بمدرسة عنق الجمل ولده (1) الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد والخطابة بجامع الزيتونة ابو عبد الله محمد المسراتى وقدم للخطابة بجامع التوفيق والفتيا به بعد صلاة الجمعة الفقيه القاضى ابو العباس احمد القلجانى

وفى ليلة الخميس الثانى لشوال من العام المذكور توفى الشيخ الصالح سيدى فتح الله بزاويته بمقربة من جبل الجلود ودفن من الغد

وفى ليلة السبت ثامن عشر صفر من عام ثمانية واربعين وثمانمائة توفى الشيخ الولى الصالح سيدى ابو الحسن على الجبالى ودفن من الغد بجبل المرسى بطرف جبانته

---

(1) اى ولد المتوفى

وفى عام خمسين بلغ المولى الخليفة ان الامير ابا الحسن دخل بجاية على قائدها احمد بن بشير على حين غفلة فخرج المولى السلطان من حضرته بجيوشه وقصدها وقدم بين يديه القائد نبيل بعسكر معه فنزلها وفر منه الامير ابو الحسن ولحق بالجبال بعد اقامته بها عشرين يوما وملكها القائد المذكور وقدم عليها المولى الخليفة القائد محمد بن فرج وانصرف الى حضرته .

وفى يوم الجمعة ثامن عشر شوال من العام المذكور توفى امام جامع الزيتونة وخطيبه الشيخ الفقيه المدرس ابو عبد الله محمد المسراتى ودفن من الغد بالزلاج فولى بعده الامامة والخطابة قاضى الجماعة حينئذ الفقيه ابو عبد الله محمد ابن عقاب وولى التدريس بعده بمدرسة التوفيق اخوه (1) الفقيه ابو العباس احمد وكذلك ولى الخطابة بجامع القصبة .

وفى حدود العام المذكور توفى الفقيه ابو عبد الله محمد بن قليل الهم بمرض اصابه بمكان اعتقاله من القصبة . وفى ذى الحجة من عام خمسين المذكور فرغ من البناء من المدرسة الكائنة شرقى باب ينتجمى احد ابواب القصبة وهى التى احدث بناءها القائد نبيل ابو قطاية وقدم فيها مدرسا الفقيه الاجل ابا اسحاق ابراهيم الاخضرى .

وفى يوم السبت الثانى والعشرين للمحرم من عام احد وخمسين وثمانمائة قبض على المولى الامير ابى اسحاق ابراهيم اخى المولى الخليفة لابيه وعلى ولدى اخيه المولى الامير ابى الفضل واعتقلوا بالقصبة .

وفى يوم الخميس ثانى عشر صفر من العام المذكور وقعت الزلزلة بتونس قرب الزوال .

وفى ليلة الاثنين سابع عشر جمادى من العام المذكور توفى قاضى الجماعة بتونس الفقيه ابو عبد الله محمد بن عقاب (2) بعد صلاة العشاء الاخرى وصلى عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بجبل المرسى بجبانة الشيخ سيدى ابى سعيد الباجى فولى بعده قضاء الجماعة والتدريس بمدرسة سوق الفلقة لشيخ الفقيه القاضى احمد القلجانى ـ فى يوم الثلاثاء ثانى جمادى الاخرى ـ واستقل حفيده (3) احمد ابن شقيقه عبد الله بقضاء الجزيرة

(1) الضمير يعود على المتوفى المسراتى لا على ابن عقاب

(2) تقدم فى ذكر رجال الدولة العثمانية ان له ترجمة بذيل الديباج

(3) هذا الحفيد من اخ لاحمد يدعى عبد الله حسب النص المعلق عليه وهو غير داخل فى السلسلة التى تضمنها صحيفة 115 والظاهر انه فرع آخر وبعيد جدا ان يكون هو احمد بن عبد الله المترجم بصحيفة 78 الذيل لان والده توفى سنة 765 فلا يتصور ان يبقى بعده الى تاريخ هذه الولاية 851

والتدريس بالمدرسة المجاورة لسيدى محرز بن خلف وقدم الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابى بكر الوانشريسى للامامة والخطابة بجامع الزيتونة فى ثالث المحرم فاتح عام اثنين وخمسين وثمانمائة وقدم الشيخ القاضى قاضى الانكحة بتونس الشيخ ابو محمد البحيرى للفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة فى الثامن للمحرم المذكور فكان يخطب بجامع ابى محمد بربض باب السويقة الجمعة وياتى للفتوى بجامع الزيتونة .

وفى عام اثنين وخمسين وثمانمائة امر السلطان ببناء الميضاة الكائنة على يسار الداخل لدرب ابن عبد السلام جوفى جامع الزيتونة فشرع فى بنائها فى شعبان من العام المذكور

وفى الثامن والعشرين من ذى الحجة مكمل العام توفى بالديار المصرية قاضى القضاة شهاب الدين احمد بن على بن محمد بن حجر (1) شارح كتاب البخارى وغيره كانت ولادته فى شعبان من سنة ثلاثة وستين وسبعمائة كذا وجد بخطه رحمه الله تعالى .

وفى عصر يوم الاربعاء خامس ربيع الثانى من عام ثلاثة وخمسين توفى امام جامع الزيتونة وخطيبه الفقيه ابو عبد الله محمد بن ابى بكر الوانشريسى (2) ودفن من الغد بالزلاج فقدم بعده خطيبا الشيخ ابو محمد عبد الله البحيرى يوم الجمعة سابع الشهر المذكور وقدم اماما الفقيه ابو الحسن اللحيانى وخطيبا بجامع ابى محمد .

وفى يوم الخميس سادس شعبان من العام المذكور خرج السلطان بمحلته من الحضرة ونزل الزعترية ثم ارتحل قاصدا تقرت وكان فى اوائل دولته قام بها رجل من فخذ مشيختها اسمه يوسف بن حسن واحتوى عليها ومنع جبايتها لاشتغال الخليفة عنه بما هو اهم وبعد قطره ففى هذا العام رحل السلطان اليه وقدم بين يديه القائد نبيل بعسكر معه يزيد على الف فارس فحاصر البلد فى ءاخر شوال من العام المذكور وقاتلها يومين ثم امر بقطع نخلها فى اليوم الثالث واثاب من فعل ذلك لما راى من مقاتلة أهلها له ووقوفهم مع شيخها يوسف المذكور ، ثم ان المولى السلطان قدم واحاط بالبلد فى اليوم الرابع فدخل قائد باجة ابو شعيب مدين مع علج من علوجه من غير تقدم طلب فامر بهما يوسف المذكور فقتلا وامر المولى السلطان بالقتال وقطع النخل فلما

---

(1) شيخ المحدثين وامام السنة فى عصره ، وترجمته واسعة

(2) لم توجد له ترجمة

رأى يوسف ذلك وعلم انه لا قدرة له على الدفاع طلب الامان فامن فى نفسه وخرج وطلب من السلطان ان يقبل منه مالا ويبقيه فى بلده فانعم له بـذلك فدفع له بعض المال ثم بدأ له واغلق الباب ثم اقام بها ستة أيام فامر الخليفة بمعاودة الحصار والقتال فلما رأى ذلك نزل من البلد وقصد المحلة لكمال ما كان تحدث به فقبض عليه بها يوم الخميس ثانى ذى القعدة من العام المـذكور وملكت البلد واخذها النهب واحتـوى المولى السلطـان على مـا جمعه يوسف المذكور وقدم فى البلد قائدا من قبله ورحل عنها متوجها لحضرته ومعه يوسف المذكور وولده واخوه وعمه واهله معتقلين ودخل السلطان تونس يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة من العام المذكور وادخل يـوسف المـذكور ومن معـه للحضرة بقيودهم على جمال تتهادى بهم وقدم على باجة قـائدا وهو القـائد نصر الله من احرار العلوج .

وفى اوائل عام اربعة وخمسين وثمانمائة امر الخليفة ببناء خزانة الكتب بجامع الزيتونة فبنيت بمقصورة الولى سيدى محـرز بـن خلف شـرقى الجامع (1) وفرغ منها فى رجب من العام المذكور

وفيه بنيت زاوية عين الزميت قرب كاف غراب بين تونس وبـاجة وحبس عليها ما يقوم بها .

وفى اوائل رجب من العام المذكور فرغ من البناء من الميضاة المحدثة بدرب ابن عبد السلام (2) ونزل السلطان اليها ورأى بنيانها فى يوم الاثنين ثامن رجب من العام المذكور

وفيه ايضا فرغ من البناء من زاوية الفندق بغابة شريك بين تونس والقيروان وحبس عليها ما يقوم بها

وفى اوائل ربيع الثانى من عام خمسة وخمسين وثمانمائة احدث بتونس خطبة ثامنة بجامع سيدى جعفر بالتبانين (3) بربض باب السويقة

وفى يو مالسبت الموفى عشرين لربيع الثانى المذكور عمل المولى السلطان عرس ولده المولى الهمام ولى عهد الخلافة ابى عبد الله محمد المسعـود على ابنة عمه شقيق الخليفة المنتصر وبنى بها فى الليلة القـابلة واطعـم فى العـرس المذكور بالقصبة اهل الحضرة من غرة ربيع الاول الى يوم البناء ثم اعطى قرب

(1) الظاهر انها الواقعة على درج الكتبية جوار بيت النظارة العلمية سابقا وهى التى بهـا ادارة المكتبة الاحمدية الآن ومقصورة سيدى محرز هى مدخلها

(2) درب ابن عبد السلام هو مدخل الخلدونية والميضات ماثلة الى الآن

(3) هو جامع النفافتة

البناء لاهل ربض باب السويقة ستين رأسا بقرا وستين قفيزا قمحا ومثل ذلك لاهل ربض باب الجزيرة

وفى جمادى الاولى من العام المذكور صرف قاضى قسنطينة الشيخ الفقيه محمد الزنديوى عن قضائها بعد ان بقى بها ستة عشر عاما وقدم عوضه قاضيا بها الفقيه ابو عبد الله محمد الغافقى .

وفى اواخر الشهر المذكور قدم الفقيه ابو عبد الله محمد الزنديوى فى جميع خطط الفقيه الغافقى المذكور بالحضرة وذلك التدريس بمدرسة المعرض والخطابة بجامع باب الجزيرة والفتيا به والقضاء ببلد باجة

وفى يوم الاثنين سادس شوال من عام خمسة وخمسين رحل السلطان من تونس مشرقا لبلد طرابلس يهدن اوطانها ويطلب جبايتها وانصرف راجعا للحضرة .

وفى يوم عيد الاضحى مات الفقيه التواسى كاتب الاوامر الكريمة بقابس فانه كان تخلف بها لمرض اصابه تم حمل بعد موته للحضرة ودفن بجبل المرسى وقدم بعده للكتابة الفقيه الناظم ابو على عمر بن أبى العباس احمد بن قليل الهم .

وفى العام المذكور توفى بتلمسان الشيخ المفتى العلامة ابو القاسم العقبانى (1) .

وفيه بنيت السقاية قرب المارستان من تونس

وفى اواسط جمادى الاخرى من عام ستة وخمسين وثمانمائة صرف الفقيه أحمد بن كحيل عن قضاء المحلة وعن الشهادة بالحضرة وقدم عوضه قاضيا بالمحلة الشيخ ابو عبد الله محمد الزنديوى

وفى اوائل رجب من العام المذكور ورد الخبر لتونس بان الامير أبا الحسن المذكور اجتمع عليه خلق كثير من وطن بجاية وانه ضيق عليها واخذ بمخنقها فبعث السلطان عسكرا لنصرتها واعطى السلف ورحل ثامن شعبان من العام المذكور بجيوشه مغربا وكان لمحمد بن سعيد السيلينى ابن عم قد استولى على وطنه واخرجه منه واعانه على ذلك صاحب بجاية الامير عبد الملك فقدم بسكرة وطلب من قائدها ابى زيد عبد الرحمن الكلاعى على ان يحسن لمن ياتيه من أهل

(1) فيه خطا فى الاسم والتاريخ فهو ابو الفضل قاسم بن سعيد ووفاته فى ذى القعدة 854 وصيته العلمى بعيد انظر ـ ترجمته فى ذيل الديباج والبستان

وطن حمزة ليكون ذلك سببا للاحتيال على الامير ابى الحسن فيامن فجاء من يحذره من اهل وطن حمزة فصدق ذلك عنده احسان قائد بسكرة اليهم فخرج من عندهم فارا بنفسه ولحق بابن سخر المذكور ونزل عند صهره سعيد بن عبد الرحمان بن عمر بن محمد بن سعيد المذكور فتحدث محمد بن سعيد مع احمد بن على من الذواودة ومع قائد قسنطينية ابى على منصور المزوار فالتزم له القائد المذكور الوفاء بجميع ما يطلب ان قبض عليه فلما خرج المولى السلطان بمحلته من حضرته مغربا بعث ابن صخر المذكور الى قائد قسنطينة بان يكون قريبا منه بعسكره ففعل ثم ان ابن صخر اخبر ابن عمه سعيد بن عبد الرحمن بما تحدث به من القبض على الامير ابى الحسن وطلب منه المساعدة فعظم ذلك عليه ثم انه رأى انه لا بد له من ذلك فاتفقا معا على القبض عليه فاخذاه بمحاولة وطيرا بالخبر الى القائد ابى على منصور المذكور قائد قسنطينة فاتاهما بمن معه فامكناه منه ثم بعث القائد ولده عليا مع سعيد ابن عبد الرحمن المذكور للسلطان فاخبراه بذلك فوجه شيخ الموحدين الشيخ ابا عبد الله محمد بن ابى هلال مع القائد على الواصل المذكور بعسكر فقدما على القائد المذكور بموضع يعرف بايكجان يوم عيد الفطر فامكنهما من الامير ابى الحسن فارتحلا به مقيدا راكبا على بغلة ثم توقعا ان يفلته العرب من أسره قبل وصوله الى المولى السلطان فلما كانت ليلة الثالث من شوال امرا به فذبح بموضع بطرف السبخة ودفنت جثته هنالك وبعثا براسه الى السلطان مع البريد فقدم به عليه فى الرابع لشوال المذكور وهو متوجه اليه فوضع بين يديه ثم نصب على قناة بالسوق حتى رءاه الناس وتحققوه ثم امر بدفنه فدفن هنالك . ثم رحل السلطان بمحلته قاصدا لبجاية وبعث لصاحبها ابن عمه الامير ابى محمد عبد الملك ليقدم مع كبار بلده للقائه ليجدد به عهدا فقدم وجوه البلد وتلكا هو عن القدوم فوجه اليه المولى السلطان قاضى المحلة وبعض الفقهاء والمرابطين فرغبوه فى القدوم فقدم معهم فى يوم الاثنين ثالث عشرى شوال المذكور فوجد الخليفة ينتظر بابى بحاب بمقربة من جبل اولاد رحمة فبات ليلة بالمحلة ثم قبض عليه بها من الغد وقيد وعقد على بجاية للقائد منصور المذكور وصرفه اليها مع وجوه اهلها وانكفا راجعا بمحلته وعقد فى طريقه على قسنطينة للقائد فارح ابن القائد منصور المذكور وصرفه اليها وصار متوجها لحضرته فى يوم الاثنين موفى عشرى ذى الحجة مكمل عام ستة وخمسين .

وفى يوم الاثنين ثالث عشرى ذى الحجة من العام المذكور قتل العامة وبعض خدام القائد نبيل حاكم باب المنارة المكحول ونقبوا عراقبه وجروا شلوه فى

ازقة المدينة واحرقوه واشاعوا ان ذلك عن امر الخليفة وكان ذلك اليوم الخليفة قد خرج للمصيد فلما جاء بالعشى اخبر بذلك فانكره وامر بالقبض على من فعل ذلك فقبض على خمسة رجال منهم فذبحوا فى الموضع الذى احرقوا القائد فيه على يسار باب الجديد .

وفى حادى عشرى ربيع الاول من عام سبعة وخمسين اخذ القائد نبيل ابو قطاية (قبض عليه) بالقصبة العلية وعلى اولاده الذين بالحضرة وعلى خدمة القائد عبد الله الصقلى فاعتقلوا كلهم بالقصبة وخرج فى الحين الشيخ ابو الفضل بن ابى هلال بعسكر معه الى بلد بونة فقبض على قائدها ابى النصر ابن القائد نبيل المذكور وعلى اصحابه فقدم بهم الى الحضرة فثقف ابو النصر بالحضرة واطلق اصحابه وعقد الخليفة فى الحين اخذ القائد نبيل على قفصة لابى محرز محفوظ وصرفه اليها وامره ان يامر صاحبها القائد فتوح بالانصراف الى بلد توزر ليقبض على صاحبها القائد ناصر رضيع القائد نبيل ففعل ذلك وقبض على ناصر المذكور وجيء به الى قفصة فثقفه بها هو وولده محمد الى ان اطلق بعد ذلك وتولى فتوح توزر . ثم ان المولى السلطان امر بجمع الاموال التى للقائد نبيل وولده ومن قبض عليه منهم فجمعت كلها من مكامن احتجابها وحصل فيها فيما قيل ما يزيد على عشرين قنطار ذهبا من العين وما يقارب ذلك قيمة من الجوهر والعقار والاثاث ولما كانت ليلة الثلاثاء ثانى عشر جمادى الاولى من العام المذكور توفى القائد نبيل المذكور بمحبسه ودفن ليلا بالقصبة ثم اخرج ليلة الخميس رابع عشر الشهر المذكور وانزل الى المدرسة الكائنة شرقى باب ينتجمى احد ابواب القصبة فدفن بمقبرة كان اعدها لذلك حين بنائه لها

وفى جمادى الاولى المذكور وقع ابتداء الوباء بتونس فانتقل المولى السلطان من القصبة الى سانية باردو ثم انتقل منها الى سانية توزر

وفى ليلة السبت اول ليلة من جمادى الاخرى من عام سبعة وخمسين وثمانمائة صرف الشيخ ابو عبد الله محمد الزنديوى عن قضاء المحلة واعيد اليها الفقيه احمد بن كحيل والى الشهادة بالحاضرة .

وفى جمادى الاخرى ايضا اخذ السلطان المجاهد فى سبيل الله ابو عبد الله محمد ابن السلطان مراد التركى مدينة قسطنطينية العظمى قهرا واحتوى عليها وعلى جميع خزائنها بعد حصره لها اشد الحصار واسكنها المسلمين واقطعهم اياها .

وفى رابع عشر شعبان من العام المذكور توفى بتونس الشيخ الفقيه محمد الرملى ودفن بالزلاج .

وفى السادس عشر منه قدم الفقيه ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم الكماد ناظرا فى الاشغال بالحضرة وقدم ابو عبد الله محمد بن عصفور شاهدا بالتنفيذ

وفى ثالث عشر شهر رمضان من العام المذكور اغمى على الشيخ سعيد بن احمد بوطن نفزاوة ظن اولاده انه توفى فانصرفوا قاصدين الى الحضرة لطلب المشيخة فوقع بين عامر واخيه مقاتلة فى طريقهم جرح فيها محمد وتاخر وقدم اخوه عامر لتونس ومعه ولده واخوه عبد الله فامر السلطان بالقبض عليهم فاعتقلوا بتونس ثم قدم محمد فاكرمه وقدمه عوض ابيه ثم ورد الخبر ان الشيخ سعيد افاق فاطلق عامر ثم توفى الشيخ فى ذى القعدة من العام فاستقل محمد بالمشيخة . وفى عاشر شوال من عام ثمانية وخمسين خرج المولى السلطان بمحلته مشرقا ثم رجع مغربا وجدد حركاته لسماعه ان المفسدين باطراف بجاية ضيقوا على قائدها ومنعوه التصرف فامر فى طريقه بالقبض على الامير ابى بكر ابن الامير عبد المؤمن لسؤال اهل بجاية عنه وقصدهم تقديمه لتقدم سالفته فيهم من ابيه وعمه فقبض عليه وهو متوجه من تونس الى المحلة بقرب ميلة ورد الى تونس ودخلها يوم الاربعاء سادس عشرى جمادى الاخرى من عام تسعة وخمسين واعتقل بالقصبة هو ومن معه . وسار المولى السلطان الى ا نوصل تاكورة فقدم عليه وجوه اهل بجاية وقد تنصلوا من اشرارها واخبروه بفرارهم فعزل عنها قائدها ابا على منصور المزوار وعقد عليها لولده ابى فارس عبد العزيز وصرفه اليها فى تاسع عشرى جمادى الاخرى عام تسعة وخمسين المذكور وانصرف بمحلته قافلا الى الحضرة وعقد فى طريقه للقائد فارح صاحب قسنطينة على بسكرة وتقرت واضافهما الى قسنطينة .

وفى عشية يوم الاثنين خامس ذى القعدة من عام ثمانية وخمسين توفى بتونس الفقيه القاضى ابو محمد عبد الله البحيرى (1) ودفن من الغد بالزلاج

وفى ربيع الاول من العام المذكور توفى المولى المسعود اخو السلطان لابيه بمرض اصابه فى المحلة فى الجدارى وحمل من الغد الى تونس فدفن بها .

(1) هذا الامام اضطرب فى اسمه الاصل المطبوع فسمى فى تعداد رجال الدولة العثمانية : ابو محمد عبد الله وفى غير هذا الموضع ابو عبد الله محمد واغتر بذلك الشيخ مخلوف فى الطبقات والشيخ السنوسى فى المسامرات ، وفى تراجم التاريخ الضيافى 63/7 ابو محمد عبد الله بن سليمان ، والمرجع الضابط هو الشيخ بابا حيث سماه فى الذيل ص 158 : عبد الله بن قاسم البحيرى التونسى ابو محمد ابن ابى الربيع الامام الرحلة الراوية العلامة قاضى الانكحة الخ وعليه الاعتماد

وفي اوائل رجب من العام المذكور قبض على اولاد الامير ابي الحسن وثقفوا بالقصبة .

وفي يوم السبت خامس عشرى رجب من العام المذكور بعث السلطان مزواره سعيد الزريزر لقاضي الجماعة الشيخ ابي العباس احمد القلجاني بتونس فخيره با نيتولى خطابة جامع الزيتونة والفتيا به بعد صلاة الجمعة عوض الشيخ البحيري ويترك القضاء او يبقى على خطته خاصة فاستخار الله في ذلك وكتب براءة بخطه في السابع والعشرين من رجب باختيار الخطابة والفتيا واستعفائه عن قضاء الجماعة فاعفاه وكتب له بذلك في اوائل شعبان وكتب له المدرسة الشماعية بعد ان بقي يحكم بين الناس بتونس في قضاء الانكحة مع قضاء الجماعة من وقت استعفائه وذلك ازيد من ثمانية اشهر . وفي التاسع والعشرين من رجب المذكور امر السلطان الشيخ الفقيه ابا عبد الله محمد ابن الفقيه ابي حفص عمر القلجاني بالجلوس بمجنبة الهلال من جامع الزيتونة لثبوت عقد هلال شعبان على عادة قضاء الجماعة ففعل وكتب له بقضاء الجماعة والخطابة بجامع التوفيق في غرة شعبان المذكور ثم في تاسع شعبان كتب له بالفتيا بالقلم بجامع التوفيق بعد صلاة الجمعة . وفي غرة شعبان المذكور قدم الفقيه احمد القسنطيني قاضيا بانكحة تونس ومدرسا بالمنتصرية التي بسوق الفلقة

وفي الخامس منه قدم الفقيه ابو عبد الله محمد بن عصفور ناظرا في الاحباس بتونس ثم اضيف اليه بعد ذلك النظر في المحاسبة بالحضرة .

وفي يوم السبت سابع عشر شعبان المذكور توفي المزوار بتونس سعيد الزريزر ودفن من الغد مجاورا دار الولي سيدي محرز بن خلف وحضر لدفنه السلطان وخواصه وقدم بعده ابو علي منصور المزوار .

وفي ثاني ربيع الاول من عام ستين توفي الشيخ الحاج ابو اسحاق ابراهيم السليماني ودفن بازاء الشيخ الصالح ابي يحيى زكرياء وحضر لدفنه الخليفة واهل دولته وحضرته . وفي جمادى الاخرة خرج الفقيه احمد البنزرتي بهدية لصاحب فاس صحبة رسوله ابن سمعون .

وفي حادي عشرى رجب من العام المذكور توفي بتونس ابو الهادي اخو السلطان لابيه بمرض اصابه ودفن من الغد بازاء دار الولي سيدي محرز بن خلف .

وفي اوائل شهر رجب ظهر بتونس النجم المسمى بابي الذوائب في الجهة الشرقية قبل طلوع الفجر وهو نجم له عمود نور متصل به ثم ظهر في ءاخر

الشهر بعد غروب الشمس فى الجهة الغربية قال صاحب عجائب المخلوقات ظهوره يدل على امر سماوى يقع فوقع بتونس فى الشهر المذكور ريح قلع كثيرا من شجر الغابة ثم وقع فى اواسط شوال مطر ببرد قدر بيضة الدجاجة واكبر من ذلك .

وفى حادى عشر المحرم من عام احد وستين وثمانمائة خرج المولى السلطان مسافرا بجيشه الى بلد طرابلس وبعث شيخ دولته الشيخ محمد بن ابى هلال صحبة القائد رضوان لعزل قائد البلد القائد ظافر وتقديم رضوان ففعل وقدم القائد ظافر باهله وولده لحضرة تونس .

وفى ثامن عشرى المحرم من العام المذكور توفى الشيخ ابو الحسن الجباس امام جامع الزيتونة وقدم عوضه اماما الفقيه احمد المسراتى فى اوائل صفر من العام المذكور وقدم عوضه خطيبا بجامع ابى محمد والفتيا به قاضى الانكحة الفقيه ابو العباس احمد القسنطينى .

ولما قفل المولى السلطان الى الحضرة صرف الفقيه محمد بن عصفور عن النظر فى الاحباس وفى بيت الحساب وقدم الفقيه محمد البيدمورى ناظرا فى الاحباس وعلى بن عباس فى بيت الحساب .

وفى اوائل صفر عام اثنين وستين قدم لتونس الفقيه احمد البنزرتى من مدينة فاس وقدم معه رسولان بهديتين احداهما من قبل صاحب فاس السلطان عبد الحق المرينى والاخرى من قبل صاحب تلمسان احمد بن حمو الزناتى فانزلا فى دارين عظيمتين واجريت لهما الارزاق الى ان قدم مولانا فادخلا عليه ومع كل واحد هديته فاكرمهما .

وفى صفر من العام المذكور توفى بتونس محمد بن عصفور بمرض اصابه .

وفى اوائل العام المذكور اصاب الناس بتونس غلاء فى الطعام بلغ قفيز القمح اربعة دنانير ذهبا والشعير على الشطر من ذلك فشكى الناس قلة الطعام وغلاءه للسلطان فامر بان يخرج من المخزن فى كل يوم ما يصنع منه الف خبزة وتفرق على الفقراء بتونس بباب ينتجمى فابتدى بتفريقها فى ثالث ربيع الثانى ودام الى رجب حتى كثر الطعام الجديد ورخص ثمنه .

وفى اواخر ذى القعدة من العام المذكور بعث السلطان هديتين احداهما لصاحب فاس والاخرى لصاحب تلمسان بصحبة رسوليهما ووجه مع هدية تلمسان رسولا من قبله ابراهيم بن نصر بن غالية .

وفى ثانى عشر ذى الحجة من العام المذكور خرج السلطان فى محلته وانتهى الى تاورغة وقفل راجعا وعقد فى رجوعه على طرابلس للقائد ابى النصر بن

جاء الخير وصرفه اليها فدخلها في ربيع الثاني من عام ثلاثة وستين .

وفي اواسط رجب من العام المذكور بلغ الخبر ان المولى عبد العزيز نازل محمد بن صخر بمكرس فقاتله واحتوى على زمائله وفر ابن صخر هزيما لطلب النجاة .

وفي يوم الاحد عند غروب الشمس منه ثامن شعبان من العام المذكور توفي بتونس الشيخ الفقيه المفتي ابو العباس احمد القلجاني وصلى عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر ودفن بالزلاج وحضر لدفنه السلطان ووجوه اهل دولته كان عمره اربعا وثمانين سنة . وفي تاسع عشر شعبان خرج السلطان بمحلته ونزل الزعترية وبعث في تلك الليلة بايقاف الفقيه احمد القسنطيني عن جميع خططه من قضاء الانكحة والخطابة والفتيا والدعاء عقب ختم البخاري بالمضرب السعيد على عادة قضاة الانكحة . وفي صبح تلك الليلة قدم الفقيه الامام احمد بن عمر المسراتي خطيبا بجامع الزيتونة وقدم قاضي الجماعة الفقيه محمد القلجاني خطيبا بجامع القصبة والفتيا بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة وقدم الفقيه محمد الزنديري خطيبا بجامع التوفيق ومفتيا به ومدرسا بمدرسة الشماعين وقدم الفقيه ابو عبد الله محمد الغافقي خطيبا بجامع باب الجزيرة ومفتيا به ومدرسا بمدرسة ابن تافراجين وعزل عن قسنطينة .

وفي سادس عشري شعبان بعث من المحلة تقديم ثمانية عدول على يد قاضي الجماعة . وفي اواخر شهر رمضان ورد الامر بان يخرج الفقيه محمد الجباس ليكتب له بقضاء قسنطينة فخرج وكتب له بذلك وانصرف . وفي اوائل ذى الحجة من العام المذكور ورد الامر من المحلة لقاضي الانكحة برجوعه لجميع خططه

وفي ليلة السبت ثالث ربيع الاول من عام اربعة وستين توفي النائب بتونس الشيخ المعظم ابن ابي هلال شيخ الموحدين وحاجب الخلافة العثمانية ودفن بدار الولي سيدى محرز بن خلف . ولما خرج السلطان من حضرته سار الى وطن بجاية فاجتمع مع ولد صاحبها المولى ابي فارس عبد العزيز فاخبره بما وقع له مع محمد بن سعيد وبفراره بين يديه فبعث لمحمد بن سعيد بالامان صحبة ولده وولي عهده المولى المسعود فقدم معه راغبا في الطاعة فاكرمه واتى به وبجميع اهله الى تونس فاسكن بها واعطى ما يقوم به ثم ان المولى السلطان قفل راجعا الى وطن قسنطينة فعزل القائد فارح وقدم القائد ظافر بن جاء الخير وصرفه اليها في اول المحرم فاتح شهور عام اربعة وستين . وفي اواخر شهر رمضان من العام المذكور قدم السلطان القائد منصور المزوار قائدا

بقفصة وصرفه اليها وقدم بين يديه مزوارا عوضه ابا اسحاق ابراهيم بن احمد الفتوحي في اول شوال .

وفي يوم الاحد ثاني عشري شوال من العام المذكور توفي قاضي الانكحة بتونس الفقيه احمد القسنطيني (1) وسنه احدى واربعون سنة وقدم بعده لقضاء الانكحة الشيخ ابو عبد الله الزنديوي وقدم بعده خطيبا بجامع ابي محمد من ربض باب السويقة ومفتيا به بعد صلاة الجمعة ومدرسا بالمنتصرية وناظرا في الاحباس الفقيه ابو عبد الله محمد البيدموري

وفي يوم الاربعاء خامس جمادى الاخرة من عام خمسة وستين قتل الشيخ الصالح سيدي احمد عسيلة بسبخة سيجوم ودفن بالزلاج قتله الرياحي مختبل العقل وقتله العامة

وفي شهر رجب من العام المذكور صرف الفقيه احمد بن كحيل عن قضاء المحلة والتدريس بزاوية باب البحر وقدم عوضه فيهما الفقيه محمد الرصاع وقدم هو عدلا ومفتيا بالقلم ثم توفي الفقيه احمد بن كحيل المذكور ءاخر ذي الحجة من العام المذكور .

وفي اواسط العام المذكور توفي بالقصبة القائد ظافر وقدم عوضه القائد رمضان الشارب ثم صرف وقدم عوضه الحاج عبد الرحمان الفتوحي في اوائل المحرم من عام ستة وستين . وفي ربيع الاول من العام المذكور ملك الامير محمد بن محمد بن ابي ثابت مدينة تلمسان واخرج عنها صاحبها عم ابيه السلطان ابا العباس احمد بن ابي حمو فنزل بالعباد ثم صرف الى الاندلس ولما سمع المولى السلطان بذلك جدد حركته من حضرته وخرج بمحلته سابع شوال من عام ستة المذكور قاصدا تلمسان . بجميع عرب افريقية ــ فسار في جيوش عظيمة المدد مجهولة العدد الى أن قرب من قسنطينة فتوفي هناك شيخ الموحدين ابو عبد الله محمد ابن ابي هلال في ذي الحجة من العام المذكور وحمل الى حضرة تونس فدفن بدار الشيخ سيدي محرز بن خلف ليلة الحادي عشر لذي الحجة ، ثم ان السلطان اجتاز في طريقه بقلعة حليمة احدى قلاع جبل أوراس فأحاط بها بجيوشه الى ان أخذها قهرا وأرهقهم عسرا ، ثم انصرف لجهة تلمسان ، ولما نزل بارض بني راشد وبقي بينه وبين تلمسان نحو يومين وفد عليه جميع عرب سويد بالاهل والولد وبنو يعقوب والذواودة من بني

(1) هو شيخ المؤلف حسبما ذكره في شرحه للدمامينية ، ولم توجد له ترجمة وهو غير احمد القسنطيني المترجم في الذيل والضوء اللامع

عبد الوادى وبنو عامر راغبين فى الطاعة فتقبلهم وأحسن اليهم ، وفرق قواده فى ارض تلمسان ففزعت الرعايا وأتت بجبايات الاوطان – وكان هـذا فى شهر نومبر العجمى – فأخذتهم فيه ثلوج من اوله الى العشرين منه ، ثم عزم على الوصول الى تلمسان فقدم عليه الشيخ الورع الصالح ابو العباس احمد ابن الحسن والفقيه العالم ابو عبد الله محمد بن احمد ابن الشيخ الفقيه قاسم العقبانى وابو الحسن على بن حمو ابن ابى تاشفين خال الامير محمد المذكور بعقد شهود على صاحب تلمسان بان جميع ما يفعلونه جائز عليه فتراموا على المولى السلطان فى الكف عن البلد على ان يلتزموا له بالبيعة عن صاحبها ويدخل تحت طاعته ونظره ، فقبل انابتهم ولم يحرم اجابتهم ، فعقدوا على أنفسهم عقدا بالبيعة وانصرفوا الى بلدهم وقفل السلطان راجعا الى جهة تونس يوم الاربعاء سابع عشر صفر من عام سبعة وستين وعقد فى طريقه على قسنطينة لحفيده ابى عبد الله محمد المنتصر ابن ولده ولى عهده المولى ابى عبد الله محمد المسعود وصرفه اليها فى ربيع الثانى من العام 867 وجعل بين يديه مزوارا القائد ابا على منصور الصبان ، وقائدا فى البلد القائد بشيرا وعزل القائد ظافرا ، وصرف أيضا فى طريقه محمد بن سعيد بن صخر الى وطنه بجاية ، ودخل الحضرة يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الاولى من عام سبعة المذكور .

ثم ان المولى السلطان لما استقر بحضرته بعد وروده من تلمسان بلغـه آن عرب افريقية – اولاد مسكين واولاد يعقوب والشنانفة من أولاد مهلهل ومن انضاف اليهم – اجتمعوا وتعاقدوا عليه ان لم يسعفهم فى عوائدهم بالسكـة القديمة ولم يف لهم بها وبغير ذلك من المطالب ناجزوه الحرب وشنوا الغارات فى جميع بلاده ، فخرج بعساكره للقائهم فى عاشر رجب من عام سبعة وستين المذكور ، وبعث لجميع اوطانه فأتته العساكر وقصد نحوهم فأفرجوا بين يديه ، وعقد على مشيخة اولاد يعقوب للحاج محمد بن سعيد عوضا عن ابن أخيه سمير البعبو ، وعلى مشيخة اولاد يحيى للحاج جديد عوضا عن أخيه اسماعيل ، والطاهر بن رحيم عوضا عن فارس بن على من أولاد سلطان ، ولمالك بن منصور عوضا عن على بن على بن على الشيعى ، ولقاسم بن طالب العونى عوضا عن يحيى بن طالب فجعل على كل طائفة ممن خالفه رجلا منهم اما اخا للشيخ أو عما أو ابن عم وأخذ اولادهم مراهين وبعثهم الى الحضرة وانزلوا بدار قرب القصبة وأجريت عليهم النفقات ، وسار بالشيوخ الذين عقد لهم فى طلب المخالفين الى ان وصل الى بلد نفطة والجائهم الى دخول الصحراء فى زمن القيظ الشديد – وكانت صائفة شديدة الحر جدا – فهام متابلهم وصارت تنفلت وتجىء للموارد حيث

كانت ، ومن شدة حر هذه الصائفة ولهيبها أن النعام كان يرد شريعة بياش بقفصة ويصطاده الناس هناك ، الى ان هلكت ابلهم ونساؤهم واولادهم جوعا وعطشا وحريقا فى الصحراء ، فرأوا ان لا بد لهم من الاياب والوفود على امير المؤمنين ، فوفدوا عليه واحدا بعد واحد طالبين عفوه ، فعفا عنهم على ان ليس لهم فى المشيخة شيء وانما هى لمن عقد له ، ورجع السلطان بعد ان دخل نفطة وارتاح بها ، وكذلك توزر ، ودخل قفصة وارتاح بها هووجيشه ودخل القصبة وتغدى بها مع بعض خواصه ــ والقائد منصور قائدها واقف بين يديه يهنئه ويتلطف له ويستعطف وهو يبتسم له ــ ودخل ايضا المولى الامير المسعود وتغدى بالسلام الفوقانى الشارف على الرحبة ــ والقائد على بين يديه ، وكان يوما عظيما راحة وهناء ، وكل امير فى بستان متنزها وكذلك القواد وغيرهم كل منهم فى مكان على قدره . وبعد راحته بها أياما رحل الى حضرته ظافرا مسرورا وكذلك جميع المسلمين . ولما قرب منها امر بالقبض على المشائخ فقبض على محمد بن سعيد وسمير بن عبد النبى وفارس بن على بن رحيم ونصر الذوادى واسماعيل بن ضرارى ــ هؤلاء كبراؤهم ــ بعد الاحتيال عليهم ونصب شبكة الخداع اليهم حتى دخلوا وسط المحلة وأعطى كل شيخ منهم ــ تطمينا لهم ــ الف دينار ذهبا فبذلك اطمأنوا وباتوا عند قواده فاصبحوا وبارجلهم الاساورة وهم مصفدون ــ وكما تدينوا تدانوا ــ وكفى الله المؤمنين شرهم ، وقبض ايضا على بقية المشائخ وقيدوا جميعا وادخلوا لتونس ركوبا على بغال ، وكان يوم دخولهم يوما كبيرا وسلموا من العامة واخذوا للقصبة واعتقلوا بها ، ودخل السلطان حضرته فى ثامن عشر ذى القعدة من العام المذكور .

وفى اواخر شهر رمضان من عام سبعة (وستين) توفى مفتى بجاية وعالمها الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد المشذالى .

وفى اوائل محرم فاتح عام ثمانية وستين قدم الفقيه الكاتب أبو عبد الله محمد المسلاتى ناظرا فى بيت الحساب عوض الفقيه على بن عباس ، ثم صرف فى اواخر شهر رمضان من العام عينه وقدم الفقيه محمد ابن الكماد بها وبدار الاشغال ، وبدار المختص ابراهيم ابن عصفور .

وفى اواسط محرم المذكور مرض السلطان مرضا قويا أشرف منه وفرج الله عنه . وفى العشرين منه خرج أحمد البنزرتى رسولا الى الاندلس فركب البحر فى ثالث يوم من خروجه ووصل الى الاندلس فأدى رسالته ورجع الى تونس فى شعبان من عامه وقدم معه بهدية من قبل صاحب الاندلس من

جملتها الختمة العظيمة الشان التى هى الآن بالجامع الاعظم يقرأ منها فيه كل يوم عند التوابيت .

وفى ثانى صفر من العام المذكور توفى بتونس الشيخ الولى الصالح ابو العباس احمد بن عروس ودفن بزاويته حيث كان استقراره قرب جامع الزيتونة ، وكان له مشهد عظيم حضره اولاد الخليفة كلهم .

وفى اواخر جمادى الاخرى من العام المذكور وردت لتونس هدية صاحب تلمسان السلطان محمد بن ثابت صحبة قاضيه محمد بن احمد العقبانى وصحبة رجل من بنى عمه وصادف ذلك من الخليفة افاقة من مرضه وزينت الاسواق كلها بتونس وكان فرح كبير

وفى اواسط العام 867 المذكور قدم القائد ظافر ابن جاء الخير قائد الحضرة ونائبا بها عند غيبة الخليفة كما كان الشيخ ابن ابى هلال ، وفى شعبان من العام المذكور اطلق الخليفة محمد بن سعيد المسكينى بعد اعطائه العهود والمواثيق بأنه لايخالف على السلطان بوجه ولا يدخل فى رأى الاعراب . وفى ذى القعدة بعث الخيفة هدية لصاحب تلمسان مكافئة لهديته صحبة اصحابه الذين قدموا بها وبعث معهم محمد بن فرج العربى .

وفى اواخر الشهر المذكور امر السلطان بعمل القلاع بجامع الزيتونة ليقى الناس من حر الشمس يوم الجمعة فى زمن الصيف فعمل ، وفى يوم الخميس التاسع عشر من ذى الحجة خرج الخليفة بمحلة وترك بتونس نائبا القائد ظافرا .

وفى صفر من عام تسعة وستين توفى الشيخ المرابط ابو حفص عمر الدكداكى بتونس ودفن بجبل المرسى

وفى ثانى عشر صفر توفى الشيخ الصالح ابو العباس أحمد ابن الشيخ الصالح محمد ابن أبى زيد بالمنستير ، ودفن بها .

وفى اول عام تسعة (وستين) المذكور أمر الخليفة بالقراءة — بجامع الزيتونة — قبل صلاة الصبح وقبل صلاة الظهر والعصر بالختمة العظيمة الشان المهداة من الاندلس كما تقدم ورتب لذلك اربعة من القراء اصواتهم حسنة .

وفى يوم السبت سادس عشرى جمادى الاخرى دخل الخليفة تونس بمحلته بعد ان سار فى بلاده وهدن اوطانها ، وفى اواخر شعبان من العام المذكور بلغ الخليفة ان نصر بن صولة احد شياخ الذواودة أوقع بالقائد منصور

الصبان مزوار قسنطينة وأخذ بعض محلته فبعث السلطان ولده ولى عهده المولى ابا عبد الله محمد المسعود فى عسكر عظيم فأتاهم على حين غفلة فأوقع بهم وقيعة عظيمة واخذا بلهم وفروا بين يديه طالبين نجاة انفسهم فاقام بقسنطينة شهر رمضان كله ثم انصرف فى شوال قافلا الى الحضرة منصورا ظافرا فدخلها يوم الخميس ثامن عشر منه

حوادث مغربية

وفى سابع عشرى رمضان من العام المذكور قام بمدينة فاس مزوار الشرفاء بها محمد بن على بن عمران الادريسى على السلطان عبد الحق ابن السلطان أبى سعيد المرينى وملك البلد ، وكان السلطان بمحلته خارج البلد فلما سمع فر عنه اصحابه ورجع هو الى البلد فى أناس قلائل فقبض عليه وقتل صبرا وقتل من بالبلد من اليهود وقتل رئيس دولته هارون اليهودى ، وسبب ذلك انه كان فى ايدى بنى وطاس كالمحجور عليه وهم يتولون أمور المملكة منذ سنين كثيرة ثم انه تحدث فى الاستقلال عن بنى وطاس فأخذهم واخذ اموالهم وفر باقيهم واستقل بامور مملكته وصار يباشر الاشياء بنفسه ويسافر بمحلته وأوقف بين يديه فى ذلك هارون اليهودى يتولى امور المسلمين بفاس ويحكم فى المسلمين ويذلهم فوقع ذلك فى الناس موقعا عظيما الى ان خرج السلطان بمحلته ليهدن اوطانه وليضايق بنى وطاس الذين اخذوا له طنجة وتازا وغيرهما فتحدث الناس مع مزوار الشرفاء وقاموا على من بفاس من اليهود فقتلوهم وتخوفوا من السلطان عبد الحق ومن هارون اليهودى رئيس دولته فضبطوا البلد الى انقدم عبد الحق عقب تلك الهيعة فى قليل من الناس فقبضوا عليه وعلى اليهودى وقتلوهما صبرا وبويع . الشريف على رضا من الناس واستقل بالخلافة وعادت الخلافة فى فاس ادريسية كما كانت وانقضت دولة بنى مرين .

وفى ثانى عشرين لذى الحجة من العام المذكور ـ 869 خرج السلطان بمحلته ـ وذلك فى خامس عشر اغشت ـ ونزل بالزعترية وسار الى بلاد ريغ وهدم سور بلد تقرت لاجل فساد أهلها ومخالفتهم لقواده والزمهم مالا عقوبة لهم فدفعوه ، ثم سار الى قرب وركلة فقدم فيها عاملا وأخذ منها ومن بلد مزاب مالا جليلا وانصرف قافلا الى حضرته فوفد عليه فى اثناء قفوله حفيده الامير المولى ابو عبد الله محمد المنتصر صاحب قسنطينة فأكرم نزله وصرف من بين يديه القائد منصور الصبان لاجل ما وقع له مع الذواودة وأهل البلد واستقل

المولى المنتصر بولاية قسنطينة وانصرف اليها ، وفي اثناء قفول الخليفة من بلاد ريغ فر من المحلة محمد بن سعيد المسكيني ولحق بطرود وطلب منهم اجارته فخشوا وامتنعوا من ذلك الا طائفة يسيرة منهم أجاروه الى ان لحق بمحمد بن سباع ابن ابى يونس شيخ الذواودة فأجاره ومنعه ورجع الخليفة الى بلده فدخلها ثامن رجب من عام سبعين وثمانمائة ٠

وفي اواخر ربيع الاول من عام سبعين توفي بقسنطينة قاضيها الفقيه الجباس ودفن بها وقدم عوضه قاضيا الفقيه ابو عبد الله محمد العلوسي ٠

وفي اواسط العام المذكور 870 وفد على أمير المؤمنين بتونس اعراب تلمسان من بني عامر وسويد وغيرهم فعرفوه بسوء سيرة سلطانها ابن أبي ثابت الزناتي ونكثه للبيعة واخراج قائد ليانه من قبل الخليفة وبعثه لمحمد بن سباع ومحمد بن سعيد بالهدايا ليكونا عونا له على الخليفة مهما قدم الى تلك المدينة ، وطلبوا منه الوصول الى تلك البلاد فاستخار الله عز وجل ونصب لهم سلطانا الامير أبا جميل زيان ابن السلطان عبد الواحد ابن أبي حمو الزناتي وكتب له بذلك في أوائل شوال من العام المذكور واعطاه ما يحتاج اليه من الآلة والاخبية والجيش والاموال وصرف صحبته قائدا على العسكر محمد بن فرح الجبائي وجعل التدبير والرأى للشيخ الفقيه احمد البنزرتي وكتب الى المولى عبد العزيز ولده بأن يصبحه بمحلته الى تلمسان بخلال ما يلحق ، فخرج الامير أبو زيان من تونس في شوال ولحق ببجاية ، وخرج المولى السلطان على اثره عاشر ذي القعدة وسار بعساكره متوجها الى المغرب ففر بين يديه محمد بن سباع وصاحبه محمد بن سعيد ومن انضاف اليهما ولحقا بالصحراء واجتاز الخليفة بجبل اوراس فأخذ بعض القلاع الممتنعة به واستباح عسكره أموالهم ، ثم صار في الصحراء الى أوطان تلمسان ووردت عليه بيعة المديه ومليانة وتنس ووفد عليه اعراب ذلك الوطن فأكرم نزلهم ووفدهم وفرق قواده في الاوطان فأتت بالجبايات والضيافات ، وقدم بين يديه عسكر الحصار للبلد فنزل العسكر بساحتها في ربيع الآخر من عام واحد وسبعين وخرج اليه خلق كثير من البلد خيلا ورجلا فقاتلوهم أشد قتال الى المغرب ، ومن الغد صبيحة يوم الخميس صبح الخليفة البلد بعساكره ونزل بالمنصورة قرب البلد وركب الى البلد فقاتلوا أشد قتال وتحصنوا بالاسوار والمرابع والسهام ، ثم قاتلهم اشد قتال ثم أمر بهدم الاسوار وعاجلهم الليل قبل ملك البلد فرجعوا الى محلتهم عازمين على اخذ البلد في صبيحة تلك الليلة فأصابهم مطر كثير ، وفي صبيحة يوم السبت قدم الشيخ القاضي وكبار البلد ورغبوا من السلطان

العفو وكتبوا البيعة وشهدوا فيها وكتب فيها خطه ونصه : « شهد على نفسه عبد الله المتوكل عليه محمد لطف الله به ولا حول ولا قوة الا بالله » وأعطى ابنته بكرا للمولى أبى زكرياء يحيى ابن المولى المسعود دون خطبة ، فقفل السلطان راجعا الى حضرة تونس فى تاسع شعبان عام التاريخ •

وفى ذى القعدة عام اثنين وسبعين ابتدأ الوباء بتونس ولم يزل يتزايد الى شوال من عام ثلاثة وسبعين حتى بلغ الفا كل يوم ثم ارتفع فى ذى الحجة مكمل العام• وفى الثامن والعشرين من صفر عام اربعة وسبعين دخل السلطان حضرته ونزل ببساتية باردو فكانت غيبته سنة واحدة وثلاثة اشهر •

وفى خامس جمادى الاولى من العام المذكور توفى قاضى الانكحة الفقيه محمد الزنديوى (1) ودفن بجبل المرسى جوار سيدى أبى سعيد وتولى بعده ولده الفقيه ابو الحسن جميع وظائفه ، وفى خامس عشر صفر عام خمسة وسبعين عزل الفقيه الزنديوى المذكور عن جميع الوظائف المذكورة وقدم عوضه الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الرصاع وتولى قضاء المحلة عوضا عن الشيخ الرصاع الفقيه محمد القسنطينى • وفى ربيع الآخر من عام خمسة المذكور عزل الفقيه محمد البيدمورى عن الاحباس بتونس وقدم عوضه الفقيه ابو البركات ابن عصفور• وفى رجب من العام المذكور مرض الشيخ القاضى ابو عبد الله محمد القلجانى وقدم السلطان ابا عبد الله محمد الحسنى للنيابة عنه فى الاحكام فى اواسط شهر رمضان • وفى اواسط صفر من عام ستة وسبعين قدم الفقيه عبد الرحيم الحصينى نائبا عن قاضى الجماعة من سبب مكالمة وقعت بين النائب وولد القاضى افضت الى ان جلس كل واحد منهما يحكم بين الناس فوقع الخلاف •

وفى العام المذكور اخذ النصارى طنجة واريلا من بلاد المغرب •

وفى يوم الجمعة سابع جمادى الاولى من عام تسعة وسبعين مات بتونس الشيخ الفقيه العلم الكبير أبو اسحاق ابراهيم الاخضرى (2) ودفن بالزلاج •

وفى اواسط العام المذكور فرغ البناء من السقاية الكائنة قرب الاسواق وفى أول عام واحد وثمانين ملك المسلمون مدينة سبتة من ايدى العدو على يد رجل شريف كان من غمارة •

(1) يوجد النقل عنه كثيرا فى ذيل الديباج ويرسمه الزلديوى باللام غيرا انه لم يترجم له واما ابنه ابو الحسن فلا يعرف عنه شىء ، سوى ان الشيخ بابا ذكر فى مشيخة محمد السيفتى جماعة من علماء تونس فى أوائل المائة العاشرة التى غمرتها الفتن منهم خطيبها ومفتيها ابو محمد حسن الزنديوى فلا يبعد ان يكون هو ويصوب اسمه هنا

(2) له ترجمة بذيل الديباج وفى ضمنها نعته بالمفتى

وفى اوائل ربيع الثانى من العام المذكور قدم الفقيه محمد البونى كاتب العلامة .

وفى الشهر المذكور شرع فى فسقية باب علاوة من تونس وجلب الماء اليها من هنشير حمزة .

وفى اوسط المحرم من عام اثنين وثمانين وثمانمائة ورد على السلطان نصر بن صولة شيخ الذواودة طالبا للعفو فعفا عنه واكرمه وانصرف الى اهله بعد الاحسان خديما .

والى هنا ينتهى التاريخ ، وقد جاء بالنسخة المطبوعة نقلا عن اصلها ما نصه : انتهى ما وجد بخط المؤلف رحمه الله تعالى وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس ثامن عشر شعبان عام ستة وعشرين ومائة والف

ذيل لهذا التـاريخ يشتمل على اسمـاء ملوك
الـدولتين مع تـاريخ ولاية كل واحـد منهـم
وتاريخ وفاته وذكر بعض مآثرهم

الدولة الموحدية

نسب المهدى تقدم اول الكتاب ولد بهرغة سنة 471 وبويع يوم الجمعة الرابع عشر من شهر رمضان عام 515 وتوفى ليلة الاربعاء الثالث عشر من شهر رمضان ايضا من عام 524 فكان ملكه تسعة اعوام غير ثلاثة ايام

استخلف عبد المومن بن على بن مخلوف بن يعلى بن مروان بن نصر بن على بن عامر ابن ابن الاميرابن موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورنيغ بن صطفور بن ينور بن مطماط بن هودج بن قيس عيلان ابن مضر (1) توفى ليلة الخميس عاشر جماد الاخرى من سنة 558 ودفن بتينمل بازاء الامام المهدى فكانت مدته ثلاثا وثلاثين سنة وثمانية اشهر

ثم بويع ولده ابو يعقوب يوسف بن عبد المومن فى جمادى الاخرى من سنة 558 وتوفى مجاهدا اصابه نشاب فى جوفه يوم السبت الثامن عشر لربيع الاخر 580 ودفن برباط الفتح فكانت خلافته احدى وعشرين سنة وعشرة اشهر وثمانية ايام

فخلفه ابو يوسف يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المومن بن على ازداد فى العشر الاواخر من ذى الحجة سنة 554 وبويع بالمحلة بعد وفاة والده يوم الاحد تاسع عشر ربيع الآخر سنة 580 وتوفى ليلة الجمعة ثانى عشرى ربيع الاول من سنة 595 ودفن بمجلس سكناه من مراكش ثم نقل الى تينمل وقيل غير هذا فكانت خلافته اربعة عشر عاما واحد عشر شهرا واربعة ايام

ثم بويع لابنه ابى عبد الله محمد الناصر بن يعقوب المنصور بويع يوم وفاة والده وتوفى يوم الثلاثاء عاشر شعبان سنة 610 فكانت ولايته خمسة عشر عاما واربعة اشهر وتسعة عشر يوما

ثم بويع لابى يعقوب يوسف المنتصر ابن الناصر بويع يوم وفاة ابيه وسنه عشرة اعوام وتوفى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة سنة 620 سمه وزيره ابو سعيد فكانت خلافته عشر سنين واربعة اشهر ويومين .

ابو محمد عبد الواحد المخلوع بن يوسف بن عبد المومن بن على بويع

(1) نقل ابن خلدون هذا النسب وطعن فيه بان غالب اسمائه عربية ويلاحظ ما فيه من التحول فجاة من الاسماء البربرية الى قيس عيلان ، ولا شك انه صنع محلى لانتحال الخلافة

بعد وفاة يوسف المنتصر وخلع يوم السبت موفى عشرين شعبان من سنة 621 فكانت خلافته ثمانية اشهر وتسعة ايام ٠

أبو محمد عبد الله العادل بن يعقوب المنصور بعثت له البيعة بمرسية حين خلع الامين عبد الواحد وقتل خنقا ثانى عشرين شوال سنة 624 فكانت خلافته ثلاثة اعوام وثمانية اشهر وعشرة ايام ٠

أبو يحيى زكرياء المعتصم بن الناصر بويع فى شوال سنة 624 بمراكش ثم خلع من حينه وبعثت البيعة الى المامون باشبيلية ٠

أبو العلاء ادريس المامون بن يعقوب المنصور بويع فى شوال سنة 624 وتوفى مسافرا يوم السبت عاشر ذى الحجة عام 629 فكانت خلافته من حين بويع باشبيلية خمس سنين وثلاثة اشهر ٠

أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن أبى العلاء ادريس بويع يوم موت أبيه وتوفى غريقا فى بعض جوابى التصر يوم الجمعة عاشر جماد الاخرة من سنة 640 فكانت خلافته عشر سنين وخمسة اشهر وعشرة ايام ٠

أبو الحسن على السعيدى بن أبى العلاء ادريس بويع يوم وفاة أخيه وقتل السعيد وولده فى معركة مع بنى عبد الواد ونهبوا محلته يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة 646 فكانت خلافته خمسة اعوام وثمانية اشهر وعشرين يوما ٠

أبو حفص عمر المرتضى بن أبى ابراهيم اسحاق بن يوسف بن عبد المومن بن على دخل مراكش بعد ان كتب له بالبيعة واستقدموه من سلا فى جماد الاخرى من سنة 646 ودخل مراكش وبقى بها الى ان اخرجوه منها يوم السبت ثانى عشرى المحرم سنة 665 فكانت ولايته تسعة عشر عاما واربعة اشهر وثمانية ايام ٠

أبو العلاء ادريس الواثق بن محمد بن عمر بن عبد المومن بن على شهر بأبى دبوس دخل مراكش يوم السبت الثانى والعشرين المحرم من عام 665 بعد خروج المرتضى منها ثم قتل واحتز رأسه واخذ من بطنه بطينة مملوءة جوهرا وياقوتا وزمردا وحملوا رأسه والبطينة الى أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق المرينى فى يوم الجمعة عند غروب الشمس آخر يوم من ذى الحجة من سنة 667 فكانت خلافته سنتين واحد عشر شهرا وثمانية ايام ولما بلغ خبر موته بايع

الناس ولده عبد الواحد وخطب له جمعة واحدة من المحرم فزحف اليه أبو يوسف ففر هاربا هو واخواته وبنو عمه وجميع الموحدين فاخذهم النهب من حين خرجوا من باب الكحل الى ان وصلوا الى الجبل وكانت مدته سبعة ايام وانقضت دولة عبد المومن ودخل الامير يعقوب بن عبد الحق مراكش في المحرم من سنة 668 فكانت الدولة المـؤمنية مائة سنة واربعا واربعين سنة واحدى عشر شهرا وثلاثة وعشرين يوما والبقاء لله سبحانه وتعالى .

الـــدولـــة الحفصيـــة

أولها الشيخ أبو محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص عمر بن يحيى لما عزم السلطان الناصر بن يعقوب المنصور على الانصراف من تونس بعد ان هدنها واقام بها حولا نظر ان يخلف عليها الشيخ عبد الواحد فامتنـع فكلفه ذلك وذلك في شهر رمضان سنة 603 وتوفي يوم الخميس غرة المحرم عام 618 بتونس ودفن بقصبتها بعد صلاة الصبح .

الأمير أبو زكرياء يحيى ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد دخل تونس بعد ان قبض على أخيه الأمير عبد الله عبو يوم الاربعاء رابع عشر رجب من سنة 625 ووجهه الى المغرب في البحر وكتب الأمير أبو زكرياء الى جميع بلاد افـريقية بخلع أبي العلاء المأمون وبقي يستبد في امور اشغاله بالملك شيئا فشيئا الى سنة 634 بعد ان بويع بتونس سنة 627 وكتب علامته بيده الشكر لله وحده توفي ليلة الجمعة ثاني عشرى جماد الاخرى سنة 647 بمحلته بظاهر بونه ودفن من الغد بجامع بونه وكانت ولادته بمراكش سنة 599 فكان عمره تسعا واربعين سنة وخلافته بتونس عشرين سنة وستة اشهر .

أبو عبد الله محمد المستنصر بن أبي زكرياء يحيى بويع على بونة يوم وفاة أبيه وجدد بتونس يوم الثلاثاء رجب سنة 647 وهو ابن اثنتين وعشرين سنة وتسمى اولا بالأمير وفي سنة 650 تسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالمستنصر وفي سنة 666 رفع الحنايا واوصلها الى أبي فهر ومات يوم عيـد الاضحى من مرض متطاول عام 675 فكانت خلافته ثمانية وعشرين عاما وخمسة اشهر واثنى اشهر واثنى عشر يوما .

(وفي السنة المذكورة توفي صاحب مصر الملك الظاهر) .

ابو زكرياء يحيى الواثق بن محمد المستنصر ولد سنة 647 وبويع ليلة موت

أبيه ثم خلع نفسه وبايع لعمه أبي اسحاق وذلك يوم الاحد ثالث ربيع عام 678 فكانت خلافته سنتين وثلاثة اشهر واثنين وعشرين يوما .

أبو اسحاق ابراهيم بن يحيى ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ولد سنة 631 ودخل تونس يوم الثلاثاء خامس ربيع الاخر 678 وجددت له البيعة وانتقل الواثق المخلوع الى دار الغوري بالكتبيين فسكن بها ثم قتل مع اولاده الفضل والطاهر والطيب ولكن في عام 681 ظهر رجل عند ذباب تسمى بالفضل بن الواثق وأطاعته العرب فبعث اليه السلطان ولده أبا يحيى فتسلل عنه الناس ووصل الدعي للقيروان فخرج السلطان أبو اسحاق بجيش عظيم في شول فنهب بمنزل المحمدية فرجع الى تونس فاخرج نساءه واولاده ذاهبا الى قسنطينة فاغلقت في وجهه فزاد الى بجاية فمنعه ولده عبد العزيز الدخول اليها فخلع نفسه لولده فكانت خلافته بتونس من خلع الواثق الى فراره منها ثلاثة اعوام ونصف واثنين وعشرين يوما والله يقدر الليل والنهار .

أحمد مرزوق بن عمارة الدعي ولد بمسيلة سنة 642 وتربى ببجاية وفي يوم الثلاثاء ثاني جماد الاولى من سنة 683 قتل الدعي قتله الأمير أبو حفص عمر ابن أبي زكرياء يحيى بويع له بتونس يوم الاربعاء خامس عشرى ربيع الثاني من سنة 683 وتوفي بمرض اصابه يوم الجمعة الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة 693 فكانت خلافته احدى عشر عاما وثمانية اشهر غير يومين .

وتولى بعده السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر ابن أبي زكرياء يحيى الواثق المشهور بأبي عصيدة بويع بتونس باشارة الشيخ المرجاني في الثاني والعشرين من ذي الحجة عام 693 وتوفي بمرض الاستسقاء يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاخر سنة 709 ولم يخلف ابنا ذكرا فكانت خلافته اربعة عشرة عاما وثلاثة اشهر وسبعة عشر يوما وبويع بعده الشهيد .

السلطان أبو يحيى أبو بكر ابن عبد الرحمان ابن الأمير أبي يحيى أبي بكر ابن الأمير أبي زكرياء يحيى بويع له يوم وفاة أبي عصيدة وضربت عنقه شهيدا يوم الجمعة سبعة وعشرين من الشهر المذكور فكانت ولايته ستة عشر يوما .

السلطان أبو البقاء خالد بن أبي زكرياء يحيى بويع بتونس يوم قتل الشهيد وتلقب بالناصر ثم خلع نفسه لمرض كان به لا يقدر على الركوب وتوفي قتيلا بتونس في عام 711 فكانت خلافته سنتين وثلاثة عشر يوما .

الأمير أبو يحيى زكرياء ابن الشيخ أبى العباس أحمد ابن الشيخ أبى عبد الله محمد اللحيانى ابن الشيخ أبى محمد عبد الواحد بويع له البيعة العامة بمنزل المحمدية يوم الاحد ثانى رجب من سنة 711 ثم لما رأى اضطراب الاحوال وقيام العربان جمع الاموال وباع الذخاير التى بالقصبة حتى الكتب وارتحل لقابس اول عام 717 وبايع الناس ولده الأمير محمد أبا ضربة بخارج تونس في اواسط شعبان من العام المذكور فكانت الخطبة بينه وبين أبيه فكانت خلافته بتونس ستة اعوام وشهرا واحدا واربعة ايام ·

الأمير أبو عبد الله محمد المنتصر ابن الأمير زكرياء بويع بتونس بعد خروج والده منها لقابس في منتصف شعبان من عام 717 ثم انه خرج فى جيش للقاء الأمير أبى يحيى أبى بكر فهزمه وهرب للمهدية ثم ادرك وقتل فى ربيع الاخر من سنة 718 فكانت خلافته بتونس سبعة اشهر وخمسة عشر يوما ·

الأمير أبو يحيى أبو بكر بن أبى زكرياء يحيى ابن السلطان أبى اسحاق ابراهيم ابن أبى زكرياء يحيى ولد بقسنطينة فى شعبان 692 وبويع له يوم الخميس السابع من ربيع الاخر عام 718 وتكررت له البيعة واستوطن تونس وشرفها بآثاره وحسن سيرته وتوفى ليلة الاربعاء ثانية رجب 747 وعمره خمسة وخمسون عاما غير شهر وخلافته تسع وعشرون سنة وعشرة اشهر وخمسة وعشرون يوما ·

ابنه الأمير أبو حفص عمر بويع بالخلافة يوم وفاة والده ، فبلغ الخبر أخاه أحمد ولى العهد وكان بقفصة رحل قاصدا تونس وبويع بها وتلقب بالمعتمد وكان عمر بباجة فصبح تونس يوم السبت السادس عشر من رمضان وقتل أخاه أحمد ، فبلغ أبا الحسن المرينى فعله فى نقض عهد والده وقتل أخوته فقصد تونس وهرب عمر فبعث خلفه فادرك بقابس وقتل يوم الاربعاء السابع والعشرين من جماد الاولى سنة 748 فكانت خلافته عشر اشهر وخمسة وعشرين يوما منها سبعة ايام لأخيه أحمد ·

وملك تونس السلطان أبو الحسن على ابن أبى سعيد عثمان ابن أبى يوسف يعقوب بن عبد لحق المرينى ثانى جماد الاخرى سنة 748 ومنع العرب من البلاد التى ملكوها بالاقطاعات فتفاوضوا فى ولاية الأمير أحمد ابن أبى دبوس وحصروا أبا الحسن بالقيروان وفر الى سوسة فركب البحر الى تونس فحصره العرب واستقدموا السلطان الفضل من بونة وانتقضوا على المرينى فخرج من

تونس فى البحر اوائل شوال سنة 750 وعقد لابنه الفضل على تونس فوصل الخبر الى أبى العباس الفضل وهو بالجريد فنزل على تونس محاصرا لها واخراج ابن المرينى على الامان ولحق بالجزائر بأبيه فكانت مدة المرينى بتونس سنتين واربعة اشهر ويومين ٠

وتولى أبو العباس الفضل ابن أبى بكر فى التاسع والعشرين من ذى القعدة سنة 750 وتلقب بالمتوكل ثم خلع بحيلة من الشيخ ابن تافرجين وعمر بن حمزة من اولاد أبى الليل فى الحادى عشر من جماد الاولى سنة 751 فكانت مدته بتونس خمسة اشهر واثنى عشر يوما ، ثم بويع بتونس لأخيه ٠

الأمير أبى اسحاق ابراهيم ابن أبى بكر على يد الحاجب ابن تافرجين وهو يومئذ غلام مناهز ، وتوفى بليل فجأة فى رجب سنة 770 فكانت خلافته ثمانية عشر عاما وعشرة اشهر ونصف شهر ، وبايع الناس ولده ٠

أبا البقاء خالد اخذ له البيعة على الناس علجة القايد منصور صبيحة موت أبيه وسار سيرة رديئة فخرج أبو العباس أحمد من بجاية محاصرا لتونس وهرب خالد فبعث فى اثره واخذ وبعث به الى قسنطينة فى البحر فغرق وكانت مدته بتونس سنة وتسعة اشهر ونصف ٠

وتولى أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ابن الأمير أبى عبد الله محمد ابن السلطان أبى بكر ، بويع يوم القبض على الأمير خالد ، وكان حسن السيرة فى البلاد والعباد ، وتوفى يوم الاربعاء ثالث شعبان 796 فكانت خلافته بتونس اربعة وعشرين عاما وثلاثة اشهر ونصفا ٠

وتولى السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن السلطان أحمد تزايد بقسنطينة سنة 763 وبويع له بتونس يوم وفاة والده على رضا من الناس وصلحت به العباد والعباد ، وتوفى يوم عيد الاضحى من سنة 837 فجأة بموضع يعرف بولجة السدرة ونقل الى تونس فدفن بازاء قبر والده بتربة سيدى محرز فكانت مدته احدى واربعين سنة واربعة اشهر وسبعة ايام ٠

وتولى بعده حفيده السلطان أبو عبد الله محمد المنتصر ابن الأمير أبى عبد الله محمد المنصور ابن السلطان أبى فارس بويع بالمحلة وجددت له البيعة بتونس يوم عاشوراء سنة 838 ثم رحل لتهدين الاوطان فمرض فى الطريق فبعث لشقيقه الأمير أبى عمر وعثمان فورد عليه من قسنطينة فعهد اليه وتوفى

ليلة الجمعة الثانى والعشرين من صفر 839 فكانت مدته سنة وشهرين واثنى عشر يوما .

وتولى بعده السلطان أبو عمر وعثمان ابن الأمير أبى عبد الله محمد المنتصر ابن أبى فارس بويع بتونس يوم الجمعة ثانى عشرى صفر عام 839 وانصلحت به البلاد والعباد .

(انتهى)



فهرس الدول

فهرس ترتيبى لتاريخ الدولتين

الموحدية بالمغرب :

الحفصية بتونس :

(انتهى الفهرس الترتيبي)

دول معاصرة لها علاقة بالتاريخ

الدولة المرينية بالمغرب :

بنو زيان بتلمسان :

محمد بن تاشفين ابن أبى حمو 126 ـ 127 ـ 128 ـ 129
أحمد ابن أبى حمو 129 ـ 131 ـ 150 ـ 152
محمد بن محمد ابن أبى ثابت 152
على بن حمو 153
زيان بن عبد الواحد 157

دول سابقة عن التاريخ

صنهاجة بافريقية :

على بن يحيى بن تميم 4
ابنه الحسن 11

لمتونه بالمغرب :

يوسف بن تاشفين 8
ابنه على 5 ـ 7 ـ 8
ابنه تاشفين 7 وأخوه اسحاق 8

بنو حماد بالقلعة :

العزيز بن المنصور 5
بنو خرسان بتونس 4
بنو الغريانى بصفاقس 4

دول صغرى داخلية

بنو الرند والعابد بقفصة 12 ـ 14 ـ 82 ـ 92 ـ 109 ـ 120
بنو يملول بتوزر يحيى وأحمد وابنه محمد 56 ـ 77 ـ 82 ـ 92 ـ 97 ـ 105 ـ 107 ـ 109 ـ 120
بنو الخلف بنفطة 82 ـ 92 ـ 97 ـ 102 ـ 105 ـ 109 ـ 110 ـ 140
بنو مكى بقابس ـ عبد الملك بن عثمان واحمد عبد الملك 45 ـ 56 ـ 59 ـ 82 ـ 83 ـ 84 ـ 92 ـ 93 ـ 94 ـ 95 ـ 97 ـ 98 ـ 101 ـ 110 ـ 111
بنو مزنى بالزاب 111 ـ 122
بنو مطروح وثابت بطرابلس 12 ـ 14
ابن مقرب ببنزت 12
ابن بزوكش بطبربة 12

زعماء وقبائل لهم ذكر بالتاريخ

فهرس الانظمة

نظام الدولة وسلطانها وامتدادها :

انظمة مالية :

نظام القضاء والشعاير :

اعتبار العرف فى القضاء 71 :

حرف وصنائع تقليدية :

منشآت ومعالم تاريخية :

فهــرس الحــوادث

احــداث داخليــة :

ثــورات

حوادث خارجية :

سفارات الى الخارج :

غـزو من الخـارج :

فهـــرس التـــراجـم

أمـراء حفصيـون :

وزراء وحجاب :

خاصة :

مشيخـة الموحـدين :

كـتـــاب :

قــواد وولاة :

قضاة الجماعة بالتوالى :

محمد بن زيادة الله القابسى 24
أبو القاسم المرأسى 30
عبد الرحمان ابن نفيس 30 – 49
عبد الرحمان ابن الصائغ التوزرى 31 – 38
عبد الرحمان الشاطى 35
أبو القاسم ابن البراء 35 – 43
عمران بن معمر الطرابلسى 35 – 38
محمد بن الخباز 38 – 39 – 44 – 51
أحمد بن الغماز 38 – 44 – 45 – 53
أحمد بن ابراهيم المفسر 39
عبد الحميد ابن أبى الدنيا 44 – 51
أبو القاسم ابن زيتونة 44 – 45 – 52
أبو بكر الغورى 54
ابراهيم بن عبد الرفيع 54 – 55 – 57 – 61 – 62 – 69 – 70 – 73
عبد الرحمان ابن القطان 54
محمد ابن الغماز 66
عمر ابن قداح 70
محمد عبد السلام 67 – 69 – 71 – 74 – 76 – 87 – 88
محمد الاجمى 88
عمر ابن عبد الرفيع 88 – 102
محمد بن خلف الله النفطى 102 – 104
أحمد بن حيدرة 103 – 104 – 108
الحسن ابن باديس 108 – 110
محمد القطان البلوى 102 – 110 – 112
عبد الرحمان البرشكى 112
عيسى الغبرينى 112 – 113 – 124
يعقوب الزغبى 120 – 125 – 128
بلقاسم الوشتاتى القسنطينى 128 – 135 – 137 – 140
عمر القلشانى 130 – 135 – 139 – 141
محمد بن عقاب 135 – 136 – 141 – 142
أحمد القلشانى 125 – 135 – 136 – 140 – 141 – 142 – 149 – 151
محمد بن عمر القلشانى 135 – 141 – 149 – 151 – 158

ايمـة الـزيتونة بالتـوالى :

فـقـهـــاء :

صلحاء :

ادباء ونحاة :

اعلام بالخارج :

ليسعنا غدر السادة القراء فى كثرة هذه الاخطاء ونرجو منهم اصلاحها قبل المطالعة .

كما نرجو الحاق التعاليق الآتية بمحالها حيث ندت عن الطبع وهى :

ص 56 آخر سطر 2 ترجمته بالنفح ج 1065/2 بولاق

ص 126 سطر 6 بعد صاحب فاس : هو عبد الحق آخر بنى مرين

ص 149 سطر 24 أبو يحيى زكرياء : لعله أبو زكرياء يحيى السليمـــانى (راجع ص 139 سطر 6)

تنبيـــه ـ النجمة الموضوعة على بعض المصوبات تشير الى ان المصوب بالتعاليق

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
3	16	وانها ◆	وإنهاء
4	25	أبو حسن ◆	ابن حمدين
4	18	حماد	حامد
6	8	مومن	موسى
14	21	وعشر	وعشرة
21	23	فارن ◆	قارن
24	13	ابو يحيى زكرياء	أبو زكرياء يحيى
28	18	أبار	الأبار
29	11	وقد	قد
29	21	ابن الحسين	ابن أبى الحسين
30	13	وصح	وحم
30	22	فلصه	فلعله
31	4	له انه	انه
32	17	فى جامع	بجامع
32	18	سبع	تسع
33	5	يتسمى	يتسم
34	19	انقراظ	انقراض
37	21	متعجق ◆	متعمق
39	6	بن الحسين	ابن أبى الحسين
41	18	أبى الحسن	أبى الحسين
42	13	مبرئه	مبر ته
42	14	خفية ــ ووافدوا	خيفة ــ وآوفدوا
45	25	واعاده ــ الحدة ◆	وأعانه ــ الجدة
45	4	عن	عن القضاء
46	11	والحجوع	والجوع
48	21	أبو الحسن	أبو الحسين
51	15	كثير ــ دنانين	كثيرا دنانير
51	18	السادسة	السادس
51	24	الصدقى ◆	الصدفى
52	6	الفديح	القديم
52	11	ابناء	ابنا

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
شائع	شافع ◆	22	52
الاولى	الاول	18	54
ساقط	وذيله ◆	22	60
ابن غمر	بن عمر	8	61
فآثره	فاثره	21	61
والعلامة	العلامة	1	63
ابن الخباز	ابى الخباز	2	63
ابن غمر	بن عمر	4	63
ابن غمر	ابن عمر	5	63
ابن غمر	أبى عمر	6	63
أبى القاسم	أبى قاسم	9	63
الجبل (1)	الجبل	2	64
أبو يحيى زكرياء	أبو زكرياء	24	65
ثمانى عشرة	ثمان وعشرين	6	66
ابن أبى الحسين ابن سيد	بن الحسين بن سعيد	19	67
وكان السلطان	... السلطان	1	68
ابن أبى الحسين	بن الحسين	3	68
ولأسيرن	ولا سيرى	8	68
غساسه	ساغاسة	19/15	68
فتقفل	فقيل	18	69
ابن أبى الحسين	أبى الحسن	27	69
ابن قداح (2)	بن قراح	17	70
السطر كله ساقط	....	18	70
أبو على	ابن على ◆	25	70
736	766 ◆	26	70
العمود	العموم	17	71
السلطان	السلطن	20	71
العرف	العرق	25	71
أبو	ابن	19	72
نقرها	نفره	3	75

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
76	2	القريشى	القرشى
76	10	لسلطان	لسلطانه
77	14	أبو يحيى	أبو حيان
77	17	ابحر	البحر
77	25	لا ترتجى	لا ترتج
78	4	خطة	خطبة
78	7	سحين	سحيم
78	18	النس	الناس
79	16	حرتها	حمرتها
79	18	مضاجهم	مضاجعهم
82	1	ما	وما
82	3	ـ	اقتضاه
82	6	تافرجان	تافراجين
82	10	... البدو	امراء البدو
83	14	ابن الحسن	أبى سعيد
83	17	تاجراجين	تافراجين
84	7	أقيالهم	أقتالهم
84	17	أبا	أبو
85	9	اسبلاغا	استبلاغا
87	8	استمع	اسمع
87	20	علمى ◆	علميين
88	20	اياهما	ايهما
94	7	ابن عنان	أبى عنان
94	28	المغرب	المغرب السلطان أبى عنان
95	17	تونس	تونس فنازلوها فى السنة
95	18	عنها	عنها واستقدم
98	7	أثار	ثار
98	16	وجماعته	وجماعة
99	3	هر إليه	وأصهر إليه
99	17	أحد	إحدى
100	17	المنصور	لمنصور
101	13	كتابه	كاتبه
101	24	الخيانة	الخيفة

صحيفة	سطر	خطا	صواب
103	23	فاغنموا	فاغنوا
104	26	791	771
106	14	أبو عبد الله	أبى عبد الله
106	22	أبى زكرياء	أبى يحيى زكرياء
109	11	وابنه	وأبيه
111	13	أبو زكرياء	أبو يحيى زكرياء
112	5	أشهب	أشيب
112	8	البلورى	البلوى
113	23	ثلاثة	ثلاث
114	2	تملا	تمللا
114	12	أبو فارس	أبى فارس
117	23	والصنف ◆	والنصف
122	24	مخرة ◆	مفخرة
123	6	عشر	عشرة
124	3	حيكم	حكيم
125	13	باجة	بجاية
126	19	أخذ	أخذوا
127	4	لبلادهم	ساقط
127	6	بالمسلمين	بالمسلمين لبلادهم
127	12	المستنصر	المنتصر
133	2	زكرياء	أبى بكر
133	28	السادسة	السادس
135	14	أبى العباس	أبو العباس
136	7	للساقية	للسقاية
136	29	يكون ◆	يكونا
139	2	صغر	صخر
140	23	والشيخ	الشيخ
146	3	سخر	صخر
147	10	الحين	حين
149	8	فاعفاءه	فأعفاه
150	18	بن حمو	ابن أبى حمو
162	6	ابن ابن الأمير بن موسى	ابن الأمير أبى موسى